الوجه الآخر لحماس: أقبية للتعذيب والسحل

ص7

كرسي البطريرك صفير غائب يُستحضر مع الدعوات إلى إعلان نهاية لبنان المسيحي

ص8

الإعلام التونسي في مواجهة خطط الهيمنة السياسية

ص6

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2020/05/31

08 شوال 1441

السنة 42 العدد 11717

Sunday 31/05/2020

42nd Year, Issue 11717

تونس موقع متقدم للتدخل الأميركي في ليبيا

- قائد أفريكوم يعلن عن تنسيق مشترك وتحريك قوات وسط صمت رسمي تونسي
- واشنطن تستعيد النموذج الأوكراني لمواجهة النفوذ الروسي

تونس – وضعت قيادة أفريكوم (القيادة العسكرية الأميركية في أفريقيا) السلطات التونسية في موقف صعب بعد كشفها عن إمكانية نشر قوات أميركية في تونس، ما يضع تونس كموقع متقدم للتدخل الأميركي في ليبيا لمواجهة الوجود الروسي هناك، والذي تقول واشنطن إنه أبعد من الحديث عن دعم قائد الجيش الليبي المشير خليفة حفتر إلى التأسيس لنفوذ روسي دائم في ليبيا.

وقالت أفريكوم، في بيان، إن قائدها ستيفن تاونسند، أعرب لوزير الدفاع التونسي عماد الحزقي، في اتصال هاتفي، عن الاستعداد لنشر "قوات". وأضاف "نحن ندرس مع تونس طرقا جديدة لمواجهة القلق الأمني المشترك ويشمل ذلك استخدام لواءنا للمساعدة الأمنية"، في خطوة قد تفتح الباب أم تحريك قوات أميركية من تونس باتجاه ليبيا.

جريجوري هادفيلد

الدعم الروسي لحفتر لا يتعلق بكسب الحرب وإنما بإقامة معاقل

عبيد البريكي

النهضة متورطة في تحويل تونس إلى منطقة عبور

وتابع تاونسند "سنبحث عن طرق جديدة لهواجسنا الأمنية المشتركة باستخدام قواتنا"، وأن "تونس تدرك تقدر الشراكة مع الولايات المتحدة".

وتلازم السلطات الرسمية التونسية الصمت تجاه التصريحات الأميركية التي تضع تونس في قلب الحرب الليبية، وما تحمله من أخطار أمنية، لكن ما يلفت الانتباه أن كل التصريحات من قادة عسكريين وأن الاتصال مع وزير الدفاع التونسي تم من قائد عسكري مشرف على ملف أمني إقليمي وليس من وزير الدفاع الأميركي مارك إسبر، أو من أيّ جهة سياسية أميركية.

وفي محاولة لامتصاص ردة الفعل الغاضبة في تونس أصدرت أفريكوم بيانا لاحقا أشار إلى أن القوة المرسلة لن تكون كبيرة وستعمل على تدريب القوات التونسية وليست من القوات العسكرية المقاتلة.

وتقول أوساط سياسية تونسية إن قائد الأفريكوم وضع تونس، وخاصة الرؤساء الثلاثة، في موقف حرج؛ رئيس الجمهورية قيس سعيد ورئيس الحكومة إلياس الفخفاخ ورئيس البرلمان راشد الغنوشي، وأن السكوت عن هذه التصريحات سيعتبر اعترافا بالأمر الواقع، وهو ما يعطي مصداقية لتقارير سابقة تحدثت عن وجود عسكري أميركي في تونس ومساهمة في الحرب على الإرهاب، وهو ما حرصت حكومات سابقة على التقليل منه وربطه بتنسيق أمني لا يتجاوز المشورة والتدريب.

وسيكون الأمر أكثر صعوبة على الإسلاميين الذين قد يرغبون في التدخل الأميركي لمواجهة الروس حلفاء حفتر لكنهم لا يريدون أن يكون الأميركيون مؤثرين أكثر من اللازم في الملف الليبي على حساب الدور التركي، والذي ينظر إليه إسلاميو تونس وليبيا على أنه حماية مشروعة وضرورية لتثبيت أرجلهم في حكم بلدين استراتيجيين في جنوب المتوسط.

وتحمّل أطراف سياسية تونسية الإسلاميين مسؤولية التطورات الجديدة التي تقود إلى توريط تونس في الملف الليبي لأنهم ساهموا بشكل أو بآخر في استدعاء التدخل الأميركي من خلال إلزام تونس بسياسة المحاور وفتح الطريق سياسيا أمام التدخل التركي، فضلا عن العلاقة القوية بإسلاميي ليبيا.

وحمّل عبيد البريكي، أمين عام حركة تونس إلى الأمام، حركة النهضة مسؤولية ما يجري من خلال جر تونس إلى مربع المحور التركي القطري، معتبرا أن "النهضة هي الطرف الضالع في التدخل السافر في ليبيا وتحويل تونس إلى منطقة عبور".

وتساءل البريكي في تصريح لـ"العرب" أين السيادة التونسية من كل هذا في إشارة إلى الجهات المتحكمة في القرار السياسي التونسي.

من جهته، أكد أمين عام حركة الشعب، زهير المغزاوي، في تصريح خاص لـ"العرب" أن حزبه "يرفض قطعا أيّ تدخل خارجي في بلاده والزج بها في صراع إقليمي خطير."

ووجه رئيس حركة مشروع تونس محسن مرزوق لحركة النهضة ورئيسها راشد الغنوشي العديد من الاتهامات بالعمالة للنظام التركي وبالاصطفاف وراء حكومة الوفاق والإسلاميين في ليبيا.

وقال مرزوق، في تصريح لوسائل إعلام تونسية، "النظام التركي نظام استعمار يسعى للسيطرة على ليبيا وحركة النهضة ورئيسها يدافعان عن المصالح التركية"، ووصف رئيس البرلمان بالقنصل التركي في تونس، داعيا إلى سحب الثقة منه.

ويقول مراقبون إن الإعلان الأميركي عن تحريك قوات من تونس يؤكد أن واشنطن لا تمتلك بدائل تتحرك من خلالها بسبب بعد المغرب عن مسرح العمليات، وبرود العلاقة مع مصر التي تبدو أقرب إلى الروس، فيما الجزائر بطبعها ليست الحليف القريب، فضلا عن تردد المؤسسة العسكرية في لعب أدوار إقليمية مباشرة.

ورغم أن الدلالات الأولية تشير إلى تكرار السيناريو السوري في ليبيا، إلا أن الولايات المتحدة تبدو أكثر تأثرا بالدرس الأوكراني حين بادرت روسيا إلى "هز الباب" في شرق أوروبا وتحركت عندما اكتشفت أن "الباب مفتوح" وأن بوسعها التدخل هناك براحة من دون مواجهة حقيقية مع الناتو أو أن تصعّد الدول الأوروبية والولايات المتحدة عقوباتها الاقتصادية على موسكو.

وكانت واشنطن قد اتهمت روسيا، في وقت سابق من هذا الأسبوع، بإخفاء هوية ما لا يقل عن 14 مقاتلة حربية في قاعدة عسكرية بسوريا، قبل إرسالها إلى ليبيا، لدعم "مرتزقة روس" يقاتلون إلى جانب قوات حفتر، الرجل القوي في الشرق.

وقال جنرال أميركي الجمعة إن الجيش الأميركي يعتقد أن تسليم روسيا طائرات حربية إلى ليبيا ربما لن يغير التوازن في الحرب الأهلية التي بلغت طريقا مسدودا، لكنه يمكن أن يساعد موسكو في نهاية المطاف في ضمان معقل استراتيجي في شمال أفريقيا.

ونبه البريجادير جنرال جريجوري هادفيلد نائب مدير إدارة المخابرات في أفريكوم إلى أن موسكو قد لا تكون بحاجة إلى انتصار صريح لحفتر لتعزيز المصالح الروسية، مضيفا أن "الأمر لا يتعلق في الحقيقة بكسب الحرب وإنما بإقامة معاقل".

وأضاف "إذا ضمنت موسكو موقعا دائما في ليبيا، والأسوأ، إذا نشرت أنظمة صواريخ طويلة المدى، فسيغير هذا قواعد اللعبة بالنسبة إلى أوروبا وحلف شمال الأطلسي وكثير من الدول الغربية".

فيما قال زميله الميجر كارل ويستر، المتحدث باسم الأفريكوم ، إنه "من المحتمل أنه عندما يتلاشى الدخان في ليبيا يكون لروسيا قاعدة للوصول إلى الجناح الجنوبي لأوروبا، وأنظمة الصواريخ بعيدة المدى أيضا".

هل يدفع الجيش التونسي إلى مهمات غير محسوبة

روسيا ترتب أمورها في سوريا بالتنسيق مع إسرائيل وتركيا

دمشق – تعمل روسيا ما في وسعها لبسط نفوذها في سوريا على مدى بعيد، وخاصة تعميق وجودها العسكري في البحر المتوسط في سياق سباق دولي متسارع بعد اكتشاف فرص واعدة للغاز في هذه المنطقة البحرية.

وكانت وسائل إعلامية روسية نقلت أن الرئيس فلاديمير بوتين أمر وزارتي الدفاع والخارجية بإجراء محادثات مع دمشق بشأن تسليم العسكريين الروس منشآت إضافية وتوسيع وصولهم البحري في سوريا، في وقت يبدو الوجود العسكري الروسي المتعاظم هناك يلقى تفهّما تركيا وإسرائيليا في سياق تقاسم المصالح.

ويعتقد مراقبون أن الوجود الروسي في المتوسط لا يتعلق فقط بمجريات الحرب في ليبيا، وأنها قد تكون مسوغا إضافيا لزيادة النفوذ في منطقة تشهد أنشطة متعددة لقوى إقليمية ودولية، وأن الأمر لا يقف عند النفوذ العسكري.

ويقول معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى إن شركات الطاقة الروسية تتطلع إلى تجديد استثماراتها في قطاع الطاقة السوري وتوسيعها، لكنها لا تسعى إلى التنقيب عن احتياطيات النفط السورية المحدودة واستخراجها، فهي تختزن كميات هائلة، بل تحاول الاضطلاع بدور فاعل في إعادة إعمار البنية التحتية للنفط والغاز في سوريا وتشغيلها.

وتملك روسيا منشأتين عسكريتين دائمتين في سوريا هما قاعدة حميميم الجوية في محافظة اللاذقية وقاعدة بحرية في طرطوس على البحر المتوسط. ويجري حديث عن أن روسيا أقامت قاعدة عسكرية جديدة على الحدود مع تركيا في سياق تنويع مراكز سيطرتها في سوريا.

الكاظمي يقاوم ضغوط أحزاب إيران لاستكمال الحقائب الوزارية الشاغرة

تضارب الأنباء بشأن أسماء المرشحين لوظيفة مدير مكتب رئيس الوزراء العراقي

بغداد – تتزايد الضغوط السياسية على رئيس الوزراء العراقي مصطفى الكاظمي بشأن ملء الحقائب السبع الشاغرة في حكومته، وسط تضارب في الأنباء بشأن تعيين مدير مكتبه.

وذهبت التنبؤات التي أشارت إلى إمكانية ملء الحقائب السبع الشاغرة في حكومة الكاظمي، وهي النفط والخارجية والتجارة والهجرة والعدل والزراعة والثقافة، قبل عطلة عيد الفطر، أدراج الرياح، بعدما أصرت أطراف سياسية على ترشيح شخصيات محددة.

وحتى الآن، يواصل مكتب الكاظمي تحقيق النجاح في مهمة التكتم على مسار المفاوضات الخاصة بتشكيل الحكومة أو استكمال ملء الحقائب الشاغرة فيها، مع قدر محسوب من التسريبات، لذلك فإن معظم المعلومات المتعلقة بهذا الملف تأتي من الأحزاب والقوى السياسية، عبر قنوات غير رسمية.

وعلمت "العرب" أن "الكاظمي أعد قائمة بأسماء الوزراء المرشحين لملء الحقائب المتبقية، بعد توسيع دائرة المشاورات خلال عطلة عيد الفطر".

وتقول مصادر سياسية إن "الجانب الأكبر من المرشحين لشغل الحقائب الشاغرة، يحسب على المستقلين، وليس الحزبيين، جريا على السياق الأساسي الذي حكم تشكيل الحكومة".

وأخبر الكاظمي مفاوضين عن أحزاب بارزة باستعداده شخصيا لإدارة أيّ حقيبة شاغرة بالوكالة، لحين ضمان موافقة البرلمان على المرشح الذي سيطرحه لشغلها.

ويستغرب سلمان الجميلي، وهو قيادي بارز في تحالف سياسي سنّي يقوده رجل الأعمال المقرب من قطر خميس الخنجر، "من الأصوات التي تطالب الكاظمي بحلول سريعة لا يقوى عليها إلا من يملك عصا موسى".

وانتقد الجميلي، الذي شغل حقيبة التخطيط في حكومة رئيس الوزراء الأسبق حيدر العبادي، القوى السياسية "التي تضع العصيّ" في العجلة قبل انطلاقها وتطفئ حتى الضوء الذي يبدو في نهاية النفق"، مطالبا بمنح الكاظمي الحرية في أن "يختار ما تبقى من كابينته بحريّة".

ولم يعد الكاظمي بحاجة إلى البرلمان، بعد أن مرر العدد الأكبر من الحقائب الوزارية، في وقت تدرك الكتل الشيعية والسنية والكردية أن وجود حقائب شاغرة يعزز النفوذ السياسي لرئيس الوزراء، ويمنحه فرصة تكليف مقربين منه بإدارتها.

في غضون ذلك تضاربت الأنباء بشأن تسمية الكاظمي مديرا لمكتبه. وقالت مصادر حزبية إن الكاظمي اختار بالفعل القاضي رائد جوحي لمنصب مدير مكتب رئيس الوزراء، الذي يتمتع بنفوذ سياسي وتنفيذي كبير.

وجوحي هو أحد القضاة الذين شاركوا في محاكمة الرئيس الراحل صدام حسين، وسبق له أن شغل مواقع ضمن الجهاز الرقابي على الحكومة العراقية، قبل أن يصنّف ضمن المؤيدين لحركة الاحتجاج الشعبية.

لكن مصادر أخرى أشارت إلى أن جوحي هو مرشح مع آخرين لمنصب مدير مكتب رئيس الوزراء، أبرزهم وزير الداخلية الأسبق محمد الغبان وهو قيادي بارز في منظمة بدر التي يرأسها هادي العامري المقرّب من إيران.

فنّ لبناني اسمه تحويل الانتصار إلى هزيمة

خيرالله خيرالله

ص5

وأوضحت المصادر أن حلفاء لإيران يضغطون على الكاظمي بشدة للقبول بالغبان مديرا لمكتبه، أو النظر في ترشيح القيادي الآخر في منظمة بدر أبومريم الأنصاري للمنصب.

ويعتقد مراقبون أن تعيين مدير مكتب رئيس الوزراء سيكون من أصعب الاختبارات التي تواجه الكاظمي المطالب بإثبات استقلاليته عن النفوذ الإيراني.

وتقول مصادر سياسية إن من أولويات الكاظمي تقليص النفوذ الهائل الذي يتمتع به مدير مكتب رئيس الوزراء في العراق، والذي لعب في عهدي نوري المالكي وعادل عبدالمهدي دور رئيس الحكومة الثاني.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

السلطة الجزائرية تعبد الطريق لعودة مفاجئة لرموز نظام بوتفليقة

حزب جبهة التحرير الحاكم يخرق الحظر الصحي لانتخاب أمين عام جديد

بعد انتخاب التجمع الوطني الديمقراطي، ثاني أحزاب الائتلاف الحاكم خلال رئاسة عبدالعزيز بوتفليقة، أمينا عاما له يتجه حزب جبهة التحرير الحاكم بدوره لانتخاب أمين عام جديد، ويفسّر متابعون تسريع الأحزاب الحاكمة في وتيرة ملء الفراغ في مناصب رؤسائها، برغبة السلطة الاستعانة بالنخبة التقليدية ورموز النظام السابق لمواجهة الأزمات الاجتماعية والاقتصادية الخانقة.

صابر بليدي

الجزائر - سارت دورة اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني الحاكم بالجزائر في اتجاه التوقعات التي رسمت العودة المثيرة لحزبي السلطة القويين خلال العشريتين الأخيرتين، فبعد تزكية الطيب زيتوني على رأس التجمع الوطني الديمقراطي، يجري نفس السيناريو لتزكية أبوالفضل بعجي، على رأس جبهة التحرير الوطني.

وانطلقت السبت دورة اللجنة المركزية لحزب جبهة التحرير الوطني في قصر المؤتمرات بالعاصمة، في أجواء يشوبها الاستفهام والترقب حول الخلفيات الحقيقية لتسريع وتيرة ملء الفراغ في هرم أكبر حزبين سياسيين في البلاد، رغم الأوضاع الصحية التي تعيشها البلاد بسبب وباء كورونا.

وحصل الحزبان على رخص تنظيم تظاهرتين سياسيتين متتابعتين نهاية هذا الشهر، رغم قوانين الحجر الصحي التي حظرت التجمعات والتظاهرات السياسية والثقافية من طرف الحكومة التي لا زالت تمنع جميع أشكال التجمع البشري في مختلف الفضاءات المغلقة والضيقة.

ورغم الانطباع الذي ساد قبيل انطلاق الدورة، حول تقدم العديد من الشخصيات للتنافس على منصب قيادة حزب جبهة التحرير الوطني، لخلافة الأمين العام السابق المسجون محمد جميعي، إلا أن الأصداء التي حصلت عليها " العرب "، من قاعة المؤتمرات بالعاصمة، ترجّح سيناريو تزكية القيادي أبوالفضل بعجي لنيل ثقة أعضاء اللجنة المركزية.

ونقلت مصادر مطلعة من الدورة، أن المنافس الحقيقي لأبوالفضل بعجي، في سباق منصب الأمين العام للحزب، جمال بن حمودة، قد أقصي بطريقة هوليوودية، لمّا منع من دخول قاعة المؤتمرات بدعوى إصابته بوباء كورونا، وهو ما أكده الرجل في تدوينة له على حسابه الشخصي في فيسبوك، والتي جاء فيها "لقد منعت من ولوج القاعة بدعوى ارتفاع درجة حرارة جسدي، وإشاعة إصابتي بوباء كورونا".

وعمد منظمو الدورة إلى منع حضور الصحافيين بحجة تفادي الزحام والاحتكاك، مما قد يفضي إلى نقل العدوى إلى الحاضرين، وهو ما يزيد من الاستفهامات حول خلفية عقد دورة اللجنة المركزية في هذا الظرف الاستثنائي، وحول الأهداف من وراء هذه الوتيرة المتسارعة في ملء الفراغ بهرمي أكبر الأحزاب السياسية في البلاد.

ويعد أبوالفضل بعجي من الشخصيات القيادية المحسوبة على جناح الأمين العام السابق المقيم في بريطانيا عمار سعداني، ويكون قد حاز على ثقة الجهات التي أوعزت للحزبين باختيار أمينين عامين لهما، تحسبا لاستحقاقات سياسية في الأفق، على غرار الاستفتاء الشعبي على الدستور قبل نهاية العام الجاري.

وإذا كان الأمر قد حسم مبكرا بالنسبة إلى التجمع الوطني الديمقراطي بتقديم الطيب زيتوني دون منافسة لشغل منصب الأمين العام خلفا للأمين العام بالنيابة عزالدين ميهوبي، وإنهاء مرحلة رجل الحزب القوي في السابق رئيس الحكومة والأمين العام الأسبق أحمد أويحيى المتواجد في السجن بتهم فساد مالي، فإن الحزب الحاكم اختار أسلوب المنافسة المبكرة قبل أن يحسم المسار بتزكية أبوالفضل بعجي في نهاية المطاف.

> العودة المفاجئة لحزبي السلطة تشكل نكسة للتيار المعارض منذ انطلاق أحداث الحراك الشعبي في فبراير 2019

وشكلت العودة المفاجئة لحزبي السلطة نكسة للتيار المعارض للسلطة منذ انطلاق أحداث الحراك الشعبي في فبراير 2019، حيث كانا يمثلان الذراعين السياسيين لنظام الرئيس السابق عبدالعزيز بوتفليقة ومحل غضب شعبي وصل لحد المطالبة بحلهما وتطبيق العزل السياسي عليهما.

ويبدو أن السلطة التي تنتظرها استحقاقات سياسية في الأفق، وعلى رأسها تمرير الدستور الجديد، لم تعد مطمئنة للوعاء السياسي والشعبي الذي دعمها في إطفاء جذوة الحراك الشعبي، وهي بصدد العودة إلى القوى السياسية التقليدية من خلال تجديد بعض مفاصلها ووجوهها بغية تمرير الأجندات المقبلة خاصة منها امتصاص الغضب الشعبي المرشح للعودة إلى الشارع مع أول رفع لتدابير جائحة كورونا.

ويعتبر ضخ الدماء الجديدة في أوصال حزبي السلطة إيذانا بعودة رموز نظام عبد العزيز بوتفليقة السياسية، في ظل معطيات تكون قد تكوّنت لدى السلطة حول نهاية مرحلة الاحتجاجات السياسية الشعبية والتفرغ لتثبيت أركانها ومؤسساتها الرسمية والسياسية، رغم ما يمثله من استفزاز للشارع ما قد يشعل جذوة الاحتجاجات بنفس الوتيرة أو أكثر على الاستفزازات التي مارسها نظام بوتفليقة، لمّا كان متمسكا بتمرير ولاية رئاسية خامسة رغم أنوف الرافضين.

وتجري عملية إعادة تأهيل القوى التقليدية، رغم تواجد قادتها في السجن منذ أكثر من عام بتهم فساد مالي وسياسي، كما هو الشأن بالنسبة إلى جمال ولد عباس ومحمد جميعي من جبهة التحرير الوطني، وأحمد أويحيى من التجمع الوطني الديمقراطي، وعمارة بن يونس عن الجبهة الشعبية الجزائرية، وعمار غول عن تجمع أمل الجزائر.

وسيكون أمام أبوالفضل بعجي فرصة إعادة تشكيل الحزب الحاكم بالشكل والأهداف التي سطرت له وتم اختياره بموجبها للاضطلاع بتلك المهمة وتمرير الأجندة المحددة، وعلى رأسها التخلص من التركة البشرية الموروثة عن الأمناء العامين السابقين، على غرار أعضاء المكتب السياسي، لكن يبقى ولاؤه السابق لبوتفليقة شأنه شأن الطيب زيتوني الأمين العام الجديد للتجمع الوطني الديمقراطي، خاصرته الرخوة التي توظف ضده في أيّ انقلاب مستقبلي.

الحراك الجزائري يستعد للعودة إلى الشارع

القضاء على قيادي من مرتزقة أردوغان جنوب طرابلس

طرابلس - أعلن الجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر، السبت، مقتل قائد "فرقة السلطان مراد" المدعوم تركيًا جنوب العاصمة طرابلس.

وقالت شعبة الإعلام الحربي التابعة للجيش الليبي إن "قائد فرقة السلطان مرتزق سوري يدعى مراد العزيزي قتل في محور طريق المطار جنوب العاصمة طرابلس".

ووفق بوابة "ليبيا الإخبارية"، "نعت حسابات رسمية تابعة للمعارضة السورية على مواقع التواصل الاجتماعي، القتيل مراد العزيزي".

وحسب تقارير إعلامية يعد فصيل فرقة السلطان مراد الموالي لتركيا، أكبر وأقوى فصيل تابع للاستخبارات التركية.

وكان الجيش الوطني الليبي قد تمكن مساء الأحد الماضي من اعتقال واحد من أخطر عناصر داعش بعد انتقاله إلى الأراضي الليبية برعاية المخابرات التركية، بحسب تصريح للناطق الرسمي باسم الجيش الوطني الليبي، اللواء أحمد المسماري.

وفي بيان على صفحته الرسمية بفيسبوك أورد اللواء أحمد المسماري أن الداعشي محمد البويضاني انتقل إلى ليبيا برعاية المخابرات التركية كأمير لفيلق الشام حيث ألقي القبض عليه وهو يقاتل إلى جانب صفوف ميليشيات حكومة فايز السراج.

واعتقل محمد البويضاني، القيادي في فيلق الشام الإسلامي، برفقة 26 آخرين من مجموعته غالبيتهم من أبناء محافظة حمص، وهم ممن كانوا سابقاً ضمن الكتيبة الخضراء التي كانت عاملة بحمص والقلمون الغربي وتضم العديد من الجهاديين.

وقال الجيش الليبي إن عملية إلقاء القبض على القيادي الداعشي دليل آخر على العلاقة بين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان وتنظيم داعش التكفيري والتنظيمات المتطرفة عامة.

ووثق المرصد السوري لحقوق الإنسان ارتفاع حصيلة القتلى في صفوف الفصائل الموالية لتركيا جراء العمليات العسكرية في ليبيا، إلى 318 مقاتلا بينهم 18 طفلا دون سن الـ18، كما أن من بين القتلى قادة مجموعات ضمن تلك الفصائل.

وعلم المرصد السوري أن القتلى من فصائل "لواء المعتصم وفرقة السلطان مراد ولواء صقور الشمال والحمزات وسليمان شاه"، ووفقا لمصادر المرصد فإن القتلى قتلوا خلال الاشتباكات على محاور حي صلاح الدين جنوب طرابلس، ومحور الرملة قرب مطار طرابلس ومحور مشروع الهضبة، بالإضافة إلى معارك مصراتة ومناطق أخرى في ليبيا.

وكشف رامي عبدالرحمن، مدير المرصد السوري، أنّ "والي حمص الأمني السابق في تنظيم داعش، وصل إلى ليبيا مع 48 عنصراً من الجنسية السورية ممن كانوا معه في ريف حمص الشرقي في منطقة تدمر".

إعلام البوليساريو يفشل في تسويق أطروحة تقرير المصير

محمد ماموني العلوي

الرباط - كذّب السفير اليمني في ماليزيا عادل باحميد إعلام جبهة البوليساريو، الذي نقل عنه تصريحات مشككة في سيادة المغرب على الصحراء، مؤكدا أن ما جاء في المواقع المحسوبة على الجبهة الانفصالية، افتراء من أوله إلى آخره، مستنكرا التصريحات الملفقة بشأن الصحراء المغربية.

واعتبر عادل باحميد، أن" ادعاء إعلام البوليساريو يصب في محاولات تفتيت جسد الأمة باختلاق مثل هذه الأكاذيب"، وتابع "نحن كنّا وسنظل مع مغربية الصحراء والوحدة الترابية المغربية".

وأكد مراقبون أن نسب الإعلام التابع للبوليساريو تصريحات ملفقة إلى سفير اليمن بماليزيا، يؤكد فشل الآلة الدعائية للجبهة في التسويق للأطروحة الانفصالية دوليا وإقليميا، وأشار هؤلاء إلى أن إصرار البوليساريو على الخروج ضد المقررات الأممية التي تدعم مبادرة الحكم الذاتي في الصحراء كحل سياسي وذات مصداقية، لن تنفعها في شحذ أي دعم عربي أو دولي.

من جهته، أوضح سفير الجمهورية اليمنية بالمغرب، عزالدين الأصبحي، في بيان، الجمعة أن "ما جاء في المواقع التابعة للبوليساريو افتراء من أوله إلى آخره"، مشيرا إلى أن "سفير بلاده في ماليزيا أكد أنه لم يصرح بشيء من هذا القبيل ولا يعرف حتى الموقع المذكور".

وسيرا على خطى عدد من الدول في العالم ومنها اليمن، جددت وزارة الشؤون الخارجية والتجارة الهنغارية، الجمعة، التأكيد على موقفها الرسمي من قضية الصحراء المغربية، مشددة على أنه لا تربطها أي علاقة بالجمهورية الوهمية للبوليساريو، الأمر الذي يعمق عزلة الجبهة الانفصالية. ويأتي تجديد التأكيد الرسمي على موقف هذا البلد الأوروبي والذي تربطه بالمغرب علاقات تاريخية تفوق 60 سنة، ردا على نشر مؤلف باللغة الهنغارية خلال مايو الجاري، والذي "يزعم بوجود علاقة منذ وقت طويل بين هنغاريا والبوليساريو".

وسجلت بودابست أنه من خلال هذا التأكيد الرسمي الجديد لموقفها بخصوص الجمهورية المزعومة، تكون هنغاريا قد فنّدت الأطروحات والدعاية التي تروجها البوليساريو وداعموها، وعززت، بالتالي، المملكة من موقفها المشروع بخصوص الصحراء المغربية.

وتتحرك الآلة الدعائية الانفصالية في تناغم مع تصريحات المسؤولين الجزائريين الداعمين للانفصاليين، مع العداء لوحدة المغرب الترابية.

وسبق أن شكك وزير الخارجية الجزائري صبري بوقادوم خلال الاحتفال بيوم أفريقيا في الحلول التي تبنتها الأمم المتحدة، قائلا إنه "منذ سنوات طوال، تعكف الأمم المتحدة ومجلس الأمن على تطبيق مراحل خطة التسوية المرسومة لقضية الصحراء والمبنية على أساس حق الشعب الصحراوي غير القابل للتصرف في تقرير مصيره".

ولازالت الجبهة الانفصالية والجزائر تقتاتان سياسيا ودبلوماسيا وإعلاميا، على مفهوم تقرير المصير والاستفتاء رغم أن كل القرارات الأممية تجاوزت هذا الطرح غير الواقعي.

وفي هذا الصدد، ذكر محمد أحمد غاين، رئيس المعهد الأفريقي لحفظ السلم وتحول النزاعات، بأن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، ومعه المجتمع الدولي برمته، تخلى منذ سنة 2001 عن خيار الاستفتاء، حيث يدعو الأطراف الآن إلى العمل من أجل التوصل إلى حل سياسي واقعي وعملي ودائم وقائم على أساس من التوافق.

ويعتبر مقترح مشروع الحكم الذاتي الذي قدمه المغرب كمبادرة لحل نزاع الصحراء توجها واعيا متعدد الأبعاد والصلاحيات، ونمطا استراتيجيا لاستتباب الأمن والاستقرار خاصة في منطقة الساحل والصحراء.

> إعلام الجبهة الانفصالية دأب على ترجمة نية قياداته والجانب الجزائري تصريحا وتلميحا للضغط على الأمم المتحدة

بدوره، يرى السفير اليمني بالمغرب عزالدين الأصبحي أن "مبادرة المملكة المغربية بشأن الصحراء المغربية مبادرة إيجابية وذات رؤية متقدمة تعزز من استقرار المنطقة واحترام التنوع والحفاظ على الوحدة الوطنية والسلام".

وعلى اعتبار النجاحات الدبلوماسية والسياسية التي راكمها المغرب في قضية وحدته الترابية، فالإعلام الانفصالي دأب على ترجمة نية الجانب الجزائري وقيادات بوليساريو تصريحا وتلميحا، للتصعيد والضغط على الأمم المتحدة والمجتمع الدولي لتبني خيارات الانفصاليين بادعاءات غير واقعية خصوصا مع ما يعرفه ملف الصحراء حاليا من سكون بعد استقالة المبعوث الأممي هورست كوهلر.

وسبق للإعلام الانفصالي أن هلل لتصريحات الرئيس الجزائري عبدالمجيد تبون، الذي اعتبر نزاع الصحراء مسألة "تصفية استعمار في القارة الأفريقية"، في أول تصريح رسمي له بعد تنصيبه رئيسا للبلاد.

واعتبر غاين، أن الجزائر تخفي ميولها الجيوسياسية وراء تصور مضلل لمبدأ تقرير المصير، مشيرا إلى أن تقرير المصير لم يكن قط مرادفا لاستفتاء من قبل الأمم المتحدة.

وفي هذا السياق، قارن غاين، بين المبادرة المغربية للحكم الذاتي التي تلبي مبدأ تقرير المصير مع ما تعد به من مصالحة وأمن وتنمية وحكامة جيدة، والخيار المدمر للاستفتاء الذي تدافع عنه الجزائر و"البوليساريو" والذي، بالإضافة إلى كونه غير واقعي، لا يمكنه إلا أن يزرع الانقسام وعدم الاستقرار في المنطقة.

لا مجال للتشكيك في مغربية الصحراء

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

اللبنانيون ينتفضون من جديد ضد سلاح ميليشيات حزب الله

احتجاجات أمام قصر العدل ببيروت تطالب بحصر السلاح بيد الدولة

تُضاعف الاحتجاجات المناهضة لحزب الله، والتي اندلعت السبت أمام قصر العدل بالعاصمة بيروت، الضغوط المسلطة عليه حيث يسعى اللبنانيون إلى إرغام السلطات على نزع السلاح من الحزب وحصره بيد الدولة، وذلك تزامنا مع تكثيف الولايات المتحدة حملتها ضد ميليشيات الحزب.

هبة شعبية جديدة ضد سلاح حزب الله

بيروت – نفّذ العشرات من الناشطين اللبنانيين، السبت، وقفة احتجاجية أمام قصر العدل بالعاصمة بيروت للمطالبة بنزع سلاح حزب الله وتجميع كل الأسلحة بيد الجيش اللبناني.

ووسط انتشار أمني مكثف رفع المتظاهرون شعارات مناوئة لحزب الله، وذلك في الوقفة التي تم تنظيمها تحت عنوان "لا للسلاح غير الشرعي والدويلة داخل الدولة".

كما طالب المحتجون بتطبيق القرارين الدوليين 1701 و1559، الصادرين عن مجلس الأمن بشأن لبنان.

ورفع المحتجون لافتات كُتب عليها "لا للسلاح الأسود"، و"قرار الحرب فقط من جيشنا اللبناني".

وتزامنت هذه الاحتجاجات مع دعوات لتنفيذ اعتصام مؤيّد لشرعية سلاح حزب الله.

> الدعوات لنزع سلاح حزب الله تُعدّ امتحانا عسيرا لرئيس الوزراء حسن دياب، لاسيما في ظل الأزمة الاقتصادية التي يعيشها لبنان

وعمدت عناصر الجيش وقوى الأمن إلى إغلاق منطقة قصر العدل، وفصلها عن محيطها، منعا للتصادم مع الاعتصام الثاني الذي دعا إليه ناشطون لمساندة الحزب ضد الدعوات التي تستهدف منعه من امتلاك السلاح.

ويرى مراقبون أن هذه الاحتجاجات تعمق أزمة حزب الله الذي تحاصره الولايات المتحدة وتحاول سد كل المنافذ أمامه.

وتمت الدعوة إلى هذه الاحتجاجات للمطالبة بتحسين الأوضاع المعيشية ومحاسبة المسؤولين الذين تعاقبوا على السلطة، بما في ذلك حزب الله.

ويرى مراقبون أن هذه الدعوات تُعد امتحانا عسيرا لرئيس الوزراء اللبناني حسن دياب، لاسيما في ظل الأزمة الاقتصادية الخانقة التي تعيشها بلاده ما جعلها في حاجة إلى المانحين الدوليين الذين يعارضون امتلاك حزب الله أسلحة.

وتدفع الأزمة الاقتصادية لبنان نحو حافة الهاوية، وهو ما جعل المناوئين لحزب الله يتهمونه بجر البلاد إلى سياسة المحاور ونهب خزينة الدولة.

ويقول مراقبون إن هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها استياء من قبل ما يعرف ببيئة حزب الله من الأوضاع التي وصلت إليها البلاد، حيث علت صيحات شباب تنادي بتغيير الطبقة السياسية والمسؤولين، وتشكيل حكومة خالية تماما من الأحزاب. إلا أن تلك الاحتجاجات تراجعت لاحقاً بفضل عدة عوامل، منها تشكيل حكومة والطقس وبروز أزمة فايروس كورونا.

وبموازاة الضغوط الداخلية باتت ميليشيات حزب الله في مرمى نيران الولايات المتحدة أكثر من أي وقت مضى.

وعلى سبيل المثال أعلنت قبرص السبت أنها ستسلم واشنطن شخصا يشتبه في انتمائه إلى الحزب.

وصادقت المحكمة العليا في قبرص الجمعة، على أمر بتسليم الرجل إلى الولايات المتحدة حيث سيمثل أمام المحكمة في قضيّة غسل أموال، بحسب ما أفادت به وكالة الأنباء القبرصيّة الرسميّة.

وأشارت الوكالة إلى أنّ المحكمة العليا رفضت طلب استئناف قرار قضائيّ سابق صدَرَ في سبتمبر 2019 ويقضي بتسليم المشتبه به المعروف فقط باسم دياب.

والمشتبه به مطلوب من سلطات ولاية فلوريدا في جنوب شرق الولايات المتحدة، بسبب شبهات بعمليّات غسل أموال تعود إلى أكتوبر 2016. وتُفيد وثائق طلب التسليم بأنّ الرجل يواجه تهماً عدّة تتعلّق بغسل أموال والتآمر بهدف غسل أموال قيمتها أكثر من 100 ألف دولار.

وقالت المحكمة إنّ المشتبه به، بصفته عضواً في حزب الله اللبناني الذي تعتبره الولايات المتحدة منظّمة إرهابيّة، تآمرَ مع أفراد في عام 2014 لغسل أموال مصدرها تهريب مخدّرات.

والقرار 1959 اتُّخِذَ بتاريخ الثاني من سبتمبر سنة 2004 بتأييد تسعة أعضاء وامتناع ستة في مجلس الأمن الدولي عن التصويت، في إطار ما يعرف بالفصل السادس من ميثاق الأمم المتحدة الذي جاء بعنوان "في حل النزاعات سلمياً"، وحصر السلاح بيد الدولة اللبنانية.

ويمتلك حزب الله أسلحة متطورة وصواريخ، وهو أمر تختلف حوله الأطياف السياسية اللبنانية بين من يرى أن تسليح الحزب ضروري لمواجهة إسرائيل، خاصة في الجنوب، وبين من يعتبره غير شرعي ويطالب بحصر قرار الحرب والسلم بيد الدولة فقط.

ويواجه اللبنانيون كما العراقيون منذ العام الماضي نفوذ إيران في بَلَدَيْهم حيث يعد حزب الله امتدادا لهذا النفوذ ولسياسات إيران وأطماعها.

وواجهت آنذاك السلطات اللبنانية، المتحالفة مع الحزب وممثليه في البرلمان، المحتجين سلميا ضد الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي آلت إليها بلادهم بالقمع.

وأرجأ وباء كورونا هذه الاحتجاجات لكنه لم يلغها وينهي الغضب ضد الحزب، حسب ما يقوله مراقبون.

إنذار سوداني لإثيوبيا بسبب الاشتباكات الأخيرة

الخرطوم – أعلن السودان السبت أنه استدعى القائم بالأعمال الإثيوبي وذلك لمناقشة الاشتباكات الأخيرة التي حدثت بين ميليشيا يشتبه بأنها مدعومة من إثيوبيا والقوات السودانية.

وقالت وزارة الخارجية إنها استدعت القائم بالأعمال الإثيوبي في ما يتعلق بالهجوم عبر الحدود الذي تسبب في مقتل وإصابة عدد من أفراد الجيش السوداني والمدنيين.

وكانت وكالة الأنباء السودانية الرسمية قد قالت الخميس إن هجوما استهدف معسكرا في القضارف شرق البلاد.

ووفقا للوكالة ألقى متحدث عسكري سوداني بمسؤولية الهجوم على ميليشيات "مدعومة من إثيوبيا". ولم يرد تعليق بعد من أديس آبابا.

ويعد هذا أول اتهام سوداني علني لإثيوبي بالانخراط في اعتداء على الخرطوم والقوات السودانية.

وبالرغم من هذا الاتهام إلا أن السودان بدى يحاول الدفع نحو التهدئة أكثر مع إثيوبيا.

ويرى مراقبون أن توجه السودان للحوار مع إثيوبيا يشير إلى اختيار الحلول الدبلوماسية بدلا من مواجهة مباشرة مع جارته.

ويشير هؤلاء إلى أن هذه الاشتباكات ليست بمعزل عن ملف سد النهضة حيث ستضعف أكثر آمال التوصل إلى تسوية في ما يخص هذا الملف الذي تجري بشأنه مشاورات بين مصر وإثيوبيا والسودان وفقا لما يراه مراقبون.

وتستخدم مجموعات إثيوبية مزارع في منطقة الفشقة الحدودية السودانية منذ عقود.

وأعاد الجيش السوداني الانتشار في هذه المنطقة وزارها رئيس مجلس السيادة الانتقالي عبدالفتاح البرهان.

وتشهد المنطقة الحدودية توترات مستمرة جراء نشاط عصابات أبرزها عصابات "الشفتا" الإثيوبية حيث تظهر هذه المجموعات من داخل إثيوبيا للقيام بعمليات نهب باتت مقلقة للسودان.

وكانت الحكومة السابقة بقيادة عمر البشير تغض الطرف عن الأمر لكن السلطات الانتقالية الحالية في الخرطوم تحاول دحر تلك المجموعات وطردها.

وقال بيان الخارجية السودانية في وقت سابق إن الهجوم "أدى إلى استشهاد وإصابة عدد من ضباط وأفراد القوات المسلحة ومواطنين سودانيين من بينهم أطفال". ولم يذكر البيان تفاصيل أخرى.

وأضاف البيان أن الهجوم وقع في وقت "كانت الاستعدادات تجري في الخرطوم لعقد الاجتماع الثاني للجنة المشتركة رفيعة المستوى لقضايا الحدود".

والأسبوع الماضي قال وزير الدولة بالخارجية السوداني عمر قمرالدين للصحافيين إن "عدد المزارعين الإثيوبيين الذين يزرعون داخل الأراضي السودانية هو 1786 مزارعا".

وتحيي هذه المستجدات مطالبات بإعادة ترسيم الحدود بين البلدين لم يتم الحسم فيها لاسيما مع تكرر أعمال النهب من الجانب الإثيوبي.

> توجه السودان للحوار مع إثيوبيا يشير إلى اختيار الحلول الدبلوماسية بدلا من المواجهة

وبالرغم من هذه الدعوات إلا أن المنطقة لا تزال تشهد انفلاتا أمنيا بسبب توغل المجموعات الإثيوبية في عدة مرات إلى الأراضي السودانية، والسيطرة على المحاصيل وحتى الدخول في مواجهات مع عناصر الدفاع الشعبي السوداني أدت إلى حدوث خسائر بشرية.

ويرى مراقبون أن الحل لهذه التوترات التي قد تفضي إلى زعزعة الأمن في المنطقة هو الإسراع في ترسيم الحدود.

ويتهم البعض الحكومة السودانية بالتساهل مع الميليشيات الإثيوبية التي لن يقدر الماسكون بزمام الأمور في السودان في الظرف الراهن حسمها بصفة نهائية باعتبار أن السلطات الحالية انتقالية.

وقال قمرالدين في وقت سابق إن بلاده اتفقت مع أديس آبابا على ترسيم الحدود للحد من دخول المزارعين الإثيوبيين إلى أراضيها وذلك في أعقاب مباحثات أجراها وفد سوداني مع نظرائه الإثيوبيين.

وأضاف قمرالدين "اتفقنا مع الاثيوبيين على أن تبدأ اللجنة المشتركة في وضع العلامات المحددة للحدود في أكتوبر القادم على أن تنتهي من عملها في مارس 2021".

أردوغان يسابق الزمن لقطع الطريق أمام المعارضة في الانتخابات المقبلة

أنقرة – يخطط حزب العدالة والتنمية الإسلامي في تركيا لقطع الطريق أمام المعارضة في انتخابات 2023 خاصة مع تآكل الخزان الانتخابي لزعيمه الرئيس رجب طيب أردوغان.

وعقد الحزب الذي مُني بهزائم كبيرة خلال الانتخابات المحلية الأخيرة اجتماعا لمناقشة تداعيات تراجعه في استطلاعات الرأي الأخيرة.

ورجح مراقبون أن يكون أردوغان وقيادات حزبه يبحثون عن منفذ لضرب معارضيهم خاصة الذين باتوا منهم يمثلون قوة ضاربة في استطلاعات الرأي.

وتتخوف الأوساط المعارضة التركية من تحركات جديدة للسلطة قد تشكل عقبة أمام ترشح شخصيات بارزة لمواجهة أردوغان الذي تراجعت شعبيته بشكل كبير.

وجاءت خطوة حزب العدالة والتنمية بعد تشكيل أبرز حلفاء أردوغان السابقين أحزاب وهما رئيس الوزراء السابق أحمد داود أوغلو والمسؤول السابق عن تنسيق الشؤون الاقتصادية في الحكومة علي باباجان.

وشكّل الطرفان حزبين سياسيين منفصلين خلال الأشهر الماضية لمنافسة حزب العدالة والتنمية.

ووجّه باباجان على سبيل المثال انتقادات لاذعة في وقت سابق لخيارات أردوغان متهما إياه بتدمير تركيا وديمقراطيتها.

ويرى مراقبون أن باباجان وداود أوغلو لهما القدرة على استمالة أصوات من حزب العدالة والتنمية في الانتخابات المقبلة التي ستحدد مستقبل أردوغان ورفاقه.

وقال ثلاثة من المسؤولين في الحزب الحاكم إنه لا نيّة لإجراء انتخابات قبل موعدها المقرر عام 2023.

وأضافوا أن الإجراءات المزمع اتخاذها لا تهدف لحجب الأحزاب الجديدة بل لمنع مناورة سياسية استخدمت في الماضي.

وكان 15 عضوا في البرلمان تابعين لحزب المعارضة الرئيسي، حزب الشعب الجمهوري، قد انتقلوا عام 2018 إلى الحزب الصالح الجديد ليتمكنوا من خوض انتخابات مبكرة بتشكيل مجموعة برلمانية. وقال مسؤول في حزب العدالة والتنمية إن الإجراءات الجديدة ستمنع الأحزاب من تشكيل مجموعات برلمانية بهذه "الطريقة غير الأخلاقية".

ومن شأن الإجراءات أن تخفض الحد الأدنى من الأصوات اللازم لدخول الأحزاب البرلمان إلى خمسة في المئة بدلا من عشرة في المئة.

ولكن الأهم بالنسبة للأحزاب الجديدة أنها ستمنع عمليات النقل التكتيكية بين الأحزاب كتلك التي حدثت عام 2018.

وقال المسؤول في حزب العدالة والتنمية إن الحكومة تتوقع تقديم التعديلات إلى البرلمان بحلول يونيو.

وكان حزب الشعب الجمهوري قد أشار إلى أنه سيقدم الدعم للأحزاب الجديدة، مما دفع ناجي بستانجي، أحد كبار مسؤولي حزب العدالة والتنمية، للقول إن حزبه يعمل مع حلفائه في حزب الحركة القومية لمنع محاولات "تسويق" مشرعين بطريقة مخالفة للديمقراطية.

وللمشاركة في الانتخابات، يتحتم على الحزب أن يكون قد عقد مؤتمرا وشكل هيكلا حزبيا في نصف الأقاليم التركية، أو أن يكون لديه بالفعل مجموعة من 20 نائبا على الأقل في البرلمان، وهي معايير لا يستوفيها الحزبان الجديدان بعد.

وقال مسؤول رفيع في حزب "ديفا" الجديد الذي يتزعمه باباجان "من الواضح أن أي تشريع قانوني بخصوص الأحزاب السياسية، يتم طرحه لمنع الأحزاب الجديدة كحزبنا من دخول الانتخابات".

وقال سليم تمرجي، المتحدث باسم حزب المستقبل الذي يتزعمه داود أوغلو، إن حزبه على وشك استيفاء شروط القانون وسيعقد مؤتمرا في أغسطس.

ومن جهة أخرى، أظهرت استطلاعات الرأي الأخيرة تزايد التأييد لأكبر أحزاب المعارضة التركية، في الوقت الذي اضطرت فيه البلديات التي يسيطر عليها حزب الشعب الجمهوري، بما في ذلك أكبر ثلاث مقاطعات، إسطنبول وأنقرة وإزمير، إلى إيجاد طرق مبتكرة لدعم ناخبيها في مواجهة العداء الحكومي ضدّ الخدمات البلدية التي تمّ اتخاذها لمواجهة وباء كورونا، بينما بدأت الحكومة التركية بمحاصرتهم بالاتهامات والدعاوى القضائية.

وقال الكاتب والمحلل التركي أورهان أوروغلو، إن حزب الشعب الجمهوري المعارض الرئيسي في تركيا، سوف يساعد الأحزاب التي شكلها مشقوون عن حزب العدالة والتنمية الحاكم، على دخول البرلمان التركي، وهما حزبا داود أوغلو وعلي باباجان.

> المعارضة التركية تتخوف من تحركات جديدة للسلطة قد تشكل عقبة أمام ترشح شخصيات بارزة لمواجهة أردوغان الذي تراجعت شعبيته

وكشف أوروغلو بالمقابل، أن زعيم حزب الشعب الجمهوري كمال كيليجدار أوغلو أخبره أن حزبه سوف يسعى إلى تغيير الحد الأدنى لدخول البرلمان، والبالغ 10 في المئة، من أجل دعم الديمقراطية، مُعتبراً أنّه "يجب تمثيل كل حزب في المجلس". وأوضح المحلل التركي أن (ديفا) وحزب المستقبل سوف يُدرجان في تحالف الأمة الانتخابي الرئيسي للمعارضة.

ودفع تأسيس حزب باباجان الجديد (ديفا) في مارس الماضي وحزب المستقبل بقيادة رئيس الوزراء السابق في ديسمبر الماضي، إلى التكهن بأن الانشقاقات في الحزب الحاكم يمكن أن تشكل تحديا قويا لأردوغان.

وكان علي باباجان نائب رئيس الوزراء التركي السابق، قال مؤخراً إن هناك فرصة في أن تجري تركيا انتخابات مبكرة في عام 2021 أو 2022. وقال إنه لم يتوقع إجراء انتخابات مبكرة قبل موعدها المقرر في عام 2023 لأن حزب العدالة والتنمية الحاكم في وضع ضعيف حاليًا.

وبينما يرى أن إجراء الانتخابات هذا العام خلال ذروة تفشي فايروس كورونا غير واردة أبدا، فإن احتمال إجراءها في 2021 أو 2022 سيكون أعلى قليلا. وكانت هناك تكهنات في الآونة الأخيرة بأن الرئيس التركي قد يدعو إلى إجراء انتخابات مبكرة، كما فعل في الماضي عندما كانت تأتي لصالحه.

وفي حديثه عن الشائعات حول أنّ الحكومة قد تُغير نظام التصويت للانتخابات الرئاسية المقبلة من أجل تحقيق انتصار أسهل لأردوغان، قال باباجان إن الشعب التركي لن يقبل مثل هذه الخطوة وأن ذلك سيدفع "الطريق إلى النهاية"، في إشارة إلى هزيمة أردوغان المرتقبة في صناديق الاقتراع.

وتعهد باباجان، الذي استقال من حزب العدالة والتنمية بعد تيقنه من استحالة إحداث تغيير داخله، بالقيام بإصلاحات كبيرة في مجالات حقوق الإنسان والديمقراطية في تركيا إذا تمكن إلى جانب حزبه من الوصول إلى السلطة.

ويرى مراقبون أن هذا التعهّد يغري الناخب التركي الذي سئم انتهاكات حقوق الإنسان، خاصة بعد الانتكاسات التي تعرضت لها حرية التعبير وغيرها في بلاده.

سباق رئاسي محموم في2023

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

لماذا تقدم معسكر التوتر والإرهاب على السلام والتنمية في القرن الأفريقي

تركيا وقطر تستقطبان القوى المحلية لتغذية الصراع

مستقبل غامض

تعثرت آمال السلام في منطقة القرن الأفريقي مع عودة التوترات القبلية في جنوب السودان وانشقاق الجبهة الثورية في السودان، إضافة إلى انشغال إثيوبيا بالصراعات الحدودية، ومع عودة التوتر يحذر متابعون من استغلال أطراف خارجية بعينها مثل قطر وتركيا النزاعات لتحقيق أجندتهما التوسعية وضمان استمرار محورهما في المنطقة.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

قبل نحو عام أو يزيد، شاع حديث متفائل حول اقتراب الهدوء والأمن والاستقرار والسلام والتنمية من منطقة القرن الأفريقي، وظهرت معطيات إيجابية في غالبية الدول، جميعها ذهبت إلى طي صفحة قاتمة وفتح أخرى زاهية، وبدأ الراغبون في إطفاء الحرائق يتزايدون، والمؤيدون لإشعال التوترات يتراجعون. اطمأنت دوائر متعددة بأن خريف المنطقة أوشك على الرحيل، ليفسح المجال أمام ولوج ربيع سياسي واقتصادي واجتماعي غاب طويلا.

تعزز هذا الاتجاه، مع صمود اتفاق السلام بين إثيوبيا وإريتريا، ونجاح الثورة السودانية في عبور مرحلة ما بعد رحيل نظام عمر البشير دون انتكاسات كبيرة، وظهور مؤشرات على غلق صفحة الحرب الأهلية في جنوب السودان، ناهيك عن ارتفاع حظوظ التعاون بين غالبية دول القرن الأفريقي، وتجاوز جوانب كبيرة في العداوات السابقة بين معظم الدول، أو على الأقل نمو معالم التجاوب مع رياح السلام ومشروعات التنمية.

بدأت تذهب تدريجيا الأجواء المتفائلة، وتحل مكانها أخرى متشائمة. فإثيوبيا التي لعبت دورا في الانتقال السياسي السلس في الخرطوم تنشغل بمعارك حدودية كامنة مع السودان، أفضت إلى توتر غير مسبوق الخميس الماضي، وتراوغ في أو تتقاعس عن اتخاذ الترتيبات اللازمة لتنفيذ التعهدات المشتركة بين الجانبين، حتى تحولت منطقة "الفشقة" السودانية إلى منغص قوي في جسم العلاقات بين البلدين، يضاف إلى توتر مكتوم بشأن مشروع سد النهضة وآليات ضمان عدم الإضرار بحصص المياه وعناصر الأمان.

تخلت أديس أبابا نسبيا عن دورها كضابط إيقاع في المنطقة وتحولت إلى أحد عناصر التوتر، حيث استأنفت تدخلاتها في الأراضي الصومالية وضاعفت من حضورها في بعض أقاليمه، وتجمدت تقريبا طموحات السلام مع إريتريا، وفتحت قنوات تواصل أوسع مع قوى مثل تركيا وقطر، معروف أن مصالحهما لا تلتقي مع توفير الأمن والاستقرار، ولديهما علاقات مشبوهة مع تنظيمات تمارس الإرهاب في المنطقة، في مقدمتها حركة الشباب الصومالية.

وعادت السخونة إلى الخلاف حول مناطق حدودية بحرية بين الصومال وكينيا، ولم تفلح الجهود السابقة لتجاوزه في أن تحقق تقدما ملموسا، لأن هناك قوى إقليمية عملت على تغذيته، وحالت تصرفاتها السلبية وأطماعها الاقتصادية دون تهدئته، كي يظل الخلاف جرحا غائرا قابلا للنزيف، كلما لاحت في الأفق ملامح سلام بين الطرفين.

سخونة متجددة

حدثت استدارة قوية في دولة جنوب السودان، وعادت لتعيش في كنف بركان قبلي عاصف، وذهب قبل أيام مئات من المواطنين ضحايا اشتباكات في منطقة جونجلي، وبات اتفاق السلام مترنحا مرة أخرى بين الرئيس سلفا كير ميارديت ونائبه الأول رياك مشار، وأصبحت الدولة الوليدة مهددة بالتشرذم أكثر من أي وقت مضى، ولم تتدخل قوى إقليمية أو دولية لسد الفجوات، وإبعاد شبح الحرب الأهلية، وما تفضي إليه من تداعيات داخلية وعلى دول الجوار.

كما أن خطوات تحقيق السلام في السودان خلال الستة أشهر الأولى من عمر الفترة الانتقالية، جرى تجاوزها بنحو ثلاثة أشهر ولم تحرز تقدما حقيقيا، وبدت وساطة جنوب السودان عاجزة أو مكبلة، والمسافات لا تزال متباعدة بين المسارات الرئيسية المنوط بها توفير السلام.

تؤكد هذه المعطيات أن هناك انسدادا واضحا يعتري الدول التي قررت الانخراط في طريق السلام بوتيرة متسارعة، قسرا أو طوعا، ولم يعد المجال ممهدا لتدشين مشروعات تنموية تنقل دول المنطقة إلى فضاء أرحب، وكأن هناك رياحا هبت لتحول دون الآمال والطموحات التي راهنت على توفير السلام والاعتماد على التنمية للخروج من مستنقع الأزمات الذي تعيش فيه منطقة القرن الأفريقي منذ عقود.

يمكن صياغة الاستنتاج في شكل أسئلة، هل دول المنطقة غير راغبة في الأمن والاستقرار أم غير قادرة على الوصول إليهما، أم أن ثمة أطرافا خارجية تعبث بمصيرها، وترى أن مصالحها ومكاسبها تتصاعد في ظل انتشار النزاعات والصراعات، لذلك ظهرت فجأة توترات بين دول أوشكت على قطع صلتها بماضي مرير كان لا يعبأ بفكرتي السلام والتنمية؟

تشير النتيجة التي وصلت إليها المنطقة إلى تأثير كل هذه المحددات، حيث أسهمت جميعها في خلق الصورة القاتمة الراهنة، وتضعف الأمل في استئناف الزخم السابق، وتضاف إليها المكونات الناجمة عن أزمة فايروس كورونا، وما أدى إليه من تغير واضح في سلم الأولويات والحسابات، ونجاح بعض القوى في استثماره لتغيير التوازنات في المنطقة.

تعتاش بعض الأنظمة العربية والأفريقية على النزاعات، ولو لم تجدها لابتدعتها أحيانا، وتعتقد أنها كفيلة بعدم توجيه الانتقادات إليها أو تخفيف حدتها، استنادا إلى قاعدة تقول إذا أردت أن توحد شعبا فأوجد له عدوا مخيفا، ولأن معظم حكام المنطقة يعانون من مشكلات داخلية مزمنة، رفعوا هذه القاعدة إلى مكانة عالية، وكلما احتدمت الأزمات الداخلية زادت المناوشات الخارجية عمدا أو عن جهل، كي تتجه الأنظار بعيدا عنهم، وتخجل المعارضة من مواصلة انتقاداتها للأوضاع المحلية.

> جهات خارجية تعمل على استقطاب قوى محلية، وتطلق العنان لتنظيمات متشددة تمارس أنشطتها الإجرامية على نطاق واسع

إذا طبقنا هذه الفرضية، وهي صحيحة غالبا، على دول المنطقة سنجد آثارها جلية، وإذا لم تكن هناك رغبة في افتعال توتر ما، فلا توجد ممانعة في الانسياق خلفه أو رفض تحجيمه، بدواع وطنية زائفة أو التغطية على ملفاتٍ شائكة، يأتي ذلك من رحم عدم وجود إرادة سياسية كافية لتطبيق السلام، وعدم الاقتناع بربطه بمشروعات تنموية يمكن أن تغير شكل المنطقة.

رهانات محفوفة بمخاطر

راهنت بعض التقديرات على القيادة الواعدة في دولتين تقعان في قلب القرن الأفريقي، هما إثيوبيا والسودان، لتقودا المنطقة إلى نقلة تضفي عليها بريقا، وتجعلها مركزا للتكامل بين دولها وبين دول من خارجها ترى أن هناك فرصا تستطيع أن تغير وجهها من بؤرة للتوترات إلى مركز جذب للاستثمارات ووأد القوى المتشددة التي تقتات على الصراعات.

يتراجع المستوى المتفائل مع عمق المشكلات الداخلية التي تواجهها الحكومة الإثيوبية وتزايد ضغوط المعارضة، والتي دفعتها إلى تأجيل الانتخابات العامة في أغسطس المقبل لأجل غير مسمى، ومواجهة أزمة دستورية حادة، حتى لو كان ستار التأجيل كورونا، كما أن السلطة الحالية في الخرطوم تصطدم بتحديات كبيرة، تحد من قدرتها على الوفاء باستحقاقات سياسية تضمنتها وثيقة دستورية رسمت خارطة الطريق للمرحلة الانتقالية.

كان من المفترض أن تؤدي هذه الأوضاع في البلدين إلى التصميم على استكمال طموحات السلام وبلورة أحلام التنمية، لكن ما حدث أن القيادتين ارتاحتا للتوترات البينية والإقليمية للخروج من مأزق يطوق عنق كل منهما، والاستسلام للوقوع في فخ الدائرة الجهنمية المليئة بالنزاعات لتخنق رقاب العديد من دول المنطقة، وينطفئ نور أرخى بظلاله لفترة، وأنعش الأمل لدى دوائر سياسية اعتقدت أنه حان وقت الأمن والاستقرار في القرن الأفريقي.

أسهم في العودة إلى الخندق المظلم، وجود جهات خارجية عملت على استقطاب قوى محلية، في الحكم والمعارضة، وأمعنت في توفير العوامل اللازمة لعدم مبارحة البيئة الصراعية، وأطلقت العنان لتنظيمات متشددة تمارس أنشطتها الإجرامية على نطاق واسع، وتخلط الأوراق التي تصور البعض أنه جرى ترتيبها بما لا يسمح لهؤلاء بالتلاعب بمصير منطقة تعيش منذ زمن على براكين قابلة للانفجار في أي لحظة.

زادت العمليات الإرهابية في الصومال، وتنامى في كل من إثيوبيا وجنوب السودان شبح صدامات قبلية ومناطقية وعرة، وأخذت التحرشات الحدودية تطل برأسها بين دول المنطقة وقد تخرج عن السيطرة، كما تعاني إريتريا أزمة هيكلية تتعلق بالمرحلة التالية لغياب الرئيس أسياسي أفورقي عن السلطة بعد أكثر من عقدين من جلوسه على كرسيها، حيث ترددت معلومات حول اشتداد المرض عليه ووجود نزاعات خفية بين أجنحة متباينة حول خلافته.

وأفضى عدم الاستقرار السياسي الذي يخيم على المنطقة إلى زيادة أطماع دول مثل تركيا وقطر لتحقيق أغراضهما، ووجدتا في ذلك بيئة مناسبة لاستمرار محورهما الذي يتغذى على الهدم والإرهاب، ولذلك أصبح الراغبون في تعميم محور السلام والتنمية مطالبين باستئناف جهودهم لاستعادة الزخم قبل أن تستكين دول القرن الأفريقي لما عرفته من نزاعات.

سلفيو مصر يتلقفون تولية الأقباط مناصب عليا للتقارب مع الحكومة

أحمد حافظ
كاتب مصري

القاهرة - تلقف التيار السلفي في مصر إطلاق بعض الأصوات المناوئة للحكومة دعوات جديدة ومفتعلة لتولية الأقباط المناصب العليا في الدولة كمدخل لإثارة توترات داخلية، وعزف السلفيون عليها لحنا يفيد بمحاولة انتهاز الفرصة وإظهار الولاء للحكومة والدفاع عنها وتصوير أنفسهم كظهير سياسي معتدل لا يستحق التطويق الراهن.

وبدا التحرك المناهض لورقة الفتنة الطائفية والمطالبة بالتوسع في تصعيد الأقباط لمناصب حيوية أخيرا، بتبرير عدم اتجاه السلطة إلى المزيد من الاعتماد على المسيحيين في قيادة المؤسسات الهامة، باعتبار أن الدولة المسلمة لا يقودها إلا مسلمون.

حاول السلفيون تحسين صورتهم أمام الحكومة في ظل حربها على الإرهاب وداعميه، باعتبارهم ضمن الفئة القادرة على خدمة النظام في مواجهته للعناصر المتطرفة، وأنهم قريبون من قاعدته الوطنية وليس العكس.

بلغت درجة التماهي في إظهار التناغم مع السلطة حد مطالبة سلفيين بإتاحة الفرصة أمامهم لدعم استقرار الدولة وفتح قنوات فضائية تواجه شائعات وأكاذيب المنابر الإعلامية للإخوان، بذريعة أن السلفيين حاضرون في كل المحافظات، ولديهم حواضن شعبية قادرة على هزيمة التنظيمات الإرهابية، والتصدي لكل من يريد النيل من السلطة، في محاولة لتغيير الصورة النمطية التي وضعتهم مع الإخوان والإرهابيين في خندق واحد، وقللت من حظوظهم السياسية، بعد أن كانوا إحدى الأدوات التي استخدمها النظام عقب ثورة 30 يونيو 2013.

تبدو دعوة السلفيين إلى التبرع لمواجهة الإخوان وطنية في ظاهرها، لكن متابعين وصفوها بأنها مناورة تهدف إلى إضفاء شرعية جديدة عليهم، بعد تآكل شرعيتهم السابقة، بحيث يكون لهم حضور سياسي اضطراري برغبة حكومية تحت وقع الضغوط الإخوانية. وفي حال تحقق الغرض تكون لهم منابر إعلامية تعوضهم عن المنابر الدعوية التي جفت في المساجد، وتتدفق الدماء في عروق حزبهم السياسي "النور" ليمارس نشاطه في الشارع.

وأكد جهاد عودة أستاذ العلوم السياسية بجامعة حلوان، شمال القاهرة، أن "السلفيين والإخوان يخدمان أهداف بعضهما البعض بدرجات متفاوتة، بمعنى أنه يتم تقسيم الأدوار بينهما، بدليل أن الكثير من شيوخ التيار السلفي يتعمدون صناعة توترات طائفية وأمنية يتلقفها الإخوان لتصعيد نبرة العداء ضد الحكومة، أو العكس".

ولفت عودة في تصريحات لـ"العرب"، إلى أن تبرع التيار السلفي بمواجهة الإخوان جزء من المناورة السياسية حتى تقبل الحكومة وجودهم كأمر واقع، وتوافق على صعودهم السياسي كفصيل مقاوم للجماعات المسلحة، لكن تظل أزمة السلطة في إقصاء هؤلاء أنهم يلعبون على وتر تعاطف المتدينين، ونجح البعض من أصحاب اللحى في إقناع الناس بأن استهدافهم حرب على الإسلام، وليس على فصيل سياسي انتهازي.

وتزامنت رغبة السلفيين في الدفاع عن الحكومة مع اتساع دائرة الملاحقة الأمنية لمن تمرد منهم على قرارات غلق المساجد كأحد إجراءات الوقاية من تفشي وباء كورونا، وأرادوا من التصدي لدعوات إثارة أزمة داخلية من ثغرة الأقباط تخفيف حدة الحصار المفروض عليهم دعويا وسياسيا، لأنهم يجيدون التكيف مع التحديات التي تواجههم بالشكل الذي يتيح لهم البقاء.

ولم تلق دعوات منح الأقباط أولوية في تولي المناصب الحيوية أصداء في أوساطهم، لأنها إسطوانة قديمة تتجدد كلما حاولت بعض الجهات ابتزاز النظام الحاكم، أو إحداث فتنة وقت الفراغ السياسي، وفوتوا الفرصة على التجاوب معها، لأنهم يعلمون من يقفون خلفها وأهدافهم، وحتى لو كانت لهم مطالب مؤجلة في هذا الفضاء.

نجحت الحكومة في توصيل رسائل سياسية رادعة بأنها لن تتوقف عن ملاحقة داعمي الإرهاب بالقول أو الفعل أو استحضار فتاوى الماضي لإحداث توترات داخلية لأغراض سياسية والعمل كسلطة موازية ، وهي رسائل دفعت الكثير من السلفيين إلى محاولة النأي بأنفسهم عن الاستمرار في التمرد، والبحث عن أيّ فرصة لإظهار الولاء السياسي.

> تبرع السلفيين لمواجهة الإخوان يبدو وطنيا في ظاهره، لكن متابعين يعتبرونه مناورة للبحث عن شرعية جديدة

ولم تخل الهجمة السلفية على الدعوات الإخوانية الرامية إلى تأليب الأقباط على الحكومة من إصرار على تكفير هذه الطائفة لإقناع مؤيديهم في الشارع بأن دعمهم للسلطة والوقوف إلى جانبها وقت الحاجة لا يعنيان التخلي عن ثوابت نظرتهم إلى المسيحيين، ودون أن يدركوا إصرار الحكومة على التعامل معهم بسياسة "احتواؤكم أفضل من تحولكم إلى إرهابيين".

وقال أحمد كامل بحيري، الباحث المتخصص في شؤون الإسلام السياسي، إن "التيار السلفي لم يفهم بعد أن هناك خطوطا حمراء تضعها الحكومة أمام عودة أي فصيل ديني لممارسة السياسة واستغلال العاطفة المجتمعية تجاه الدين لتحقيق أغراض مشبوهة تكرر التجربة المريرة لتنظيم جماعة الإخوان".

وأضاف بحيري لـ"العرب" أن قفزة السلفيين على مشهد المواجهة مع مناوئي الحكومة الراغبين في استغلال ورقة الأقباط للضغط عليها محاولة لإحداث توازن في خطاب دعوي مصبوغ بالسياسة، بين ضرب مدنية الدولة ومبدأ المواطنة، وإظهار الولاء لسلطة تتمسك بعدم التفريق بين المسلم والمسيحي في الحقوق والواجبات والخدمات وأغلب المناصب.

وتظل أزمة التيار السلفي في أنه يريد تقديم نفسه على أنه فصيل ديني – سياسي بديل عن الإخوان، لكن بنفس الفكر والأيديولوجيا، ومطلوب من الحكومة أن تتقبله وتدمجه في المجتمع وتمنحه مساحة من المشاركة السياسية دون تنازلات أو إقصاء لشيوخه المتشددين الذين يتولون زمام القيادة داخله.

التيار السلفي يناور مجددا

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

فنّ لبناني اسمه تحويل الانتصار إلى هزيمة

لبنان في مهب الريح

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

لا يزال لبنان في حال هرب مستمرّ من واقع المأساة التي يعيشها. لب هذه المأساة رفض مواجهة الحقيقة والبديهيات والاعتراف بأنّ ليس في الإمكان قيام دولة حديثة في ظلّ سلاح غير شرعي تستخدمه ميليشيا مذهبية تابعة لإيران من أجل فرض أجندتها على البلد.

لا يدلّ على عمق المأساة اللبنانية أكثر من الذكرى العشرين للانسحاب الإسرائيلي من الشريط الحدودي من الجنوب تنفيذا للقرار الرقم 425 الصادر عن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في العام 1978. احتفل لبنان بمرور عشرين عاما على الانسحاب فيما مصيره في مهبّ الريح وفي ظلّ انهيار اقتصادي لم يشهد البلد مثيلا له في تاريخه الحديث. يمتد هذا التاريخ إلى العام 1920 تاريخ إعلان لبنان الكبير.

بدل أن يفهم لبنان أن عليه الاستفادة من الانسحاب الإسرائيلي، إذا به يجد من يختلق قضيّة مزارع شبعا لتبرير بقاء سلاح «المقاومة»، وهو سلاح موجّه إلى صدور اللبنانيين خدمة لمشروع سوري – إيراني

يصعب تصديق أنّ لبنان أضاع كلّ الفرص التي أتيحت له وحوّل الانسحاب إلى هزيمة له. ليس مفهوما لماذا إصرار اللبنانيين بكلّ هذه القوّة على الضحك على أنفسهم. إنّه فن لبناني بحدّ ذاته لا تفسّره سوى تلك الرغبة غير المبررة في الانتحار والقضاء على بلد كان في الماضي مزدهرا ومتطورا على كلّ الصعد. ترمز إلى ذلك الجامعة الأميركية في بيروت التي صار عمرها 154 عاما بالتمام والكمال والتي تواجه حاليا أزمة مالية حقيقية.

طوال عشرين عاما، عمل لبنان على تدمير نفسه بدل فتح آفاق جديدة أمام الانصراف إلى متابعة مشروع الإنماء والإعمار وتكريس القدرة على استعادة البلد لعافيته؟ لم يحصل شيء من ذلك. انسحبت إسرائيل في السنة 2000 لأسباب خاصة بها. يمكن الدخول في جدل طويل في شأن الأسباب الحقيقية للانسحاب الإسرائيلي وخلفياته. كذلك، يمكن اعتبار أنّ "حزب الله"، الذي كان يقاوم الاحتلال الإسرائيلي، حقّق انتصارا كبيرا.

لماذا لم يستفد لبنان من الانسحاب ومن اعتراف مجلس الأمن بأن إسرائيل نفّذت القرار 425 وانسحبت إلى ما يسمّى "الخط الأزرق"... أم كلّ ما في الأمر أن "حزب الله" انتصر على لبنان وحوّله إلى ورقة إيرانية؟ يظلّ السؤال الكبير كيف يستطيع لبنان تحويل الانتصار إلى هزيمة؟ يبدو أن هذا الأمر فنّ بحدّ ذاته. إنّه فنّ لا يمتلكه سوى اللبنانيين. يمتلكه "حزب الله" على وجه الخصوص، الذي لا يعرف أن الانتصار على لبنان وجعله في خدمة المشروع التوسّعي الإيراني لا يعني انتصارا من أيّ نوع على إسرائيل.

بدل أن يكون الانتصار انتصارا لبنانيا، تحوّل الانسحاب إلى انتصار لـ"حزب الله"، ومن خلفه النظام السوري وإيران اللذين استطاعا إبقاء لبنان، خصوصا جنوبه، في أسر الوصاية المشتركة تمهيدا للوصول إلى الوصاية الأحادية في نيسان – أبريل من العام 2005. وقتذاك، انسحب الجيش السوري وأجهزته الأمنية من الأراضي اللبنانية نتيجة اغتيال الرئيس رفيق الحريري ورفاقه. ترك هذا الانسحاب لإيران ملء الفراغ الأمني في لبنان، وهذا ما سارع "حزب الله" إلى عمله بصفة كونه أحد ألوية "الحرس الثوري" الإيراني لا أكثر...

بعد عشرين عاما على الانسحاب الإسرائيلي، أين إسرائيل وأين لبنان؟ تستعد إسرائيل حاليا لتكريس احتلالها لجزء من الضفّة الغربية وللأغوار بعدما انتهت من ضمّ القدس التي انتقلت إليها السفارة الأميركية في عهد دونالد ترامب. لم تكن لدى إسرائيل أهداف محددة في جنوب لبنان وذلك في مرحلة ما بعد حرب صيف العام 1982. وجدت وقتذاك أنّ ثمن بقائها فيه سيكلّفها مقتل عدد من جنودها سنويا.. ففضّلت الانسحاب. في المقابل، قررت التمسّك بالبقاء في الضفّة الغربية، بغض النظر عن عدد الجنود الذين ستفقدهم فيها، في ضوء امتلاكها هدفا واضحا محدّدا جدا وبدقّة. هذا ما يتأكّد اليوم في ظلّ استعداد أميركي لقبول ما تطالب به إسرائيل. لعلّ أقصى ما يمكن أن تطالب به إدارة دونالد ترامب يتمثّل في تأخير ضمّ "حكومة الطوارئ"، برئاسة بنيامين نتنياهو، المستوطنات المئة وثلاثين مستوطنة التي أنشئت في الضفة المحتلّة.

بدل أن يفهم لبنان أن عليه الاستفادة إلى أبعد حدود من الانسحاب الإسرائيلي، إذا به يجد من يختلق قضيّة مزارع شبعا لتبرير بقاء سلاح "المقاومة"، وهو سلاح موجّه إلى صدور اللبنانيين العزل خدمة لمشروع سوري – إيراني في البداية ما لبث أن تحوّل إلى مشروع إيراني لا أفق له سوى تدمير البلد على أبنائه وإنهاء دوره المميز في المنطقة.

كان الانسحاب الإسرائيلي أحد المنعطفات المهمّة التي مرّ فيها لبنان في قرن من الزمن، لكنّه من أكثر المنعطفات خطورة نظرا إلى أنّه كشف مدى عدوانية المشروع التوسّعي الإيراني الذي يستهدف لبنان مباشرة عبر الرغبة في تغيير طبيعة المجتمع الشيعي وصولا إلى تغيير طبيعة البلد بكلّ طوائفه ومذاهبه ومناطقه. لا يوجد دليل على ذلك أفضل من الخطاب الذي ألقاه في مناسبة عيد الفطر المفتي الجعفري الممتاز أحمد قبلان. نسف المفتي فكرة لبنان من أساسها. أعاد إلى الأذهان البيان التأسيسي لـ"حزب الله" الذي ورد فيه: "نواجه النظام القائم في لبنان لكونه صنيعة الاستكبار العالمي وجزءا من الخارطة السياسية المعادية للإسلام ولكونه تركيبة ظالمة في أساسها لا ينفع معها أي إصلاح أو ترقيع، بل لا بد من تغييرها من جذورها".

من أسوأ ما حصل في السنوات العشرين الماضية، إضافة إلى أن "حزب الله" صار من يقرّر من هو رئيس الجمهورية المسيحي ورئيس مجلس الوزراء السنّي، انهيار النظام المصرفي اللبناني وبداية انهيار النظام التعليمي. أن يقرّر "حزب الله" من هو رئيس الجمهورية ومن هو رئيس الوزراء، في خطورة توقيع اتفاق القاهرة في العام 1969.

يبقى أن الطامة الكبرى في لبنان غياب من يقول الأشياء كما هي، بما في ذلك أن لبنان لم يستطع الاستفادة من الانسحاب الإسرائيلي لأسباب أكثر من معروفة. في مقدّم هذه الأسباب أن لبنان لم يعد يمتلك في أيّامنا هذه قيادة سياسية قادرة على التحذير بالصوت الملآن، بلسان المسيحيين قبل المسلمين، من خطورة أي سلاح غير شرعي على بلدهم ومستقبله. كان المسيحيون في الماضي قدوة في هذا المجال. باتوا حاليا، باستثناءات قليلة جدّا، أسرى الوصول إلى رئاسة الجمهورية بفضل "حزب الله" ولا أحد غيره.

يحصد لبنان حاليا نتيجة رفع شعار من نوع "الشعب، الجيش، المقاومة"، وهو الشعار الذي قاد إلى الكارثة الحالية.. كارثة إفقار لبنان واللبنانيين ودفع الشباب إلى هجرة جماعية على غرار تلك حدثت في الأعوام 1988 و1989 و1990 عندما أقام ميشال عون للمرّة الأولى في القصر الجمهوري.

حكومات النفخة الكذابة

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

في مواجهة المآزق المعيشية والصحية التي يعاني منها المواطن الإيراني كان مؤملا أن توقف القيادة الإيرانية الكثير من نشاطاتها الحكومية والعسكرية غير الضرورية التي يمكن إلغاؤها أو تأجيلها، خصوصا إذا كانت ذات كلفة ترهق خزينتها المتعبة، أصلا، لتبرهن على حبها لشعبها، ثم تقرر منح كل مواطن مبلغا عاجلا من المال يعينه على مواجهة الفاقة والعوز والمرض والخوف، أو تعلن عن إلغاء رسوم أو ضريبة، أو تغلق مؤسسات ووزارات وسفارات، لتوفير ما يمكن توفيره، إن لم يكن بدافع الوطنية أو النفاق السياسي لتهدئة خواطر المواطنين الناقمين، فإكراما للعمائم البيض والسود والخضر التي يحكم بها الوليُّ الفقيه ومستشاروه وقادة نظامه العسكريون والمدنيون.

ولكن اللواء علي رضا تنغسيري، قائد القوات البحرية الإيرانية، في عز كارثة كورونا وعقوبات ترامب، يزف لمواطنيه خبر انغماس حكومته في العمل، حاليا، على تصميم سفينتين عسكريتين، واحدة ستحمل اسم (قاسم سليماني) والثانية ستكون باسم (أبومهدي المهندس).

ونقل موقع وكالة "فارس" الإيرانية عنه قوله إنه "تسلم مجموعة كبيرة من الزوارق البحرية السريعة تضم 112 زورقا هجوميا قاذفا للصواريخ من طراز ذوالفقار وحيدر وميعاد". وأنها سوف "تزيد القوة الهجومية للقوات البحرية في الحرس الثوري في مياه الخليج". وسوف "تتواجد إلى جانب الأميركان أينما حلوا". مؤكدا "نحن نأخذ التهديدات الأميركية على محمل الجد، لا نخشى الموت، ومستعدون للتضحية، وسنوجّه صفعة للعدو في أي مواجهة".

شيء مؤسف، حقيقةً. فإن أخطر ما في الحاكم، أي حاكم، أن يجهل ما حوله، ومَن حوله، كمن يفقد البوصلة، ويُبحر في العواصف والظلمات دون معين ولا نصير.

وهنا نسأل، إلى أين تتجه القيادة الإيرانية بوطنها وشعبها، ولمَ، وكيف، وهي التي يعلم أهلُ بيتها، قبل غيرهم من الأجانب الغرباء، بواقع حالها الحقيقي، وبحجم المآزق والتحديات التي تتجمع عليها من كل جانب، حتى من قبل مجيء الرئيس الأميركي دونالد ترامب المجند لتخييرها بين مفاوضات شاملة تُنهي هذه الدوامة المنهكة للطرفين ولشعبها وشعوب المنطقة، وبين الانهيار الاقتصادي الآتي إليها شاء من شاء وأبى من أبى.

في 2 أبريل 2015 توصل النظام الإيراني والصين وروسيا وأميركا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا إلى بيان مشترك يتضمن الموافقة على تسوية نهائية تضمن الطابع السلمي للبرنامج النووي الإيراني، وتم توقيع الاتفاق النهائي في يونيو من نفس العام.

ومن أبشع أنواع القصور العقلي السياسي الاستراتيجي إقدامُ الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما على الإفراج عن 130 مليار دولار مكافأةً منه لإيران، أملا في أن يساعد ذلك على تحويلها من دولة مارقة إلى دولة مدنية طبيعية تتعايش مع المجتمع الدولي بعقلانية وإيجابية وسلام.

ولكن الذي حدث أن ذلك الاتفاق قد رفع منسوب الغرور والعجرفة والعنجهية لديها إلى أقصى حدوده المحتملة، إلى درجة أن مستشار الرئيس الإيراني للشؤون الدينية والأقليات، علي يونسي، راح يتبختر ويقول، علنا: "إن إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتُها بغداد حالياً، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا كما في الماضي، وكل منطقة الشرق الأوسط إيرانية، وكل شعوب المنطقة جزء من إيران".

ومنذ العام 2015 وحتى أمس أنفق نظام الولي الفقيه من أموال الشعب الإيراني مئات المليارات على الأسلحة التقليدية والاستراتيجية، وعلى الميليشيات، وعلى مزيدٍ من نشر الفوضى والخراب في المنطقة، وعلى تجاربه السرية النووية المحظورة، دون أن يحسب حسابا لزمن أو ظروف.

وبين 2015 و2020 خمس سنوات فقط، وهي أقل من خمس دقائق في حياة الدول والشعوب، تغيّرت الأحوال، وتقلبت الأمزجة، واختلفت المصالح والظروف.

كان على نظام الملالي أن يتخلى، طواعية، عن العراق، مثلا، وأن يترك العراقيين يختارون حكامهم بحرية، خصوصا في ظل وجود البعبع الداعشي والعقوبات وكورونا

والرئيس الأميركي دونالد ترامب ليس هو العامل الوحيد الذي جعل الأبيض الإيراني أسود، وحوّل نظام القتل والتحدي والحرق والهدم والنهب إلى هيكل عظمي بلا أظافر ولا أسنان ولا سلاح ولا رجال. بل هي عشرات العوامل، منها وأولها الكلفة الباهظة لنشاطات النظام الخارجية والداخلية التي لا يشكل منها الاعتناءُ بحياة المواطن إلا النزر اليسير، مضافةً إلى العقوبات والعزلة السياسية والاقتصادية وتراجع أسعار النفط وكورونا.

والدليل الفاقع على أن نظام خامنئي قد تحوّل إلى حصان من خشب لا يهش ولا ينش هو حاله المزري في سوريا ولبنان والعراق واليمن، وفي كل مكانٍ تباهى أحدُ قادته، ذات يوم، بأنه أصبح جزءًا من الإمبراطورية الفارسية الجديدة.

فالضربات التي تتلقاها معسكراته ومستودعات صواريخه في سوريا والعراق بغارات نتنياهو تكاد تكون يومية، ولا يرد. وتتصاعد الاحتجاجات الشعبية العراقية واللبنانية ضد وجوده وضد وكلائه، ولا يرد.

لكأنه لا يقرأ التاريخ البعيد ولا القريب، ولا يستعيد سيرة حكام حمقى أصابتهم لوثة غرور القوة فركبوا رؤوسهم وناطحوا الصخور فتكسرت قرونهم، وألحقوا بشعوبهم الخزي والعار والخسارة، ثم انتهوا، أخيرا، إما قتلى تحت أقدام شعوبهم، أو معلقين على مشنقة، أو مأسورين وراء القضبان، أو هاربين من وجه العدالة.

ولعل قتل قاسم سليماني في مطار بغداد بطائرات مسيرة أقلعت من فلوريدا الأميركية إنذارٌ حقيقي وجرةُ أذن كان ينبغي على العاقل أن يتدبر أمره بعدها، ويتوقف عن الثرثرة الفارغة وعن نفش الريش.

وكان على نظام الملالي أن يتخلى، طواعية، عن العراق، مثلا، وأن يترك العراقيين يختارون حكامهم بحرية، خصوصا في ظل وجود البعبع الداعشي والعقوبات وكورونا، ثم يحمل عصاه ويرحل عن سوريا ويترك بشار الأسد لكي يسقط في ساعات تحت أقدام الجيوش والفصائل المتدفقة، ثم يقطع علاقته فورا بحسن نصرالله في لبنان والحوثي في اليمن، ويرفع يده عن فلسطين.

وآخيرا ظهر مواطن إيراني مسنّ على فضائية أميركية ليبشر الأميركيين بقرب نهاية ولاية الفقيه، ودليلُه على ذلك أن كبار قادة النظام الإيراني أصبحوا يهددون بأن يوجهوا صفعة لأميركا في أي مواجهة، وهذه، بلا شك، إحدى علامات اللوثة التي تصيب الدماغ. إنها القاتلة، دون ريب.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

الإعلام التونسي في مواجهة خطط الهيمنة

تقاطع مصالح وأجندات لترويض المؤسسات الإعلامية ومنع تقوية الهياكل التعديلية

فوضى المشهد السياسي وتداخل الأجندات بالتوازي مع ضعف الحكومات المتعاقبة كلها عوامل ألقت بظلالها على وضع قطاع الإعلام في تونس، في وقت يحاول العاملون به الحفاظ على أحد أهم مكاسب ما بعد ثورة 2011، وهي حرية الإعلام وتحويله إلى أمر واقع عبر النأي بالمؤسسات الإعلامية عن الاستقطاب السياسي. لكن هذا الخيار يواجه بحملات منظمة ومتعددة الفاعلين لاستعادة صورة الإعلام القديم، إعلام تحت الطلب.

مختار الدبابي
كاتب تونسي

عاد الجدل مجددا حول الإعلام في تونس بعد أن أعلنت حكومة إلياس الفخفاخ عن إجراءات بهدف مساعدة مؤسسات إعلامية قيل إنها تضررت من وباء كورونا، لكن هذه الإجراءات قوبلت بنقد شديد من دوائر سياسية وإعلامية وسط اتهامات للحكومة بأنها تحاول أن تعيد التحكم في الإعلام من بوابة الدعم المالي والإعلاني.

ومن المفيد التأكيد أن مشاكل الإعلام تعمقت بعد الثورة لاعتبارات عديدة طارئة من بينها ما هو مباشر مثل حل وكالة الاتصال الخارجي التي كانت تجمع بيدها الإعلان العمومي وتتولى توزيعه على المؤسسات الإعلامية بهدف إحداث نوع من التوازن في التمويل ومساعدة هذه المؤسسات على تكاليف الطباعة والبث والحفاظ على مردوديتها في توظيف العاملين في القطاع، وبعد حل المؤسسة الشهيرة بالـATCE غاب التوازن في حده الأدنى بين مؤسسات ضعيفة ومحدودة الانتشار اضطرت إلى الاختفاء أو الانكفاء للعمل بالحد الأدنى، وأخرى استطاعت الاستمرار بالحفاظ على توازنها المالي عبر الإعلان الخاص.

ضرب الاستقلالية

تجري الآن محاولات لإنشاء مؤسسة عمومية تؤدي نفس الدور في توزيع الإعلان الخاص بالمؤسسات الحكومية على أن تكون مؤسسة مستقلة، وتتجاوز مخلفات مرحلة وكالة الاتصال السابقة، لكن يجري تعطيلها في ظل غياب الحماس لدى الفاعلين السياسيين لإنشائها لأن هذه المؤسسة غير مضمونة ولا يمكن التحكم فيها وبالتالي ستصبح قوة نفوذ ومعارضة لأداء الطبقة السياسية.

> الإسلاميون ينظرون إلى الهايكا كخصم سياسي يجب الإطاحة به لمنعه محاولات وضع اليد على الإعلام، وليس كمؤسسة تعديلية ذات دور استراتيجي

وستمكن مؤسسة قطاعية مستقلة المؤسسات الإعلامية وهياكل المهنة من عنصر إضافي لتأكيد استقلاليتها المالية والسياسية، وهو ما لا يقبل به السياسيون وأغلبهم يستبطنون مقولة "إعلام العار" التي تحاول شيطنة قطاع واسع وجد في الثورة مساعدا له على استعادة دوره كقوة رابعة ذات دور حساس في إسناد الانتقال الديمقراطي ومنع تغول المؤسسة السياسية مجددا.

ويرفض بعض هؤلاء السياسيين إنشاء مؤسسة عمومية توفر التمويل المستقل للمؤسسات، ولو بحده الأدنى، بسبب مخاوف من تكرار تجربة هيئة الإعلام السمعي والبصري (الهايكا)، والتي وقفت بقوة ضد التوظيف السياسي للإعلام بالرغم من المآخذ التي يمكن أن تسجل عليها في أدائها، وصلابة موقفها من التوظيف السياسي، وخاصة من جهة الإسلاميين، يقف وراء محاولات الالتفاف على دورها سواء بتعديل المرسوم المنظم لعملها، أو تغيير الطاقم المسير لها، بزعم أنها مؤسسة انتقالية، ويحتاج البرلمان إلى إعادة تركيبتها بتوافقات جديدة اعتمادا على موازين القوى في البرلمان الحالي، وهو وضع يميل إلى القوى التي تعتقد أن الإعلام يناصبها العداء.

ويعمد البعض إلى تعطيل مشروع لإنشاء وكالة تتولى تدوير الإشهار بين المؤسسات الإعلامية خوفا من سيطرة الإعلام المهني عليها، على شاكلة الهايكا، ما يحولها إلى قوة تأثير لا تستطيع معه أي حكومة أن تستقطب الإعلام وتطوعه في خدمتها، ولم يكن الأمر مقتصرا على ضغوط حكومة الترويكا في 2012 و2013، ولكن الأمر استمر مع حكومات لاحقة سعت لتوظيف شبكة نفوذ داخل المؤسسات الإعلامية لتلميع صورة رئيس الحكومة والتسويق لمشاريعه وخوض معاركه.

ولا يقف العداء للإعلام على فئة واحدة من الأحزاب والجهات السياسية، ذلك أن الجميع ما يزال يستبطن أسلوب نظام الرئيس الراحل زين العابدين بن علي في استيعاب الإعلام وتدجينه، وهي الصورة التي كانوا يعارضونها، لكنهم يسعون إلى استنساخها، بالرغم من أنك تسمع هنا وهناك تصريحات داعمة للإعلام لا تعدو أن تكون في سياق المناورة أو تسجيل مواقف ضد الخصوم، ما يجعل الهدف الأول للإعلاميين توحيد أداء وتحرك الجهات المنظمة لهم للمساهمة في توسيع ثقافة الاستقلالية ودعمها عبر صناديق واتفاقيات تستطيع حماية العاملين في القطاع من الاستقطاب والرشاوى وشراء الذمم، والقطع مع العمل العرضي في القطاع والكف عن مجاملة المؤسسات المشغّلة لحسابات شخصية أو انتخابية.

وكشف إعلان حكومة إلياس الفخفاخ عن ضخ أموال لتحسين أوضاع بعض المؤسسات الإعلامية المتضررة من الوباء عن حالة عداء واسعة للإعلام من دوائر مختلفة، سياسية واجتماعية وشعبية، وهو ما يجعل الهدف الأول للإعلام هو السعي إلى استراتيجية لتصويب الصورة التي تدفع فئات كثيرة إلى مناصبته العداء، وعدم الاكتفاء باتهام هذا الطرف أو ذلك.

ولعل هذه المراجعة تقف على الأسباب العميقة لهذا الموقف، بينها ما هو موضوعي، ذلك أن حرية الإعلام جاءت مع الثورة، والإعلاميون يحرصون على استثمارها كأقصى ما يكون حتى لو أدى الأمر إلى تجاوزات أو قفز على المهنية أحيانا، وذلك لمنع أي انتكاسة وقطع الطريق أمام محاولات وضع اليد على الإعلام، وخاصة الإعلام العمومي، الذي يلاحظ المتابعون فيه درجة استماتة قصوى في الدفاع عن المكسب الجديد، خاصة بعد الحملات التشويهية التي جاءت مع القوى الوافدة على المشهد السياسي.

لكن الحماس للحرية الجديدة والسعي للتعويض على سنوات غيابها يدفع ببعض الصحافيين إلى حماس يخلط المهني بالذاتي والحزبي، وهذا أمر يمكن تعديله بمرور الوقت في ظل انتخاب مجالس التحرير لمختلف المؤسسات، وهي النواة المهنية التي يمكن أن تضمن الحياد بما يعنيه من تصدّ للأجندات الحزبية وللوبيات النفوذ التي تتخفى وراء شراء بعض الفضائيات والمواقع والصحف، وهي نفسها التي تتقاتل للسيطرة على المؤسسات الإعلامية المصادرة، وخاصة منها صاحبة العراقة مثل دار الصباح، وهي أقدم مؤسسة إعلامية في البلاد.

حلول بعيون مغمضة

ليس هناك جهة واحدة تعادي الإعلام، بل هناك تقاطعات مصالح وأجندات وحسابات تلتقي حول أي الطرق لترويض الإعلاميين والمؤسسات الإعلامية والسيطرة عليها، في استعادة لأسلوب النظام السابق الذي دأب كثيرون على انتقاده، ولكنهم يتسابقون للاستفادة من أسلوبه على أكثر من واجهة، وخاصة في تدجين الإعلام.

وإذا كانت حكومة الإسلاميين (الترويكا) قد جاهرت بعداء الإعلاميين بشكل علني عبر أدواتها الحزبية، ونتذكر هنا الاعتصام أمام مقر التلفزيون ورفع شعارات معادية لـ"إعلام العار"، فإن بقية الحكومات تعاملت معه وفق مخطط ناعم لترويضه يقوم على إظهار "التفهم" لأوضاع الإعلاميين في سياق الاستثمار السياسي والنأي بالنفس عن عداء الإسلاميين، وفي العمق كانت تجري محاولات تشبيك مصالح واستقطاب وإغراءات داخل المؤسسات الإعلامية لتطويعها لفائدة الحكومة، أو على الأقل إبعاد الوجوه المدافعة عن الاستقلالية عن الواجهة.

وطالما أن الهدف ليس هو المساعدة على تثبيت استقلالية الإعلام كقوة وازنة في دعم الانتقال الديمقراطي المتعثر بسبب ارتباك الطبقة السياسية وتناقضات في الأجندات والمصالح وغياب المقاربة الاقتصادية والاجتماعية، فقد جاءت الحلول والمبادرات لفائدة القطاع بعقلية ظرفية مصلحية مثل الإجراءات الحكومية الأخيرة التي وصفت بأنها أقرب إلى الرشوة منها إلى خطوات ضمن مسار الإصلاح، وفي أحسن الأحوال بأنها حلول بعيون مغمضة لا تعرف واقع القطاع ومشاكله.

ولعل أبرز مؤاخذة وجهت لهذه الإجراءات أنها توجهت إلى المؤسسات الخاصة من فضائيات وإذاعات ومواقع إلكترونية، وهو ملعب خصب يمكن أن تناور فيه الحكومة وتعطي دعما ولو محدودا، وتأخذ مواقف وحملات مديح، فيما غاب فيها الاهتمام بالإعلام العمومي، الذي يبدو أن المسؤولين الحكوميين باتوا مقتنعين بصعوبة وضع اليد عليه لتراكم مفهوم الاستقلالية في الإعلام والقطاع العمومي ككل، وهو وضع باتت الحكومات المتعاقبة غير مرتاحة له.

واعتبر المحامي والناشط السياسي عبدالواحد اليحياوي أن المال العمومي الذي سيقدم إلى بعض القنوات الإعلامية، مشبوهة العلاقات والخط التحريري، يمثل فسادا ماليا مع شبهة الفساد السياسي باعتبار أن ذلك قد يكون رشوة سياسية تقدمها الحكومة.

وطالب اليحياوي الحكومة بدعم "الإعلام العمومي خاصة المصادر والمواقع الإلكترونية الجادة والصحافة الورقية على أن يكون ذلك وفق معايير موضوعية عبر مشاركة ممثلي الصحافيين والهايكا في اختيار معايير مساعدة المؤسسات الإعلامية".

والمفارقة أن حكومة الفخفاخ استثنت الصحافة المكتوبة من الدعم في استبطان واضح لنهاية هذه الصحافة بدل دعمها ومساعدتها على تجاوز صعوباتها، وهي أكبر وأعمق من مخلفات كورونا، وتهم دعم حرية الإعلام كما تهم المئات من الصحافيين والفنيين الذين ربطوا مصيرهم بها. وكان الأجدر أن تبدأ الحكومة بحل هذه المعضلة الملحة بالتشاور مع ممثلي المهنة.

يذكر أنه من بين القرارات الحكومية لفائدة "قطاع الإعلام" اقتناء اشتراكات في النسخ الإلكترونية للصحف، من قبل الدولة والهياكل العمومية، في حدود 1.2 مليون دينار وتُقتطع من الاعتمادات المرصودة بالميزانية، بعنوان الاشتراكات في الصحف الورقية لسنة 2020 (الدولار = 2.890 دينار).

وكان القرار الأبرز هو التعهد الحكومي بالتكفل بنسبة 50 في المئة من معلوم البث لسنة 2020، للقنوات الإذاعية والتلفزيونية الخاصة، ما اعتبر مغازلة لبعض الفضائيات الخاصة المتخصصة في الشو الإعلامي، ومحاولة استثمار شعبيتها في دعم شخص رئيس الحكومة وخياراته واستضافة وزرائها في البرامج السياسية التي تلقى متابعة هامة. لكن هذا "الانحياز" يعود إلى اكتشاف الحكومة أن من الصعب عليها الاستثمار في كسب ود إعلامي عمومي متمسك في أغلب الأحيان بالحياد الإيجابي القائم على نقد أداء الحكومة والانتصار لمطالب الشارع.

ولم تخف نقابة الصحافيين التونسيين "خشيتها من وجود شبهات قوية تحوم حول خلفيات هذه القرارات، التي تستبطن مساعي للعودة إلى سياسة وكالة الاتصال الخارجي سيّئة الذكر لتلميع صورة الحكومة ورئيسها وشركائه في الحكم، في الوقت الذي يعاني فيه العاملون في قطاع الإعلام من وضع اجتماعي صعب. حيث كشف التقرير السنوي حول حرية الصحافة تسجيل 303 حالة طرد خلال الفترة الماضية".

وذكرت النقابة باتفاقيات سابقة مع الحكومة تضم تفاصيل كثيرة، لعل أبرزها "بلورة سياسة عمومية تشاركية للتعجيل باستئناف مسار إصلاح قطاع الإعلام وإنقاذ الصحافة المكتوبة، لاسيما الورقية، مع ضمان الحريات الصحافية والتنوع والتعددية الإعلامية". لكن يبدو أن الحكومة تريد أن تتصدى بأدواتها الخاصة بعيدا عن أي شراكة.

هجمة الإسلاميين

تعطي المقاربة الحكومية البراغماتية مع الإعلام، وغياب أي شكل من أشكال الحماية للمؤسسات الإعلامية ولمكتسب حرية الإعلام، الفرصة للإسلاميين بمختلف تلويناتهم للهجوم على القطاع الذي يعتبرون أنه وقف ضدهم في مختلف مراحل ما بعد الثورة.

ولا تقف هذه الهجمة المنظمة والمستمرة عند حد التصريحات والحملات التي تخوّن القطاع وتضع العاملين فيه تحت الضغط لإجبارهم على تغيير خطابهم، ولكنها تمتد إلى أشكال عملية من التسلل إلى القطاع القائم (اختراق مؤسسات قائمة سواء من خلال علاقات سياسية مع المالكين، أو من خلال الشراكة المالية عبر رجال أعمال وشخصيات غير معروفة في الميدان)، أو عبر خلق بدائل سواء من بوابة فضائيات مثل الزيتونة أو المتوسط أو صحف ومواقع سرعان ما تتوقف لغياب الرؤية الإعلامية قبل التمويل.

> لا يقف العداء للإعلام على فئة واحدة من الأحزاب والجهات السياسية والمالية، ذلك أن الجميع ما يزال يستبطن تدجين الإعلام

وإذا كانت مناورة خلق البدائل أمرا مشروعا، وإن كانت تفتقد للرؤية وتهيمن عليها أولوية السياسي، فإن ما يزعج العاملين في القطاع هو الحملات من بوابة البرلمان والاستعانة بالقوة العددية لتغيير واقع قطاع يفترض أن تحصل شراكة وطنية واسعة حول أسس تطويره بدل الاحتكام إلى منطق المغالبة والفتوة من داخل مؤسسة تشريعية تعيش صراعات واصطفافات محلية وإقليمية لا تسمح لها بأن تفكر بعقلانية، أو أن تكون مرجعا في التغيير.

ويمكن النظر إلى استهداف مؤسسة الهايكا كقوة تعديلية في قطاع الإعلام السمعي والبصري كدليل على صعوبة الاحتكام إلى البرلمان كجهة تطويرية، فممثلو ائتلاف الكرامة (إسلاميون متحالفون مع حركة النهضة) ينظرون إلى الهايكا كخصم سياسي عنيد يجب الإطاحة به وفتح الباب أم التدخلات الحرة في الإعلام، وليس كمؤسسة تعديلية ذات دور استراتيجي يحتاج إلى المزيد من الضبط الإجرائي وتوفير الصلاحيات لخدمة مستقبل الإعلام.

وإذا كان القائمون على الهايكا حاليا يظهرون في صورة خصم سياسي، فإنهم سيخرجون ويأتي غيرهم، لكن الذي يبقى هو وجود قوة مهمة في ضبط الإعلام والحفاظ على مهنيته وإبعاده عن سيطرة اللوبيات المالية والمجموعات الحزبية، وبينها الإسلاميون.

وكانت منظمات مدنية وحقوقية وإعلامية قد احتجت على مساعي "ائتلاف الكرامة" لتعديل المرسوم 116 المنظم لعمل الهايكا وإعطاء البرلمان صلاحية اختيار أعضائها، ما يحولها إلى هيئة سياسية تخضع للحسابات الحزبية. واعتبرت هذه المنظمات أن ما يجري في البرلمان ليس سوى "حلقة جديدة في مُسلسل طويل، يهدف إلى إضفاء مزيد من الفوضى على المشهد الإعلامي، وإخضاعه لهيمنة أحزاب ومراكز نفوذ سياسية ومالية".

وبالنتيجة، لا أحد في المشهد السياسي ينظر إلى المستقبل في التعاطي مع الإعلام، والكل يريد أن تكون له اليد الطولى على القطاع.

سباق للسيطرة على الفضائيات الخاصة

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

أقبية للتعذيب والشبح والسحل: الوجه الآخر لحماس

شهادة تروي تفاصيل الغرف المظلمة في سجون الحركة الإسلامية في قطاع غزة

ترك الانقسام الداخلي تداعياته السلبية على شتى مناحي الحياة في الأراضي الفلسطينية سواء في الضفة الغربية أو قطاع غزة. وكان الملف الحقوقي من أكثر الملفات سخونة وإثارة للجدل خاصة مع تقارير منظمات حقوقية محلية ودولية تكشف استمرار عمليات التعذيب بطريقة ممنهجة داخل مراكز التوقيف ضد الخصوم السياسيين.

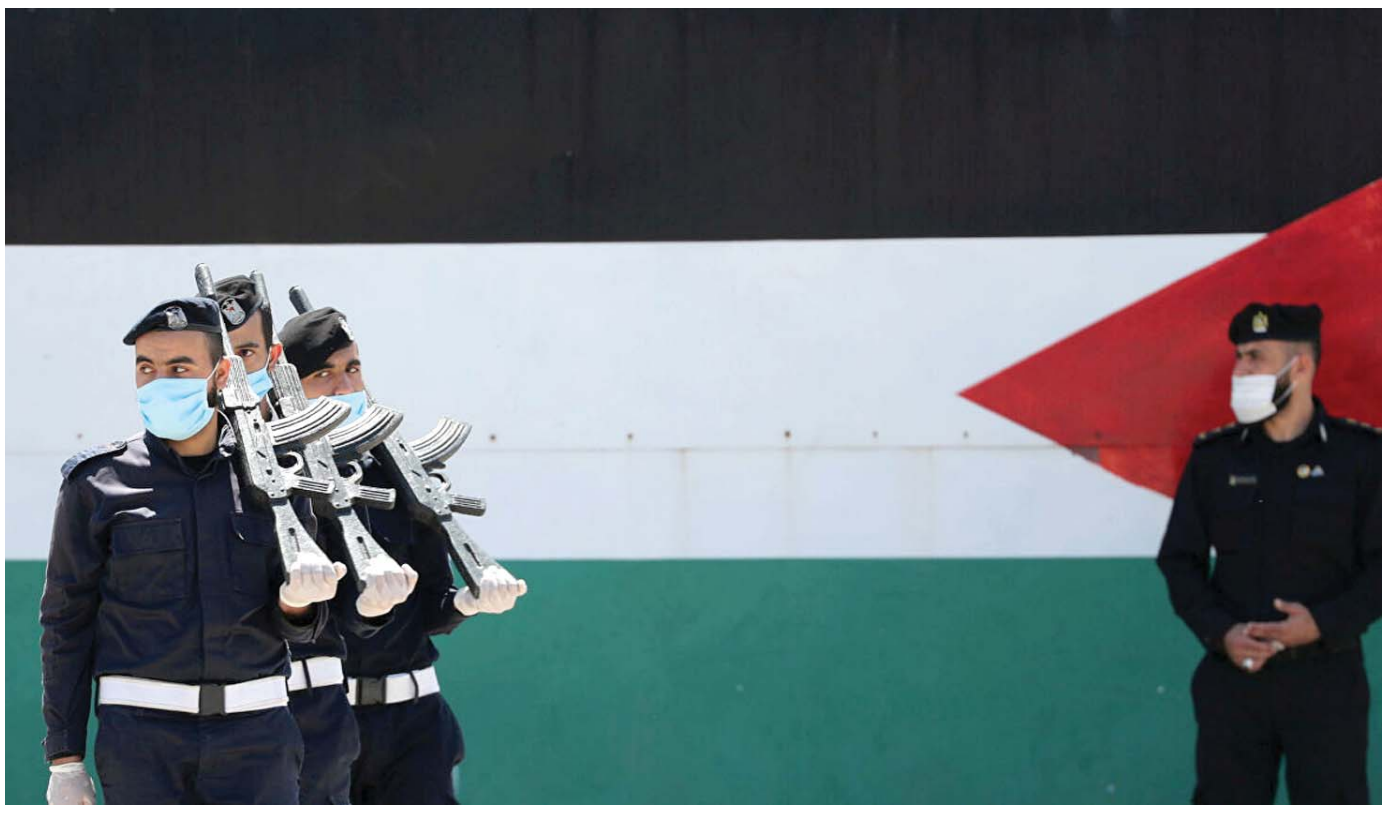

تعذيب على نغم النشيد الوطني

أحمد فايز القدوة
صحافي فلسطيني

شهادات وروايات كثيرة وُثّقت عن عمليات تعذيب وقتل على خلفية سياسية منذ سيطرة حركة حماس على قطاع غزة في العام 2007 في أعقاب الاقتتال الدامي مع حركة فتح. بعد أيام قليلة ستكون الذكرى الـ13 للاقتتال الذي عاشت تفاصيله مناطق واسعة من القطاع الذي يتعرض سكانه بدورهم لحصار إسرائيلي قاس.

نحو مليوني نسمة يعيشون في منطقة جغرافية تعد من المناطق الأصغر في العالم من حيث الكثافة السكانية، يتعرضون لأسوأ معاملة إنسانية وانتهاكات سواء من سلطات الاحتلال أو من سلطات الأمر الواقع، حسب ما تسمّيه منظمة العفو الدولية.

تقول تقارير حقوقية محلية إن الانتهاكات والتعذيب يتصاعدان ضد الخصوم السياسيين كلما تصاعدت حدة الخلافات السياسية بين حركتي فتح وحماس، وعلى الرغم من الهدوء الذي يسود منذ فترة بينهما في الضفة وغزة إلا أنه تم تسجيل انتهاكات وحالات تعذيب خلال الأشهر الثلاثة الماضية من ضمنها حالة وفاة بشبهة التعذيب في قطاع غزة.

وسلطت حركة حماس التي تحكم القطاع منذ منتصف يونيو 2007 أقسى عقوباتها ضد خصومها من حركة فتح، حيث وثقت منظمات حقوقية الكثير من الانتهاكات بحق النشطاء والسياسيين الذين ينتمون إلى الحركة الفلسطينية التي تسيطر هي الأخرى على الضفة الغربية ومتهمة بممارسة نفس تلك الانتهاكات بصورة ممنهجة.

ويروي مواطنون ونشطاء فلسطينيون قصصا عن استمرار معاناتهم من آثار التعذيب الذي مورس بحقهم منذ زمن الاقتتال إلى الوقت الحالي. ولا يزال الكثيرون خارج حدود وطنهم بفعل ما جرى في العام 2007، وهم لا يريدون العودة خوفا من الملاحقة أو الاعتقال والوقوع مرة أخرى في براثن السجون وأقبية التعذيب.

ويُتّهم جهاز الأمن الداخلي الذي أسسته حركة حماس في غزة بالوقوف وراء الكثير من عمليات التعذيب التي وثقتها منظمات حقوقية وجرت في مراكز التوقيف التابعة له في مختلف محافظات غزة.

وتعتمد حركة حماس على هذا الجهاز، إضافة إلى الجهاز الأمني التابع لجناحها العسكري في ملاحقة الخصوم السياسيين أو "العملاء والجواسيس لإسرائيل". ويقول نشطاء إن الحركة الإسلامية تعامل خصومها بنفس الطريقة التي تعامل بها "عملاء إسرائيل".

آلام لا تمحى

لم ينس الصحافي والناشط في المجتمع المدني (س. ق) تفاصيل عمليات تعذيبه داخل زنازين جهاز الأمن الداخلي لحركة حماس أثناء اعتقاله من منزله في غزة خلال العام 2009. فمنذ ذلك التاريخ يعاني الرجل من مشكلات نفسية وجسدية، حيث دفعته الظروف إلى مغادرة مسقط رأسه هربا من "وحشية" الملاحقات الأمنية المستمرة هناك.

ويقول في سرده لشهادته بشأن تلك العمليات إنه بعد "11 عاما ما زال الرعب والألم يلاحقانه" حتى هذه اللحظة، نتيجة لما ذاقه طوال فترة 26 يوما قضاها في زنازين يطلق عليها اسم "باص رقم واحد" حيث ظل فيها واقفا أو جالسا على الأرض يتمنى أن "يموت واقفا فيها وهو يحاول لملمة جراحه".

ويضيف أنه منذ اقتياده من منزله إلى مكان اعتقاله وهو معصوب العينين، وتم إعطاء رقم 56 له لمناداته به داخل مركز التوقيف. ويكمل أنه بعد سؤاله عن أخذه لدواء أو يتلقى العلاج من مرض معين، قاموا بشبحه ورفع يديه إلى الأعلى قبل الدخول إلى غرفة التحقيق في المكان الذي قال إنه "الباص رقم واحد".

ويوضح أنه منذ دخوله إلى الباص رقم واحد وحفلة الاستقبال بدأت حيث قام عنصر ينادى عليه داخل المركز باسم أبوالعبد بسحبه وإجباره على الركض المسرع، كما ضربه بكابل كهرباء بكل وحشية. ويشير إلى أن هذا الأمر استمر نحو نصف ساعة من الضرب والإهانة وتم "شبحه" (تعليق يديه) على الحائط قبل دخوله إلى غرفة التحقيق.

أدوات القمع

تطرق (س. ق)، الذي نكتفي بذكر الأحرف الأولى من اسمه بطلب منه، إلى أنه لحظة اعتقاله كان يتبادر إلى ذهنه سؤال موجه لأبي العبد الحقيقي (إسماعيل هنية، رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة في ذاك الوقت) لماذا الضرب والشبح وممارسة الأنواع المختلفة من أصناف التعذيب بحقه؟ ويضيف أنه قارن بينهم (حماس) وبين "أبوجميل الضابط الصهيوني في المسلخ وأبوالسعيد وأبوالوليد وغيرهم من ضباط الشين بيت فكانت المقارنة صعبة للغاية".

ويقول إن المكان الذي اعتقل به كان عبارة عن مكان للقمع ومسلخ للمعتقلين وممارسة التعذيب وأن أفراد الأمن الداخلي يتعاملون بأسماء حركية وهمية. ويوضح أنه لم يشعر بتاتا أنه سجين بل كان شعوره الدائم أنه مختطف من قبل مجموعات وميليشيات مسلحة.

ويضيف أنه لم يكن يتوقع إطلاق سراحه وخروجه من السجن إلى الحياة مرة أخرى "حيث يتم إيهامه في كل مرة بأنه سيقتل الآن من خلال جولات التعذيب الوحشية التي مورست دون وقت محدد خلال الليل وفي الصباح وفي ساعات الظهر".

> أغلب حالات الاعتقال تتم خارج أطر قانونية وبعضها يشارك فيها عناصر من كتائب القسام الجناح المسلح لحماس

تختلف أساليب التعذيب من شخص إلى آخر لكن الهدف واحد هو إخضاع المستجوب نفسيا وجسديا وإنهاكه، حسب شهادات روت آليات التعذيب الممنهجة التي سادت مراكز التوقيف وسجون حركة حماس منذ سيطرتها على قطاع غزة.

ويقول المواطن (س. ق) إن "أساليب التحقيق تتنوع ما بين الشبح والضرب المبرح والحرمان من النوم وممارسة أبشع أنواع التنكيل المحرمة دوليا بحق المعتقلين".

ويكشف أن الأقسام في مراكز التوقيف تنقسم إلى قسم يطلق عليه "باص رقم1" وهو المسلخ، الذي يتعرض فيه المستجوب لأقسى أنواع التعذيب سواء بالصعق بالكهرباء أو بالضرب المبرح. إضافة إلى أقسام أخرى تحمل أرقام "باص رقم 2 و3 و4 وغيرها".

وأوضح أن الباص هو عبارة عن زنازين يوضع فيها المعتقل، لكن المميز أن "باص رقم واحد" لا توجد به أغطية تقي من برد الشتاء مثلا. فبقية الزنازين في أغلبها لا توجد فيها أيّ مقومات للعيش ويترك فيها المعتقل لأيام وليال يتعرض للتعذيب الشديد والإهانة والضرب المبرح.

ويقول الباحث الحقوقي الفلسطيني مصطفى إبراهيم "إن الأجهزة الأمنية تستخدم أساليب متعددة في التعذيب منذ سنوات، كحجر الموقوف في مكان يسمّى 'الباص' أو 'المسلخ' حيث يحرم من النوم لساعات طويلة وهو الأسلوب الأكثر استخداما".

ويشير في مقالة سمح لـ"العرب" بنشر مقتطفات منها، إلى أن تلك الأجهزة تستخدم أيضا أدوات تسبب ألما شديدا من دون أن تترك آثارا على جسم المعذبين.

ويضيف أن "التعذيب وسوء المعاملة لم يتوقفا بحق المواطنين المحتجزين في قضايا مدنية مثل المخدرات والسرقة، لانتزاع اعتراف منهم، وكذلك بالنسبة إلى المتهمين في قضايا سياسية وضحايا الاحتجاز التعسفي".

في تقرير نشر في 20 مايو ذكرت الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان (ديوان المظالم) أنها تلقت خلال أبريل ثلاث شكاوى تتعلق بالتعذيب وسوء المعاملة جميعها في قطاع غزة، مشيرة إلى "شكاوى ضد جهازي الشرطة والأمن الداخلي". وأوضحت الهيئة أنها تلقت كذلك سبع شكاوى حول عدم صحة إجراءات التوقيف، كون توقيف المشتكين كان إما لأسباب سياسية وإما توقيفا تعسفيا.

موت تحت التعذيب

يقول نشطاء في غزة إن أغلب حالات الاعتقال تتم خارج أطر قانونية وبعضها يشارك فيها عناصر من كتائب القسام الجناح المسلح لحماس.

وتوفي في فبراير الماضي عصام السعافين (39 عاما) بعد نحو شهر من اعتقاله على يد مجموعة من الملثمين يتبعون قوة أمنية لحماس، وظهرت على جسده أعراض تعذيب وآثار صعق بالكهرباء. وقالت حماس حينها إنها شكلت لجنة للتحقيق في ظروف وفاته.

وقال يامن المدهون، رئيس وحدة الرصد والتوثيق في مركز الميزان لحقوق الإنسان، لـ"العرب" إن موضوع المواطن السعافين "كان من الحالات الواضحة بشأن الوفاة بشبهة التعذيب"، موضحا أن نتائج التحقيق التي أعلنت الأجهزة الأمنية في غزة عن القيام بها لم تعلن حتى اللحظة وأن المسألة قد تحلّ بشكل ودّي مع عائلته.

وأكد المدهون أن التعذيب في مراكز التوقيف بقطاع غزة انحسر خلال السنوات الماضية، لكنه أشار إلى تسجيل حالات من الاعتداء اللفظي والجسدي خلال الحملات الأمنية التي تشن بين الحين والآخر مثلما جرى في حملة "بدنا نعيش" التي انطلقت في مارس العام الماضي.

يشار إلى أن هذه الحملة الشبابية التي طالبت بتحسين الأوضاع الصعبة التي يعيشها سكان القطاع واجهتها حركة حماس بحملة اعتقالات واسعة طالت نحو ألف شاب. وعلى الرغم من الطابع المطلبي الاجتماعي فقد اتهمت حماس القائمين عليها بالتواصل مع رام الله بهدف بث الفوضى والتخريب في القطاع.

وأوضح المدهون أن أغلب الحالات التي تعرضت للتعذيب كانت على خلفية اتهامات سياسية كان أبرزها "التخابر مع رام الله".

وتظهر معلومات حقوقية متداولة أن الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها سلطات حماس لمواجهة تداعيات انتشار فايروس كورونا استثنت جميع المحتجزين على خلفية الانقسام السياسي أو ممن تم اتهامهم بالتخابر مع الضفة الغربية أو لعملهم في الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية.

وقال عبد أبوالطيب، وهو اسم مستعار لناشط حقوقي في قطاع غزة، "إن الانتهاكات تزداد وتشتد وطأة ضد الحركات الشعبية والمطلبية التي تظهر بين الحين والآخر وتتسبب في تهديد مباشر لحكم الحركة الإسلامية". وأكد أن "حالات التعذيب والشبح لا حصر لها وأدت في كثير من الأحيان إلى حالات وفاة".

وأشار إلى أن "حالات التعذيب والشبح التي استخدمتها حركة حماس وأذرعها الأمنية والعسكرية ضد معارضيها كانت بالسابق أكثر قوة وكثافة في محاولة من الحركة لتثبيت حكمها".

وكشف أن "هناك أكثر من جهة مسؤولة عن تلك الانتهاكات ولكنها تظهر بشكل جلي بالأمن الداخلي والجناح العسكري لحماس، ولا يخفى على أحد أن الكلمة العليا في قطاع غزة هي لحركة حماس وأذرعها العسكرية"، موضحا أن هناك بعض التجاوزات الفردية التي يقوم بها بعض الأفراد من الأجهزة الأمنية المختلفة.

وتقول حركة فتح إن نحو 46 عنصرا يتبعون لها مازالوا في سجون حركة حماس في قطاع غزة، بينهم من يقبع في سجن "الكتيبة" غرب غزة ونحو 30 معتقلا في سجون الأمن الداخلي دون تحديد تهم لهم.

وقالت ميرفت النحال، مسؤولة وحدة المساعدة القانونية، في مركز الميزان لحقوق الإنسان لـ"العرب"، إن عمليات إثبات حالات التعذيب غير سهلة وهي صعبة جدا، مشيرة إلى أنه لا يوجد تعذيب داخل السجون إنما قد تكون هناك في مراكز التوقيف شبهات تعذيب عند "المكافحة والمباحث والأمن الداخلي".

وأوضحت أنه في حالة المواطن السعافين ظهرت بعض الإشكالات خاصة أن طبيبا مستقلا يتبع الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان أثبت وجود بعض الكدمات والتعذيب على جسده.

وكشفت ورود بعض الشكاوى إلى مركز الميزان بشأن حالات تعذيب، لكن في مراجعة الجهات الرسمية بشأن تلك الشكاوى عادة لا يكون ردها "واضحا وصريحا" بشأن مضمون الشكوى المقدمة.

وأشارت إلى أن هناك تقييدا للحريات في قطاع غزة بصفة عامة وخاصة حرية الرأي والتعبير التي تشهد تضييقا على الصحافة مع قمع للمظاهرات، موضحة أن "الوضع غير وردي".

لا شيء تغير

تقول منظمة العفو الدولية إنه تم تسجيل انتهاكات مروّعة لحقوق الإنسان ارتكبتها قوات الأمن التابعة لحماس في قطاع غزة، واستهدفت المحتجين السلميين والصحافيين والعاملين في مجال الحقوق، وذلك خلال الحملة التي شهدها قطاع غزة في مارس العام الماضي. لكن المنظمة عادت هذا الشهر في تقرير جديد نشر في السابع من مايو 2020 لتؤكد وجود اعتقالات تعسفية في القطاع والضفة الغربية على حد سواء. وتوضح أن "السلطات في الضفة الغربية وقطاع غزة انتهكت الحق في حرية التعبير من خلال اعتقال الأفراد تعسفيا لمجرد تبادلهم وجهات نظرهم سلميا على وسائل التواصل الاجتماعي في ظل تفشي وباء فايروس كوفيد – 19".

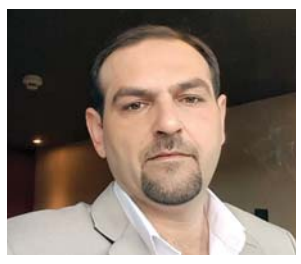

يامن المدهون:
أغلب الحالات التي تعرضت للتعذيب كانت على خلفية اتهامات سياسية

ميرفت النحال:
هناك تقييد للحريات في قطاع غزة بصفة عامة وخاصة حرية الرأي والتعبير

صالح حجازي:
ما نراه على الأرض هو المزيد من نفس الانتهاكات واستمرار نفس الأنماط

وبشأن الوضع الحقوقي في قطاع غزة، قال صالح حجازي نائب مدير المكتب الإقليمي للشرق الأوسط وشمال أفريقيا في منظمة العفو الدولية لـ"العرب" إن "ما نراه على الأرض هو المزيد من نفس الانتهاكات واستمرار نفس الأنماط"، مشيرا إلى أن "لا تغيير إيجابيا يذكر".

وأوضح أن المنظمة تسعى دائما للتواصل مع السلطات المحلية في غزة بشأن هذه الانتهاكات، مشيرا إلى أنه "لم نلمس أي تفاعل جدي بخصوص مسؤوليات سلطة حماس في غزة عن حماية حقوق الإنسان حسب القانون الدولي، وهذا ما هو منعكس على أرض الواقع".

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

غائب يُستحضر مع الدعوات إلى إعلان نهاية لبنان المسيحي

كرسي البطريرك صفير

«عراب ثورة الأرز» والحمل الثقيل الذي تركه

● إصراره المتين على المحافظة على الصيغة التاريخية لكيان اللبناني، يفسر تمكّن صفير من مواجهة النفوذ السوري، في وقت كانت فيه أذرع دمشق تعمل على إسكات كل معارض، بدءاً من نفي عون والجميل إلى سجن جعجع.

● رفض صفير لنهج عون الذي يرأس الجمهورية الآن كان مبكراً جداً، وحين فرض الأخير سيطرته على المناطق المسيحية، هاجم أتباعه مقر صفير في بكركي، وأهانوه وأجبروه على "تقبيل" صورة عون.

صلاح تقي الدين
كاتب لبناني

كانت لتصريحات المفتي أحمد قبلان نجل نائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان أصداء واسعة، فالحديث هذه المرة ليس عن سلاح حزب الله، ولا عن المقاومة والممانعة كما اعتاد الجميع أن يسمع من حلفاء إيران وأتباعها في لبنان. بل إن كلام قبلان كان صيغة الطائف وعن لبنان كله. ما أعاد إلى الأذهان من جديد مصير تركة البطريرك الماروني الراحل مار نصرالله صفير التي باتت في مهب الريح.

هواجس المسيحيين

قال قبلان "نؤكد أن أصل نشأة لبنان تم على أساس طائفي واستبدادي، بوظيفة خدمة المشروع الاستعماري والاحتكاري، وهذه الصيغة قد انتهت، وما قام به بشارة الخوري ورياض الصلح لم يعد يصلح لدولة إنسان ومواطن، بل أيضا مرحلة وانتهت". وفي زمن الكلام الكثير، يحضر البطريرك الذي كان قليل الكلام لكنه كان حازم الموقف. "كان يزداد صلابة على شبه شجرة الأرز. عميد الكنيسة المارونية، خسارة وطنية، وهو بطريرك الاستقلال الثاني والمصالحة والذي لا يتكرر". وتلك الكلمات لم تكن سوى كلمات خليفته البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي التي قالها في وداع سلفه في 12 مايو 2019، ولعل أكثر ما يفتقده لبنان عموماً والموارنة خصوصاً في هذه الأيام العجاف وجود بطريرك "المصالحة والسلام" الذي استطاع "تقويم" دور الطائفة المارونية المؤسسة للكيان اللبناني والانتقال بها من دور "الأنا" إلى دور "نحن" الوطنية.

في "عز" مرحلة الوصاية السورية على لبنان استطاعت بكركي، كرسي البطريركية المارونية، وفي بيانها الشهير الذي صدر عقب اجتماع المطارنة الدوري، أن تصوغ خطاباً لا يعبّر عن "هواجس" المسيحيين بل عن طموح لبناني جامع بالاستقلال الناجز البعيد عن أي وصاية إقليمية أو دولية، وبلغة صريحة شدّدت على أن لبنان هو بلد لجميع مكوناته ويشبه هذه التنوعات "الطائفية" الفريدة. لقد تمكّن صفير من خلال إصراره المتين للمحافظة على الصيغة التاريخية للكيان اللبناني، من مواجهة النفوذ السوري في لبنان وبشجاعة علنية في وقت كانت فيه قوات الوصاية ومن خلال أدواتها اللبنانية تعمل على إسكات كل من يتجرأ على معارضتها، بدءاً من نفي الجنرال عون وسجن رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع ودفع الرئيس السابق أمين الجميل إلى الابتعاد الطوعي عن لبنان.

عندما كان يقول "نحن لا نطلب المستحيل" كان يعرف أنه يطلب ما لا يتجرأ الآخرون على البوح به عالماً بأنه ينطق بما يختلج في نفوس غالبية اللبنانيين، الطامحين إلى الاستقلال والحرية. ويوم وافق على اتفاق الطائف الذي وضع حداً للحرب الأهلية التي أنهكت كاهل اللبنانيين عموماً وأفقدت المسيحيين ما كانوا يتمتعون به من "امتيازات"، كان حسب وجهة نظره الثاقبة ورؤيته بعيدة النظر أن المناصفة هي خلاص المسيحيين وبها حمايتهم، أي في ثبات الدولة وبنيتها. وهو الذي قال صراحة حينها، إنه يوافق على الطائف على الرغم من الإجحاف الذي يلحق بمن يفترض أنه يرعى شؤونهم، لكنه يوافق على ما يجب أن يتحمّل مسؤوليته الزعماء الموارنة، الذين لم يستطيعوا المحافظة على مكتسباتهم داخل النظام بسبب سياساتهم "الفوقية" و"أحلامهم" غير الواقعية التي لن تؤدي سوى إلى سلخ لبنان عن محيطه، والتاريخ أثبت صحة ما نطق به.

> **مبدئيته ورفضه «لحلف الأقليات» يقال إنه السبب وراء ما تعرّض له صفير من «الدسائس» التي اشتدت بعد اغتيال الحريري، حين قام 16 مطراناً بتوقيع عريضة ورفعها إلى مقام الكرسي الرسولي في الفاتيكان يطالبون فيها بإزاحة صفير بسبب «تقدّمه» في السن**

أبواب بكركي

لم تأت موافقة صفير على اتفاق الطائف من فراغ، فهو كان مؤمناً "حتى العظم" بفكرة لبنان الكبير الذي يقوم بجناحيه المسلم والمسيحي وتحديداً المسلم السنّي والمسيحي الماروني، خصوصاً أن الرئيس الشهيد رفيق الحريري الذي عمل بجد على إخراج اتفاق الطائف بصيغته النهائية مدفوعاً بقوة دعم إقليمية ودولية، مثّل بالنسبة إلى صفير "الفرصة" الذهبية لإعادة تثبيت "نهائية" الكيان اللبناني بعدما اعتبر أنها المرة الأولى التي "نظر" فيها المسلمون من خلال الحريري إلى لبنان "كدولة نهائية".

لصفير مواقف عديدة تؤكد على وجهة نظره وإيمانه العميق بلبنان "الوطن" النهائي لجميع أبنائه، فقد سارع إلى فتح أبواب بكركي لاستقبال المعزين بعد اغتيال مفتي المسلمين الشهيد الشيخ حسن خالد، كما كان ساعياً بجد على طريق وضع نهاية للحرب المشؤومة التي طالت قلب لبنان في جبله، فالتقى رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط في قصر المختارة وعقد معه المصالحة التاريخية الشهيرة التي أعلنا بوضوح أنها انتهت إلى غير رجعة.

علاقته كانت ممتازة إلى حدّ بعيد مع رئيس مجلس النواب نبيه برّي، ما يؤكد عمق قناعته بلبنان الكبير على صورته الأولى، لا لبنان الذي تحول إلى سيطرة قوى إقليمية وعربية، هذه القناعة، التي كانت حافزاً لإعلان موقفه المتشدّد بعد الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب، ومطالبته بانسحاب الجيش السوري، لتحقيق حلمه بجلاء جميع الجيوش عن أرض لبنان. لكن موقف البطريرك الراحل من حزب الله كان "المشكلة" وهي لم تكن قط "مذهبية" بل سياسية انطلاقاً من نظرة صفير إلى لبنان بعيداً عن منطق سيطرة فريق على باقي الفرقاء. لقد عارض هذا الواقع في ثمانينات القرن الماضي عندما حاول عون الذي كان قائداً للجيش ورئيساً لحكومة انتقالية فرض سيطرته على المناطق المسيحية من خلال شنّه ما عرف بحرب "الإلغاء" الخاسرة، وتعرض بسببها لغضب جماعة من "العونيين"، اقتحموا مقره في بكركي وأشبعوه إهانات إلى حد إجباره على "تقبيل" صورة عون.

لم ينكر صفير لحزب الله دوره في تحرير جنوب لبنان، لكنه كان ضدّه بالتأكيد في 8 مارس 2005 عندما نزل إلى الساحات ليطلق موقفه تأييداً للنظام السوري ووجوده في لبنان. وربما بسبب موقفه هذا المتشدّد تعرّض صفير للكثير من "الدسائس" التي اشتدت بعد اغتيال الحريري، فكان أن قام 16 مطراناً بتوقيع عريضة ورفعها إلى مقام الكرسي الرسولي في الفاتيكان يطالبون فيها بإزاحة صفير بسبب "تقدّمه" في السن، كما هاجمته "بيانات" إعلامية كثيرة بسبب موقفه المعارض لـ"حلف الأقليات" الذي كان يروّج له النظام في دمشق، والذي لم توافق بكركي أيام صفير عليه، لا بل عارضته، في مقابل وجود مناخ كنسي ومسيحي في منطقة الشرق الأوسط ككل، وحتى فاتيكاني، يميل باتجاه هكذا تحالف "يحمي المسيحيين".

بطريرك العمق العربي

صفير الذي ولد في العام 1920 درس اللاهوت والفلسفة في لبنان. وعيّن خادماً لرعيّة ريفون وأمين سرّ أبرشيّة دمشق حتى 1956، حين عينه البطريرك الراحل بولس بطرس المعوشي أمين سر البطريركية. رُقّي للدرجة الأسقفية وعين نائباً بطريركياً عاماً مطلع الستينات. وكان عضوًا في اللجنة الأسقفية التي سيّرت شؤون البطريركية بسبب مرض البطريرك المعوشي. وفي أواسط الثمانينات انتخب خلفًا للبطريرك أنطون بطرس خريش ليكون البطريرك الماروني السادس والسبعين، وقاد الكنيسة المارونية خمسة وعشرين عامًا حتى استقالته بداعي التقدم في السن. وبنى خلال حياته الطويلة صلات مميزة مع الدول العربية، فكانت له علاقات وثيقة أيضًا مع الولايات المتحدة وفرنسا، أما سوريا فقد كانت مواقفه من دورها في لبنان تؤثر سلبًا على العلاقة معها، وقد تمنّع عن زيارتها عدة مرّات مبررًا ذلك بالوضع الداخلي وبانعكاسات الزيارة على المعارضين للنفوذ السوري القائم آنذاك في لبنان.

كل ذلك مكنه من لعب دور بارز في السياسة اللبنانية، وحين غطى اتفاق الطائف، منحه الشرعيّة المسيحية، وبالتالي ساهم مع الرعاية الدولية المتمثلة بالولايات المتحدة والفاتيكان، والرعاية العربية المتمثلة باللجنة الثلاثية التي ضمت السعودية والمغرب والجزائر في إنهاء الحرب الأهلية. وبعد خروج قوات الوصاية أطلق عدد من الباحثين على صفير لقب "عرّاب ثورة الأرز"، وبسبب مواقفه السياسيّة المنسجمة مع بعض طروحات فريق "14 آذار"، توترت علاقة البطريرك مع بعض الأقطاب المارونية في لبنان، كتيار المردة ورئيسه سليمان فرنجية والتيار الوطني الحر الذي كان يرأسه عون.

بعد استقالته، ظلّ البطريرك مقيمًا في بكركي وعضوًا في مجمع أساقفة الكنيسة المارونية، متنحيا بالتالي عن رئاسة مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، وكذلك كاردينالاً للكنيسة الجامعة وهو اللقب الذي منحه إياه يوحنا بولس الثاني عام 1994. وتوفي البطريرك صفير قبل عام من الآن، في مثل هذا الشهر فجر يوم الأحد 12 مايو 2019 في مستشفى أوتيل ديو في منطقة الأشرفية ببيروت، بعد أن أُدخل إليه قبل 14 يومًا إثر تدهور وضعه الصحي.

ولم يتمكن أحد من ملء الفراغ الكبير الذي تركه برحيله، فمستقبل المسيحيين وفق المشروع العوني ورأس حربته جبران باسيل مرهون بمستقبل حزب الله وإيران ونفوذها في المنطقة العربية، بينما يحاول مسيحيون آخرون في مواضع أخرى إنقاذ ما تبقى من صيغة لبنان الكبير الاستثنائية التي باتت في وضعية هشة للغاية مهددة بالانهيار في أي لحظة.

● الفراغ الكبير الذي تركه صفير برحيله، لم يتمكن أحد من ملئه. فمستقبل المسيحيين وفق المشروع العوني ورأس حربته جبران باسيل مرهون بمستقبل حزب الله وإيران ونفوذها في المنطقة العربية.

كتب التاريخ العراقي روائيا

عبدالخالق الركابي

خلق مدينته من حكايات كائناته

● الركابي ومع أنه لم يكن بغداديا مثل فؤاد التكرلي أو عبدالملك نوري إلا أنه قرر أن يكون عراقيا. ذلك قرار يمكن استيعابه من خلال قراءة رواياته التي مزج من خلالها الأزمنة ليصل إلى الروح العراقية الحية.

● كتب الركابي روايات يمكن النظر إليها باعتبارها جسرا يمتدّ بين ماضي العراق وحاضره من أجل أن يقرأ العراقيون تاريخهم بطريقة تحترم خيال أجدادهم.

فاروق يوسف
كاتب عراقي

بدأ شاعرا ودرس الفن التشكيلي. كتب قصصا ثم تفرغ للرواية. وحين انتقل إلى كتابة الرواية انفصل عن الشعر لتكتسب لغته صرامة البحث الواقعي الماكر وذلك من خلال لجوئه إلى الخيال باعتباره واحدا من مصادر الحقيقة. ذلك ما جربه أسلوبيا حين اتجه في ما بعد إلى كتابة تاريخ العراق روائيا.

"نافذة بسعة الحلم" تجربته الروائية الأولى تحمل عنوانا شعريا لرواية واقعية أو يمكن أن تكون كذلك. تلك الرواية هي أشبه بالفاصلة التي لن يعود إليها.

كان عليه وقد قرر أن يخترق طبقات من السرد التاريخي أن يبحث في الأصول لكي تبعث فيه الشخصيات الواقعية والمتخيلة قوة الإلهام.

تلك سيرة كائناته التي عصفت بحياته فكان يبدو كلما رأيته بقبعته كما لو أنه خرج لتوّه من سيرة رجل آخر. رجل يسبقه ويتكلم ببطء مثله وينظر إلى الآخرين باستفهام فيه قدر كبير من الإشفاق.

«نافذة بسعة الحلم» تجربته الروائية الأولى تحمل عنوانا شعريا لرواية واقعية أو يمكن أن تكون كذلك. تلك الرواية هي أشبه بالفاصلة التي لن يعود إليها

كان السؤال بالنسبة له "كيف يمكن أن يحتفظ المرء بهويته في إطار الرواية الحديثة؟" وهو ما دفعه إلى التنقل بين الهويات المتعددة التي شكلت عنوانا لنبوغ الهوية العراقية. ولأنه لم يكن بغداديا مثل فؤاد التكرلي أو عبدالملك نوري فقد قرر أن يكون عراقيا. ذلك قرار يمكن استيعابه من خلال قراءة رواياته التي مزج من خلالها الأزمنة ليصل إلى الروح العراقية الحية التي تقف وراء التحولات السياسية التي شهدها العراق عبر قرون من الظلام ليصل إلى النصف الأول من القرن العشرين.

المسافر بين الأزمنة

هو رسول سلالات لا تزال حية من خلال حكاياتها. يمكنه أن يكون الابن والأب والجدّ في رواية واحدة. كانت تلك لعبته التي أسهب في اختراع طرقها المتشعبة. كان لديه دائما ما يقوله وهو يخترق الأزمنة ليكون الشخص الذي يكتب. يعثر الركابي على زمنه الروائي من خلال حدث، قد لا يكون واقعيا. سيكون ذلك الحدث الذي لم يقع هو البداية لحكاية ستجر وراءها حكايات. ذلك ما تعلمه الركابي من كتاب "ألف ليلة وليلة" الذي يعود إليه دائما كما يقول.

تقنية الركابي في كتابة رواياته تستند أصلا إلى مبدأ الحكاية التي تلد أخرى. وهي حكايات لا تلتزم بالتسلسل الزمني.

لقد تمكن منه ذلك الأسلوب. حين كتب روايته "أطراس الكلام" ليكون شاهدا على ما جرى في العراق بعد الاحتلال الأميركي فإنه وضع الابن والأب والجدّ في مواجهة الحاضر الذي هو أشبه بالنبوءة القاسية.

مغامر بين التاريخ وحكاياته

ولد عام 1946 في قضاء بدرة بمحافظة واسط جنوب العراق. مطلع السبعينات تخرج من فرع النحت بأكاديمية الفنون الجميلة ببغداد، ومارس مهنة التدريس لمدة تسع سنوات وبعدها انتقل إلى بغداد للعمل في مجلتي "آفاق عربية" و"الأقلام" حتى عام الاحتلال الأميركي للعراق.

نشر أولى قصائده في مجلة "الآداب" اللبنانية وأصدر كتابه الأول وهو مجموعته الشعرية الوحيدة "موت بين البحر والصحراء". وكانت "نافذة بسعة الحلم" روايته الأولى. بعدها توالى صدور رواياته "مَن يفتح باب الطلسم"، "مكابدات عبدالله العاشق"، "الراووق"، "قبل أن يحلق الباشق"، "سابع أيام الخلق"، "ليل علي بابا الحزين"، "سفر السرمدية"، "أطراس الكلام"، ثم "مقامات اسماعيل الذبيح" و"ما لم تمسسه النار" 2016.

كتب في المسرح "البيزار" و"نهارات اليالي الألف"، وفي القصة القصيرة صدر له "حائط البنادق". وعن روايته "قبل أن يحلق الباشق" حاز على جائزة أفضل كتاب عراقي عام 1990. وبعد خمس سنين توجت روايته "سابع أيام الخلق" باعتبارها أفضل رواية عراقية. وفي العام 2017 نال الركابي جائزة سلطان العويس.

ليس صحيحا أن يُقال إن الركابي تخصص في كتابة تاريخ العراق روائيا، فهو لم يكتب رواية تاريخية. غير أن ذلك لم يكن خطأ تاما. ذلك لأن أحدا من روائيي العراق لم يغامر في النبش في التاريخ العراقي بحثا عن وقائع كانت بمثابة ركائز لما انتهى إليه الحال في العراق مثلما فعل الركابي. حيلة الركابي الفنية تتلخص في مزجه ما بين الوقائع الموثقة وبين الحكايات الشفاهية التي سمعها أو تخيلها. ذلك المزيج لا يصنع تاريخا غير أنه بطريقة أو بأخرى قد يخلق رصيدا لذاكرة، لا يمكن تخطيها. ولأن الوقائع التي عالجها الركابي بطريقة روائية لم تلمسها أيادي المؤرخين فإن نصوصه المكتوبة بمتعة قد تشكل مرجعا لمن يهوى الالتفات إلى الماضي كما لو أنه خزانة حكايات.

سيرته الموزعة

يقول الركابي "منذ طفولتي وجدت نفسي وسط جو أسري تتحكم فيه أهواء الموتى أكثر من طموحات الأحياء. فتلك الحجرة المغلقة مات فيها جدي وهذا التخت المركون ماتت عليه أختي وتلك السدرة المسكونة بالأرواح زرعها عمي قبل أن يلفظ أنفاسه بأيام. ولم أر أمي إلا وهي في حداد دائم على موتاها. ترثيهم كلما جنحت الشمس نحو الغروب". من ذلك العالم استخرج الركابي مدينة الموتى التي بعث في أرواح سكانها الحياة من خلال رواياته المشوقة. تلك الكائنات التي تختبر قدرتها على العيش من خلال ما تنطوي عليه يومياتها من تأثير سحري، هو في حقيقته مستلهم من حكايات جانبية، سيكون من الصعب التأكد من صدقيتها وسط ذلك الفيض الجمالي الذي تنعم به لغة السرد.

ما بين الـ"هنا" والـ"هناك" يتنقل الركابي بخفة ودعة وهدوء كما لو أن كل شيء ممكن وما هو عسير واقعيا يمكن أن يكون يسيرا إذا ما بسطت الحكاية سجادتها أمامه. لذلك يمكن النظر إلى روايات الركابي باعتبارها سيلا لا ينقطع من الحكايات التي لا تهدف إلى تأكيد واقعة بعينها بقدر ما تسعى إلى أن تحقق وجودها بمعزل عن زمنها. يروي الركابي ما يعزز مهارته باعتباره كاتبا وفي الوقت نفسه فإنه يخلق تاريخا مجاورا. هل كان الركابي يكتب سيرته وهو يتنقل خفيفا بين غرف عائلته؟ يقول "في ما يخص تجربتي الروائية فقد توزعت شذرات من سيرتي على العديد منها حتى أنني قد استعيض بها عن كتابة سيرتي الذاتية. بيد أن ذلك لم يمنعني من الحذر من الوقوع في مأزق استنساخ التجربة الشخصية مما دفعني إلى ابتكار مدينة الأسلاف المفترضة ليتسنى لي بذلك التحرك بحرية في مدينة من نتاج مخيلتي جمعت فيها شذرات من المدن العراقية التي عشت فيها فضلا عن مدن وهمية قد حلمت بها".

شعبه المتخيل يتسم بطبع شاعري مستلهم من المراثي العراقية التي تعود إلى سومر. ذلك ما يوحي بأن الركابي كان يسعى إلى كتابة ملحمته الخاصة التي يتصل من خلالها بالملاحم العراقية الخالدة. تلك فكرته عن رواية عراقية لم تُكتب من قبل

لم يكتف الركابي إذا بصناعة مدينته المتخيلة بل خلق شعبه المتخيل. وهو شعب يتسم بطبع شاعري مستلهم من المراثي العراقية التي تعود إلى سومر. ذلك ما يوحي بأن الركابي كان يسعى إلى كتابة ملحمته الخاصة التي يتصل من خلالها بالملاحم العراقية الخالدة. تلك فكرته عن رواية عراقية لم تُكتب من قبل. رواية معاصرة غير أنها لا تنسف الخيوط التي تصل بينها وبين الحكايات التي كُتب لها الخلود.

كتب عبدالخالق الركابي روايات يمكن النظر إليها باعتبارها جسرا يمتد بين ماضي العراق وحاضره من أجل أن يقرأ العراقيون تاريخهم بطريقة تحترم خيال أجدادهم من خلال حكايات ستظل نضرة إلى الأبد.

من رواية «سابع أيام الخلق»

قال الراوي: ولكنْ... أحدثَ الأمر بهذه الصورة؟ أم بشكل آخر؟ سؤالان عزّز جوابهما الآراء المتناقضة حول حقيقة "السيد نور"؛ فثمة من عدّ الأمر واحدة من كراماته، في حين أكد آخرون أن الأمر لا يخرج عن احتمالين: إما أن يكون مجبل هو الذي تسلل من بيته، تحت جنح الظلام، حاملا صديقه المحتضر إلى جناح قلعته، أو أن "مطلق" نفسه استطاع الوصول إلى هناك زحفا!

ووسط هذه الآراء المتناقضة بقيتِ الأعين ترمق التل بنظرات هلع أيامًا وليالي. وبقيت الألسن تردد السؤال المفزع:

- تُرى ألا يُحتمل أن يكون قد أعدانا بهذا الوباء الرهيب؟

الطاعون!

إنها الكلمة المرعبة التي لا تكف الأفواه عن ترديدها، مشفوعة بالتفاتات ذُعر نحو القلعة.

الطاعون!

إنها الكلمة المقيتة التي تخطر في الأذهان تلقائيا طوال ساعات النهار، حتى إذا ما هرب الناس منها باللجوء إلى النوم طاردتهم في الأحلام.

الطاعون!

إنها الكلمة التي تحول بين الآباء ومداعبة أطفالهم لحظة عودتهم من الحقول والبساتين متعبين: تُرى أيحصدهم الوباء ليبقى فلذات أكبادهم من بعدهم دون معيل؟ أم كتب الله عليهم أن يروهم وهم يذوون تحت أبصارهم دون أن يملكوا للقضاء ردا؟

الطاعون!

إنها الكلمة التي كانت تطفئ الآمال في عيونهم لحظة كانوا يتطلعون غربا حيث تنداح حقول القمح على مدى البصر وقد انحنت السيقان تحت ثقل السنابل.

قال الراوي: ومرت الأيام، والأذان مرهفة في انتظار سماع الصرخة المتوقعة وهي تنطلق من فوق التل. كانوا موقنين من هذا الأمر حتى أنهم أخذوا يحددون موعد انطلاقها: غروب هذا اليوم. وحينما يخيب توقعهم كانوا يقولون: لا بل منتصف الليل.. أو صباح الغد.. أو عند الظهيرة.. لكن الأيام تعاقبت دون أن يسمعوا تلك الصرخة إلى أن حل فجر يوم لا ينسى؛ فقد هبّ الجميع من نومهم القلق الحافل بالكوابيس على دويّ الصرخة المنتظرة، وفتحوا الأبواب.

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

الثورة بدأت كفوضى كبيرة

فكر الأنوار لم يصنع الثورة الفرنسية

ثورة لاعقلانية قام بها الصنائعيون والفقراء والمهمشون لا الفلاسفة والمفكرون

تعلمنا أن الأنوار من أكبر السرديات المؤسسة للغرب، وأن حفنة من المفكرين والفلاسفة في القرن الثامن عشر وقفت في وجه السلطات المطلقة التي كان يحوزها الملوك والكنائس، واستعملت العقل سلاحا لقهرهم، حتى عدّ المؤرخون عصرها ذاك بعصر الأنوار الذي شهد انتصار العقل على كل أشكال الدوغمائية والحكم المطلق، ورسّخ في الأذهان أن تلك القلة القليلة كانت على رأي واحد.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

على مر القرون ترسخت في الأذهان حقيقة مغلوطة أن المفكرين والفلاسفة هم من صنعوا عصر الأنوار بشكل مباشر في فرنسا، وهذا ما يفنده عدد من المؤرخين المعاصرين، في مقدمتهم كريستوف مارتان، أستاذ الآداب الفرنسية في القرن الثامن عشر بجامعة السوربون، فهو يؤكد أننا لا نكاد نعثر على نظرية مشتركة يلتقي حولها فلاسفة الأنوار، فروسو يعتقد أن "مبدأ كل فعل كامن في إرادة المرء أن يكون حرًا، ولا يمكن أن نمضي أبعد من ذلك. وليست عبارة حرية هي التي لا تعني شيئا، بل عبارة الضرورة".

أما ديدرو فيرى عكس ذلك، إذ يعتقد أن تلك الحرية الميتافيزيقية مضلِّلة تماما، فهو مثل بطل روايته "جاك القَدَري" من أنصار نظرية تقول إن كل شيء موجود بالضرورة، وتعزو ظواهر الطبيعة كلها إلى قوة بلا حرية. ذلك أن ماديته تمنعه من أن يرتاح إلى فكرة الحرية. ولكنه لا يرى الأمر كذلك في المجال السياسي، فهو لا يعتبر ذلك المبدأ مضللا، بل يعتقد أن الطبيعة تمنح كل البشر حق التصرف في ذواتهم وممتلكاتهم بالطريقة التي يرونها مناسبة لسعادتهم بشرط أن يتم ذلك وفق معايير القانون الطبيعي، ولا يسيء إلى الآخرين.

هذا الموقف يدعمه مؤرخ آخر هو أنطوان ليلْتي إذ يقول "غالبا ما ينظر إلى الأنوار ككتلة متجانسة، كقاعدة تنظيرية للحداثة الغربية، وعادة ما ترمز إلى عبادة العقل والتقدم، ونبذ المعتقدات الدينية، والتمسك بالحريات وحقوق الإنسان. وتقوم في فرنسا مقام أيديولوجيا رسمية للجمهورية العلمانية، في موازاة كونية تجريدية لامبالية، وحتى معادية لمختلف الثقافات".

نخبة غير متجانسة

الحال أن ثمة توترات وخلافات كانت تضع الفلاسفة وجها لوجه، حتى أنه يمكن الاعتراض على أيّ عنصر من العناصر التي تحدد الأنوار. فمقاومة فولتير للإكليروس لا تعارض التأليهية (مذهب يقر بوجود الله وينكر الوحي والآخرة) ولكنها تعترض بشدة على إلحاد ديدرو والبارون دي أولباك. كما أن عدة تيارات سعت إلى التوفيق بين العقل والعقيدة، خاصة في ألمانيا وإنكلترا.

كذلك في المجال السياسي، فالذين يوافقون على الديمقراطية وسيادة الشعب كانوا قلة قليلة، لأن أغلب فلاسفة الأنوار كانوا معتدلين، يعتمدون على السلطات الملكية ومؤسسات النظام القديم لدحر المعتقدات البالية والتطير، حتى أن حركة التنوير الألمانية كانت تلتزم بمقولة لملك بروسيا فريدريخ الثاني، لخّصها كانط بقوله "فكروا كما شئتم، ولكن أطيعوا".

أي أن أولئك الفلاسفة كانوا يتوقون إلى تقدم مطّرد، دون أن يربطوا جهودهم بحركة موحدة، ولم يكن تفاؤلهم خاليا من القلق، وحتى الكآبة، التي بلغت أوجها عند نهاية القرن في ما أسماه ليلتي جمالية الأنقاض، ويعني بها مجازر عهد الإرهاب، ثم حروب نابليون التي خلفت ملايين القتلى في شتى أنحاء أوروبا وخارجها.

كان المفكرون يطرحون آراء جديدة وصفت بالهرطقة، ولكن في نواد ضيقة تضم نخبا فكرية، أو في مخطوطات سرية قليلة الانتشار، لأنهم كانوا يؤمنون بأن الحقيقة لم تُخلَق للمبتذَل، أي للإنسان العادي.

أما الموسوعيون فقد حرصوا على إنارة أكبر قدر ممكن من الجمهور، وتوسيع دائرة الأنوار بنشر المعرفة والفكر النقدي. هذا الجهد البيداغوجي والنضالي كان يتطلب الكفاح لأجل حرية الطباعة والتعليم العام لأن كليهما يقود إلى تطوير الأنوار والقضاء على المعتقدات البالية. وكان فلاسفة الأنوار في الغالب متحمسين، مستبشرين بانتشار المطابع، ولكن كيف السبيل إلى توعية الناس وهم لا يحفلون إلا بأصداء الحوادث وأخبار المشاهير والمعارك الصحافية واللجاج. وكيف السبيل إلى تجنب تحويل الأنوار نفسها إلى ديانة مدنية، والفلاسفة إلى إكليروس جديد؟

لم يكن فلاسفة الأنوار إذن مجموعة منسجمة لها مقترحات نظرية يمكن أن يتبناها المرء بسهولة. وغاية ما كان، جدل واسع رافق جهود كتاب أوروبيين طرحوا مسألة تحول المجتمعات التقليدية، كالنظر في هيمنة الكنائس على المعتقدات بشكل جعل الممارسة محدودة؛ وتطوير المدن والتجارة الذي لم يعد يسمح ببقاء الاتفاق الاجتماعي السياسي الذي يمنح النبلاء امتيازات كبرى؛ عولمة التبادل التي تفرض على الدول أن تعيد التفكير في تنظيمها الاقتصادي؛ وأخيرا، فكر جديد في علم التاريخ بدأ يظهر على أنقاض العناية المسيحية.

لم يقدم فلاسفة الأنوار برنامجا نظريا يسمح بإنجاز تلك التحولات، بل قاموا بمجهود فكري كي يفهموها ويوجهوها؛ أي أنهم قاموا بعملية تحسيس للمشاكل المستجدة التي تستوجب تحولات اجتماعية وثقافية، دون أن يكونوا على مستوى واحد، ففكر ديدرو الملحد لا يوافق تماما فكر روسو الذي يضع الدين أساسا للفضيلة.

كما أن حركة التنوير الألمانية (Aufklärung) لا تشبه الأنوار في فرنسا، بل إنها تزاوج بين البعد الديني ومستجدات العقل، ما يجعل الحديث عن "أنوار أوروبية" مجانبا للصواب، فتوماس هوبز وجون لوك اتخذا الثورات والاضطرابات التي شهدتها إنكلترا طوال القرن الثامن عشر لتأسيس فكرهما الفلسفي. أي أن "القول بوجود ثورة أفكار متجانسة في أوروبا ومسؤولة عن الثورة لا أساس له من الصحة"، بعبارة كريستوف مارتان.

ولئن كان عصر الأنوار قد مهد لـ"ابتكار الحرية" وظهور المواطن الحديث، فإن عدة أصوات وضعت أفكار مفكريه موضع تساؤل، ولاسيما روسو، فقد عاب بنجامان كونستان وإيزايا برلين وجاكوب طالمون ويان ماريجكو على مؤلف "العقد الاجتماعي" فَرْضَه التضحيةَ بالفرد باسم الإرادة العامة، ما جعله في عيونهم مصدر الإرهاب، وحتى التوتاليتارية.

> **لئن كان عصر الأنوار قد مهد لـ«ابتكار الحرية» وظهور المواطن الحديث، فإن كثيرين وضعوا أفكار مفكريه محل تساؤل**

وقد ظل فلاسفة الأنوار محل انتقاد حتى في العصر الحديث، ففي "جدلية العقل"، اعتبر تيودور أدورنو وماكس هوركهايمر أن أفكارهم أتت بعكسها، فبدل أن يسعى الأنوار لخلق مجتمع أكثر إنسانية تحولت عقلانيتهم إلى شكل من أشكال التّقانة والفلسفة الوضعية أدى إلى نوع من الوحشية واضطهاد الفرد، وممارسة تجارة الرقيق واستعمار الشعوب المستضعفة، أي إلى ما كان فلاسفة الأنوار قد نددوا به وثاروا عليه.

مفكرون بلا تأثير

تعلمنا أيضا أن الثورة الفرنسية كانت حلقة انتصرت فيها فلسفة الأنوار على استبداد النظام القديم، ما يعني وجود صلة مباشرة بين الأنوار والثورة، والحال أن أهم أولئك الفلاسفة قضوا نحبهم قبل 1789، وأن الباقين منهم لم يكن يؤبه لهم، وأن مشاريع الإصلاح، التي استوحى النظام الملكي بعضها من فكر الأنوار في سبعينات ذلك القرن، رفضتها النخب التقليدية.

كما أن إعادة تنظيم البلاد بين عامي 1789 و1791 سارت وفق ما وقع الشروع فيه، باغتنام الطاقة التي ولدتها المواجهات، ولاسيما اقتحام سجن الباستيل. أي أن المبادئ المستوحاة من الأنوار امتزجت بالمشاعر الجياشة، وهو ما يفسر عدم التزام بعض الثوار بتلك المرجعية التزاما تاما في خطبهم داخل المجلس التأسيسي والجمعية الوطنية، إذ كانوا يتخيرون منها ما يشاؤون لتدبُّر أمورهم العاجلة. وهو ما يؤكده المؤرخ جان كليمان مارتان، ففي رأيه أن الثورة ليست نتاج فكر تجريدي ذي بعد كوني. فروبسبيير كان يستوحي أفكاره من روسو ومونتسكيو، مفضلا التمثيلية على الديمقراطية المباشرة، مترددا بشأن الجمهورية، مدافعا عن الحرية، رافضا مبدأ المساواة، مؤكدا في صياغة قانون حرية المعتقد على ضرورة وجود ديانة مدنية. ذلك التناقض كان من طبيعة الجدل السياسي الذي يتميز بتقديم حجج وأفكار ومرجعيات ظرفية تتغير بتغير الظروف، فتُثمّن أقوال بعض المفكرين حينا وتُنقض حينا آخر. ومن أبرز الأمثلة على تبدل المواقف حدّ التناقض موقف روبسبيير من إلغاء عقوبة الإعدام، فقد أدانها بشدة عام 1791 واعتبرها جريمة ثانية في تصدّ واضح لأغلب أعضاء المجلس التأسيسي، ولكنه منذ عام 1792 قبل بها وإن ظل يرغب في إلغائها، رغم أنه كان من القلائل الذين طالبوا بإعدام لويس السادس عشر دون محاكمة.

كما أن إعلان حقوق الإنسان والمواطن تمّ سنّه بصعوبة في 26 أغسطس 1789، فلم يتضمن إلا ما حظي بموافقة الجميع، وجاء في صياغة متعجلة غير متقَنة. وكان الثوار على يقين من أنه مبتور ولا يمكن أن يطمح إلى تغيير وجه العالم. كذلك الإعلانات التي تلته عامي 1793 و1795، فهي لا تمثل قطيعة راديكالية في تاريخ العالم، ومن الخطأ اعتبارها مستوحاة مباشرة من فكر الأنوار، لأنها في الواقع جاءت نتيجة توافقات وصراعات بين مختلف المجموعات السياسية المتواجهة، والتي لا تخلو بدورها من تأثيرات ومتناقضات. أما الطروحات ذات النزعة الكونية الموروثة عن بعض المفكرين، مثل كلود أدريان هلفيتيوس والبارون دي هولباك وديدرو، الذين قالوا إن البشر متساوون وأحرار في البحث عن السعادة بالطرق التي تناسبهم فقد ظلوا منسيين في اللحظة الثورية، ولا أحد من النواب كان يريد أن يسمع بهم أو يتعرّف نظرياتهم. ذلك أن الكونية لم تكن مطروحة زمن الثورة، ولم يسع أحد إلى تطبيقها، فقد استُبعد منها العبيد والنساء والأجانب وكل من يريد المحافظة على قناعاته الدينية، بهدف إبقائهم على هامش الجمهورية.

أما مقولة "الثورة ابنة الأنوار" فقد رفعها أنصار الثورة المضادة لاحقا، بعد تيرميدور من العام الثاني (27 يوليو 1794، تاريخ سقوط أنصار روبسبيير)، أي تحت حكم الإمبراطورية، حينما شرع نابليون في شنّ هجومه على أيديولوجيي الجمعية التي أسسها ديستوت دو تراسي. مثلما كان اليعاقبة في عهد الإرهاب يهاجمون ويصادرون بشكل منتظم الأيديولوجيا المطبوعة بعقلانية الأنوار، وكانوا يندون بها بوصفها مخالفة لتطلعات عامة الناس. أي أن أعمال العنف زمن الثورة لم تكن لها علاقة لا بفرض فكر، ولا بممارسة سياسية.

اللاعقلانية والمهمشون

ثم إن الثورة كلها طفحت بمواقف لاعقلانية، ومعتقدات أخروية كانت سببا في المواجهات. وكانت نهاية القرن السابع عشر قد شهدت ظواهر عديدة كالمسمرية (العلاج بالتنويم المغناطيسي) والجنسينية الاختلاجية (مذهب جنسينوس المتعلق بالنعمة الإلهية والجبرية، وكان أتباعه يصابون باختلاجات في استغراقها الديني)، تواصلت حتى زمن الثورة خاصة في باريس وليون. بل إن بعض رجال السياسة كان لهم هم أيضا رؤية كارثية عن العالم، وإيمان بالأخرويات (مجموع العقائد المتعلقة بالعالم الآخر)، مثل النائب جان بول مارات (1743–1793)، ولا يمكن بالتالي التغاضي عن هذا البعد العقائدي لفهم الثورة.

ورغم أن عددا من الثوريين كجاك بيير بريسو وجيروم بيتيون حاولوا وضع قوانين أخلاقية وسياسية على غرار نيوتن وكوبرنيكوس في قوانين الرياضيات، فإن اللاعقلانية كانت جزءا لا يتجزأ من الثورة الفرنسية التي ظلت تتأرجح بين العقل والأهواء. ولعل أبرز مثال على هذه الفوضى اختراع المقصلة التي صُنعت لإزالة القداسة عن الموت وإلغاء التعذيب، ولكن تنصيبها على صقالة والطواف البطيء بالمحكوم عليهم أعادا الهياج الشعبي الذي كان يراد إلغاؤه.

جان كليمان مارتان

فلاسفة الأنوار لم يمهدوا لحدوث الثورة الفرنسية

غيوم مازو

الثورة لم يقم بها الفلاسفة، بل من ضاقت بهم سبل العيش

كريستوف مارتان

لا نعثر على نظرية مشتركة يلتقي حولها فلاسفة الأنوار

والثابت اليوم أن الثورة الفرنسية لم يقم بها المفكرون والفلاسفة، بل أناس غمر من أهل الصنائع والفقراء والمهمشين ممن ضاقت بهم سبل العيش، ولم يكونوا على علم بالأنوار وأفكارهم ومؤلفاتهم، كما بيّن المخرج الفرنسي بيير شولر في شريط "شعب ومَلِكه"، ومستشاره غيوم مازو، الأستاذ المحاضر بمركز تاريخ القرن التاسع عشر بجامعة باريس الأولى. فبعد اقتحام حصن الباستيل لم تتخل النساء اللاتي قصدن قصر فرساي عن صورة الملك الطيب المحاط بمستشارين سيئين. وحتى عندما فرّ لويس السادس عشر إلى فارين (Varennes)، ظل الشعب في معظمه متمسكا بالملكية، كما يشهد على ذلك الجدل الحامي داخل المجلس التأسيسي وخارجه.

وهو ما يؤكده المؤرخ جان كليمان مارتان، المتخصص في تاريخ الثورة الفرنسية والثورة المضادة وحرب فاندي (Vendée)، إذ ينفي أن يكون الأنوار قد مهدوا للثورة الفرنسية، فالفلاسفة لم يكن لهم مشروع مشترك، وأغلبيتهم لم تكن تتمنى الإطاحة بالملك، بل تخفيف حكمه المطلق.

> **أغلب فلاسفة الأنوار كانوا معتدلين، يعتمدون على السلطات الملكية ومؤسسات النظام القديم التي أرهقت كاهل البسطاء**

النصوص القصصية تنويعات مختلفة على وتر التاريخ

عزيزة الطائي: النقد واحد لا هو غربي ولا عربي

يزخر المشهد الأدبي العماني بالعديد من الأصوات الثرية في مجال السرد أو الشعر أو النقد، لكن تبقى الإشكالية المطروحة دائما على الكتّاب العمانيين مسألة تجاوز المحلية والتأثير المحدود، وهو ما يؤثر على النصوص قبل تأثيره على الأدباء أنفسهم. نجد البعض من النصوص التأسيسية للأدب العماني محبوسة في بيئتها، وهذا ما جعلها محلية بالأساس، حيث لم تفتح النصوص البيئة المحلية على الكونية أو على مدى أوسع، بل فقط كان تناولها نوعا من الانطباع الذي لا يتمكن في غالبه من تجاوز العتبات القريبة. تطور النص السردي العماني بشكل كبير سواء في الرواية أو القصة القصيرة، حتى أن كاتبة عمانية هي جوخة الحارثي نالت عن روايتها "سيدات القمر" جائزة المان بوكر العالمية، وهي من أرفع الجوائز الأدبية في العالم، ولكن هل جاء هذا من فراغ؟ الإجابة نجدها في النقد الأدبي العماني الذي يواكب بجرأة كل ما يكتب ويدفع بقوة تجاه التجديد وتجاوز الأنماط الكلاسيكية، ويحاول مواكبة النصوص في توليفها بين المحلية والعالمية، وهو ما تخوضه الكثير من النصوص. في ما يلي حوار مع الكاتبة والناقدة العمانية عزيزة الطائي حول السرد العماني وعوالمه.

أجرت الحوار: يسرى أركيلة

الجديد: ما هو المنهج الذي اعتمدته في تحليل النصوص السردية العمانية وقراءتها في دراستك المنشورة مؤخرا حول الخطاب السردي في الكتابات العمانية الحديثة؟

• عزيزة الطائي: المنهج الذي اتبعته في هذه الدراسة منهج الخطاب السردي من خلال الجمع بين نظرياته وآلياته المتحققة عند منظريه الفرنسيين والشكلانيين الروس. وهي دراسة قصدنا منها تناول الخطاب السّردي في الكتابات السّردية العُمانيّة الحديثة في الفترة الممتدة من (1939 – 2010)، وقد شئنا لها أنْ تكون شاملة للسّرد التّمثيليّ التّخييليّ، وما يمثّله من قصة قصيرة، ورواية، وقصة قصيرة جدا، ورواية سيرذاتيّة والسّرد الذاتيّ الواقعيّ، وما يمثّله عامّة من سيرة ذاتيّة، ومحكيّ طفولة، ويوميّات خاصّة، ومذكّرات، وبورتريه ذاتيّ، ومقال ذاتيّ، ورسائل خاصّة، لما تمثّله هذه الكتابات المتنوّعة من روافد دالّة على خصائص تبلور الخطاب السّردي العُماني ومظاهر تطوّر آلياته الكتابيّة الفنيّة والمضمونيّة على مدى حقبة من الزّمن غير قصيرة.

> **القصة القصيرة والرواية في عمان لم تتحركا منذ نشأتهما بعيدا عن النقد، فقد كان النقد حاضرا يواكب خطواتهما**

قدّمنا للبحث بتمهيد تحدثنا في جزئه الأول حديثا موجزا عن تعريف الخطاب السّردي وتطرقنا لآراء مجموعة من النّقاد لمصطلح الخطاب (Discourse) معرّجين على أبرز تيّارين سرديين اهتمّ بهما الباحثون: أولهما، السّرديّة الدّلالية، ويمثل هذا التيار: بروب (Propp) وبريمون (Bremond) وغريماس (Greimas). وثانيهما، السرديّة اللسانية. ويمثل هذا التيّار، عدد من الباحثين من بينهم: بارت (Barthes) وتودروف (Todorov) وجينيت (Genette). ولم نغفل عن الإشارة إلى محاولات النقّاد وجهودهم للتوفيق بين منطلقات هذين التّيارين، إذ حاول جاتمان (Chatman) وبرنس (Prince)، الاستفادة من معطيات السّرديّة في تياريها الدّلالي واللّساني، والعمل على دراسة الخطاب السّردي في مظاهره بصورة كليّة.

ثم عرّجنا على أنواع الخطاب السّردي العُماني الذي مهّدنا له بمقدمة تنظيريّة تناولنا فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطّته، ومنهجنا الذي سنسير عليه، وأهميته مستندين إلى منهج تحليل الخطاب دون التنكّر للمضامين لصالح أشكال السرد متتبعين مسار الخطاب السّردي في عُمان وأبرز الأنواع السّردية التي كتب فيها الكاتب العُماني، وكيف تجلّت اتجاهاتها عبر مراحل زمنية تخوض التّجريب، وتنشد التّطور بهدف الوصول إلى النضج الفني.

معيار الاختيار

■ **الجديد**: ما المعيار أو المعايير التي لجأت إليها في اختيار النصوص، وما هي الاستجابات التي كنت تتوقعينها من النصوص، وما الذي فاجأك فيها، ولم تكن تلك المفاجآت في توقعك؟

• عزيزة الطائي: المعيار كان معتمدا على: الأسبقية، والجودة، والتطور الذي أحدثته هذه النصوص في مسار النص العماني، وهي عَيِّنَة ممثلة جدا، إذ ضَمَّت الدراسات المنشورة ضمن كتب إصدارات المنتدى الأدبي، والدراسات الأكاديمية المنشورة أو غير المنشورة. فإنّ ما لمسناه من تنوّع النصوص السّرديّة العمانيّة في فترة مبكّرة من ظهورها فضلا عن ثرائها الفنّي والمضموني يعدّ من أهمّ العوامل التي جعلتنا لا نكتفي بدراسة منظومة السّرد التخييليّة، ونعمل على توسيع دائرة الدراسة لتشمل منظومة أدب الذّات المرجعيّة أيضا، إذ لا يكتمل النّظر في الخطاب السّرديّ الأدبيّ ولا تتشكّل أبعاده الإنشائيّة تشكّلا عامّا إلا باجتماع المنظومتين المذكورتين، وتظافرهما على تكييف ملامح الخطاب السّردي الكبرى.

وقد كان بالإمكان أن تقتصر هذه الدراسة على درس نوع أدبيّ واحد مثل الرواية أو القصّة القصيرة، ومتابعة مختلف أطواره الفنيّة، ولكنّنا طمحنا إلى تحقيق مغامرة نقديّة شاملة تستقرئ بتأنّ ما ترسّب إلى يومنا هذا من العديد من الدّراسات النّقديّة الناضجة التي تتابع باستمرار ما يصدر من كتابات سرديّة عمانية متنوّعة، التخييلية منها والذاتيّة المرجعيّة على حدّ السواء، ولكن أحادية هذه الدّراسات وتراكمها اللافت جعلنا نعي اليوم أنّ الأدب العُماني بات في حاجة أكيدة إلى استجلاء ملامحه العامّة ومنعرجاته الفنيّة الكبرى عبر تحقيق دراسة نقديّة جامعة تجمع شتات ما أنجز من أجل رسم الجغرافية العامّة للمنجز الأدبي العماني، وطرح إشكالياته ورهاناته الكبرى، فضلا عن مزيد التّعريف بنصوصه وأهمّ مبدعيها.

■ **الجديد**: أشرت في مقدمة دراستك للسرد العماني إلى أن "أغلب ما كُتب من دراسات نقدية في أنواع السّرد العماني متناثر في مواضع شتّى من الصّحف والمجلات والدّوريات المحليّة". هل تعتبرين أن الكتابات النقدية التي أشرت إليها كانت منتجة لمعرفة عميقة بالنصوص وفاعلة بالتالي في القراءة العامة؟

• عزيزة الطائي: بالنسبة إلى المادة النّقدية العُمانية التي مثّلت الأرضيّة التي انبنى عليها مشروع البحث كانت غزيرة وموزّعة في مظان مختلفة، ولئن لم يقارب أيّ منها الخطاب السّردي العماني في شموليته لأجناس عدّة، فإنّنا نرى من الضّروري أن نعرّف بأهمّها محيلين بذلك على جهود من سبقنا، ومهّد لنا الطريق لنواصل الجهد المبذول، ونقرّ بفضل السابقين علينا في ما نحن ماضون في إنجازه حتّى يتّخذ الأدب العمانيّ المكانة التي تليق به في حقل الأدب العربيّ عامّة، رغم قلّة التّعريف نسبيا بمنجزه المحترم إلى اليوم.

فهذه الجهود المتناثرة كانت بمثابة العين المفتوحة لنا، وهي جهود تحليلية بعضها تحليلات وقراءات ماثلت النقد الفاعل، وبعضها كالدراسات الأكاديمية وغيرها مثّلت القاعدة النّقديّة التي انطلق منها مشروع هذا البحث حتى تتكوّن للقارئ فكرة نسبيّة عن صيرورة النّقد العمانيّ الحديث. وقد آثرنا أن نبدأ بالإحالة على النّقد الذي يعنى بالمتخيّل الأدبيّ لأسبقيته على النّقد المتعلّق بالكتابات الذّاتيّة المرجعيّة التي جعلناها لاحقة له.

ورأينا أن كلاً من القصة القصيرة والرّواية في عُمان لم تتحركا منذ نشأتهما بعيدا عن النّقد، فقد كان النّقد حاضرا يواكب خطوات القصّة القصيرة؛ بالأخصّ منذ بداياتها الأولى رغم اتّسامه بشيء من البطء قياسا بتسارع وتيرة حركة الإصدارات القصصية، وتتابعها المكثّف في الزّمان. أما بالنسبة إلى أدب الذّات في عُمان تندر حوله الدراسات النقديّة المنهجيّة بالقياس إلى ما هو متوفّر من دراسات نقديّة تعنى بالمتخيّل الأدبي؛ إلّا إذا استثنينا دراسة نصيب الصّبحي "السّيرة الذّاتية في الأدب العماني الحديث – دراسة وصفيّة تحليليّة". تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أنّ المفهومَ المعياري للسّيرة الذّاتيّة لم يعد قادرا على تمثيل نصوصها التي تكتب اليوم في الأدب العمانيّ المعاصر، كما أنّ تواري الكتّاب خلف رواياتهم للحديث عن حياتهم يجعل الحدود بين السير الذاتية والرواية متداخلة، علاوة على أنّ السّير الذاتيّة في عُمان تستمدّ أسلوبيّتها من الرّواية.

■ **الجديد**: غالبا ما يلجأ دارسو النصوص الأدبية الحديثة المكتوبة بالعربية إلى مناهج نقدية غربية وهذه المناهج ومصطلحاتها هي منتج فكري ونقدي هو خلاصة تتصل بتاريخ الثقافة الغربية وتوجهاتها، هل ترين أن النص العربي يحمل في جيناته اللغوية وميزاته الجمالية القابلية على القراءة والتحليل انطلاقا من هذه المرجعيات النقدية الغربية؟

• عزيزة الطائي: من وجهة نظري المتواضعة فالنظريات النقدية واحدة، وقابلة للتطويع على أيّ نص مدروس حتى وإن كانت من ثقافات أخرى، فالحكم على فنيات النص وبنيته من خلالها كون النص الأدبي مبناه متشكل ومنتزع من متعدد وهي التي تتناولها هذه النظريات، أما المضامين الموضوعاتية هي التي تختلف من بيئة إلى أخرى؛ علما بأن هناك الكثير من الأسماء العربية بدأت بصياغة آليات نقدية من خلال النظريات المطروحة فعلى سبيل المثال لا الحصر في السرد المتخيل تتفاوت الأصوات بين نقاد المشرق كعبدالله إبراهيم، خليل الشيخ، جابر عصفور، صلاح فضل، عبدالفتاح كليطو، محمد القاضي، محمد الخبو، عبدالرحيم جيران، يمنى العيد، سيزا قاسم وغيرهم، أما على صعيد كتابات الذات أعتقد إسهامات جليلة الطريطر في كتابها المرجعي الذي أطرت فيه لنظريات مهمة من خلال تطبيقها على بعض النصوص العربية.

■ **الجديد**: هناك من يعتبر أن الثقافة العربية فقيرة في المصطلحات النقدية ومتخلفة عن إنتاج هذه المصطلحات هل توافقين على هذا الرأي؟

• عزيزة الطائي: لا أتفق كليا، لأن الترجمات ومرونة اللغة العربية واتساعها فتحت أبوابا منافذها مشروعة عند ترجمة هذه المصطلحات وما يقابلها في اللغة العربية، وهذا ما قمت به في أحد فهارس كتابي الذي اجتهدت فيه فكل مصطلح أجنبي له ما يقابله في اللغة العربية؛ وقد أفادني كتاب معجم السرديات الذي أشرف عليه الدكتور محمد القاضي مع مجموعة باحثين ومنظرين قديرين من تونس، ومعجم مصطلحات التداولية الذي اشتغل عليه مجموعة باحثين تحت إشراف عزالدين المجدوب، والمعجم الموسوي في علوم اللغة الذي ترجمه عبدالقادر المهيري وحمادي صمود.

عالم السرد

■ **الجديد**: ما هي أبرز الخلاصات التي خرجت بها من دراسة النصوص السردية العمانية؟

• عزيزة الطائي: حين نتحدث عن النصوص السردية في عمان لا بد أن نميز بين مراحل ظهورها من جهة ومراحل تطورها من جهة أخرى. ويتطلب منا ذلك الوقوف عند دعامتين سرديتين، هما: الأدب المتخيل (القصة القصيرة، الرواية، القصة القصيرة جدا، الرواية السيرذاتية) وأدب الذات (السيرة الذاتية، محكي الطفولة، المقال الذاتي، اليوميات) فهذه الأجناس بأنواعها حاضرة في عمان حسب مرجعية وتاريخ حضورها. وأبرز ما خرجت منه دراستي أنّ تطور القصة القصيرة العُمانيّة متواشج، ومتفاعل مع تطور الأحداث والمخاضات التي حدثت للمجتمع منذ سنوات الانغلاق السّياسي، التي اتسمت بالبحث عن الهويّة الوطنيّة، إلى سنوات الانفتاح التي اتسمت بالبحث عن الهويّة الاجتماعيّة. إنّ التمرحل الذي قطعته القصة القصيرة العُمانيّة، يكاد يناظر ويماثل ذاك التمرحل الذي قطعته القصة القصيرة العربية بعامة، مع فارق أساسيّ، وهو أنّ القصة القصيرة العُمانيّة كانت مشمولة بسطوة الواقع المعيش، فجاءت تعبر عن الحالة الاجتماعيّة والسّياسيّة التي مرّ بها الإنسان العُماني.

إنّ عدم الاستقرار الفني الذي تعيشه القصة القصيرة العُمانية جزء لا يتجزأ من عدم الاستقرار النّفسي والفكري والاجتماعي، ومؤشر عليه. بيد أنّ هذا لا يمنعنا من اعتبار الواقعيّة هي السّمة الغالبة على القصة القصيرة العُمانيّة، ومهما تعددت، وتقنّعت طرائق وتجليات هذه الواقعيّة.

أما سيادة البناء التّقليدي على بناء الرواية العُمانية، فيبدو ذلك واضحا من خلال سيطرة نسق التّتابع في بناء الأحداث، وغلبة الحبكة التّقليدية، وسيطرة البناء التّقليدي في بناء الشّخصية، وبناء المكان من حيث العناية بهما وتقديمهما تقديما كاملا شبه تفصيلي، وسيادة النّسق الخطي الأفقي في بناء الزّمن، وسيطرة اللغة الواضحة، وسيادة الراوي الخارجي – كليّ العلم – الذي يأتي عبر ضمير الغائب.

هناك محاولات جادّة للتّجديد في الرّواية، وسعي دؤوب للخروج من أسر البناء التّقليدي، عبر استخدامها لبعض الأساليب الحديثة، خصوصا في ما يخص الزّمن الروائي، والرّاوي، حيث عمدت بعض الرّوايات إلى كسر التسلسل الأفقي، من خلال توظيفها لتقنية الاسترجاع أو الاستباق بصورة متكررة فكسرتْ نمطيّة السّرد التتابعي، وجمعت بعض الروايات بين التناوب الزّماني، وتعدد الرواة، وفئة ثالثة جمعت طرقا جديدة منها التّناوب الزّماني، وتعدّد الرواة، وتعدد الحكايات وتداخلها، وتكثيف اللغة، والاعتماد على الاستبطان بصورة كبيرة، وغيرها من الأساليب الحديثة التي حملتْ في ثناياها ميلا واضحا إلى التّجديد ممّا أدى إلى ارتياد عدد قليل من هذه الرّوايات لآفاق التّجريب في محاولة جادّة ومركّزة لدى (علي المعمري، وعبدالعزيز الفارسي، وجوخة الحارثي، وحسين العبري) ألحقت الرّواية العُمانية بركب الرّواية العربية والعالمية في خوض هذا الميدان.

وتتلون القصص القصيرة جدا بتلاوين متعددة، فعند اصطدامنا بعناوين المجاميع القصصية العُمانية القصيرة جدا، يتبين اختلاف تراكيبها الجُملية والنّحوية، فبعضها يقدم عبارة عن مفردة، وأخرى عبارة عن جملة، وأخرى عبارة عن تركيب ثنائي إسنادي يتشكل من نعت ومنعوت، أو من مضاف ومضاف إليه. وفي اختلافها التّركيبي هذا اختلاف من حيث المحمولات والدّلالات، بعضها صريح وبعضها مباشر، وبعضها ضمني ومضمر. إنّ التّداخل بين الأجناس الأدبية، وخاصة تلك التي تدخل في نطاق الأدب الشّخصي يفرض علينا الانطلاق من النّص والبحث في جمالياته، والاستناد إلى خصائص تقنية، ومعايير علميّة حتى لا يفقد النّص أدبيته، فالسّاحة الثّقافية العُمانية تحضر فيها نصوص متنوعة، انفتحت على فضاءات متنوعة بين السّرد والشّعر، وهي بحاجة إلى تجنيس ودراسة معمّقة؛ خاصة إذا أكدنا أنّها مازالت تتمحور في سردها وإيقاعاتها حول الذّات الكاتبة ومحيطها. فأدب الذّات خطاب مفتوح يتداخل مع الأجناس الأدبية والمعرفية، يتأثر بها ويتماهى معها.

هناك محاولات جادة للتجديد الروائي

> **الترجمات ومرونة اللغة العربية واتساعها فتحت أبوابا مشرعة عند ترجمة المصطلحات النقدية وما يقابلها في اللغة العربية**

وتبين لنا من خلال الدّراسة أن الكتابات الذّاتيّة بوصفها نسقا مغايرا للكتابات السّرديّة التّخييلية، تستند إلى ركيزتين هما التّاريخ والأدب، فهي قصة تسرد حياة صاحبها، وتتوافر فيها عناصر التّشويق الفني، والإمتاع البياني، فكتابة الذّات مهما كان نوعها وشكلها ما هي إلّا رواية المرء لحياته، أو جزء منها بأسلوب أدبي.

ومن المفيد ذكره أنّ معظم هذا النّتاج السّردي (المرجعي الذّاتي) كانت عناية أصحابه بالمضمون أكثر من عنايتهم بالشّكل؛ ولذلك يمكن القول إنّ قيمتها التّاريخية قد تفوق قيمتها الفنيّة.

لقد مكنتنا متابعتنا للخطاب العماني من رصد التّطور الفني لكتابة أنواع السّرد وخصائصه، خاصة في مضمار القصة القصيرة التي كانت آخذة في التبلور المطّرد بداية من الثمانينات وامتدادا إلى التسعينات. ولا شك أنّ العقد التّسعيني في عُمان يعد المجال الزّمني الذي تفتّحت فيه أقوى الأصوات تعبيرا ودلالة، سواء في القصة القصيرة أو الرواية، وانطلق الحكي الفني عبره يحفر مجراه راسما مساراته الكبرى في أبنية فنيّة ستتهيكل وتتنضد تدريجيا لتؤكد ما يمائل "هويّة" سرديّة خصوصية، وتفصح عن خصوبة الرؤية والوعي الفني.

الحوار ينشر كاملا على الموقع بالإتفاق مع الجديد

تجربة في النقد والإبداع

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

تادؤوش روزيفيتش شاعر نجا من النازيين بقصيدة بيضاء

«ابتسامة ليوناردو دافنشي» قصائد مفتوحة على الموسيقى والرقص والألوان

أواخر أبريل الماضي حلّت الذكرى السادسة لرحيل واحد من أبرز شعراء أوروبا، الشاعر البولوني تادؤوش روزيفيتش، الذي رحل عن عمر ناهز اثنين وتسعين عاما، كرس خلالها تجربة فريدة في الشعر والكتابة المسرحية والمقالات، وقد كانت أغلبها عن ويلات الحرب العالمية الثانية، الحرب التي نجا منها الشاعر ليصبح راويا لخفاياها ومشاهدها وانعكاساتها على البشر والأرض. فالشاعر في النهاية منحاز إلى الإنسان فيه، لذا كان متمردا على كل القوالب، وهو ما تؤكده المختارات الشعرية الجديدة التي صدرت له أخيرا مترجمة إلى العربية.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

يفتح الشاعر والمترجم هاشم شفيق مختاراته للشاعر البولوني تادؤوش روزيفيتش، والتي عنونها بـ"ابتسامة ليوناردو دافنشي"، بتقديم كاشف ومضيء لتجربة هذا الشاعر ذائع السيط وذي الشهرة اللامعة بولنديا، وسلافيا وعالميا، لافتا إلى أنه أحد الشعراء العالميين الذين رسخوا رؤى جمالية وفنية وتعبيرية خاصة.

ويلفت إلى أنه قرأ روزيفيتش في أواسط التسعينات من القرن الماضي، بترجمة صافية ودقيقة من الشاعر هاتف الجنابي، الذي عرف كيف يغوص في مختبره وينقب في عالمه الشعري الذي يعرف بدقته العالية.

شاعر مغامر

تادؤوش روزيفيتش ولد في بلدة رادومسكو البولندية، في التاسع من أكتوبر العام 1921 رحل بعد صراع مع الحياة والشعر والكون والعالم في عام 2014، بعد حياة حافلة بالكتابة الشعرية والمسرحية والتنظيرية.

ويؤكد هاشم شفيق أن هذه المختارات الصادرة عن مؤسسة أروقة للنشر "ثمينة ومشرقة تدل على إشراقة شعر روزيفيتش المثقل بالدلالات والصور والكنايات والمعاني المضيئة، تلك التي تضيء معطيات النص، وتضفي عليه لمسة فيروزية، لمسة الشعر الأصيل المبتكر والمُحدث، الشعر الذي يدفعنا إلى التأمل وتلمس مواطئ الدفء والإبحار في شواطئه غير المحدودة".

ويؤكد المترجم أن شعر روزيفيتش نهر وبحر وشلالات من الرموز والصور والإشارات، شعر يستجمع الذكريات المريرة، كالحروب التي مرتْ بها بولندا ولاقت ما لاقت على يد النازية من صنوف الدمار التي طالت البشرية، في طرائق التعذيب والقتل والمحو والحرق بأفران الغاز، فالنازية كانت عدوة للديمقراطيات والأنشطة اليسارية، وعدوة لحقوق المرأة وحقوق الإنسان، وعدوة للشعوب المحبة للسلام والعدل والحرية.

> روزيفيتش مترع بالفن التعبيري ومهووس بتطوير الأشكال الشعرية وبلورتها من جديد، لتظهر في رؤية مختلفة ومغايرة للمألوف

ويقول إن "شعر روزيفيتش مترع بالنوايا السلميّة، ومترع بالفن التعبيري، ومهووس بتطوير الأشكال الشعرية وبلورتها من جديد، لتظهر في رؤية مختلفة ومغايرة للمألوف والعادي والمتعارف عليه، في لغة الشعر المستتبة حينذاك على قوالب موسيقية محدَّدة، فجاء روزيفيتش ليضيف ويُجدِّد في منحى الشعر البولندي والعالمي، مستلهما حركات التجديد الشعري في العالم، ومستوعبا التطوّرات والإضافات التي طرأت عليه في فترتي الخمسينات والستينيات من الألفية الفائتة، ومتابعا بعين الرائي، والشاعر العارف، والخبير بالفن الشعري الأنساق التي تتشكل عبر الحدود، مراقبا ما يجري من لألأة راحت تنير بأنوارها التخوم والبلدات البولونية.

شاعر جعل من قصائده أصواتا لضحايا الحرب

ويلفت هاشم شفيق إلى أن روزيفيتش كان شاعرا شبه عدمي، لا يأبه للمواجهة وصدم الذائقة العامة، وصدم الإعلام والنقد الأدبي والجو الشعري البولندي أيضا، بآرائه الأدبية والشعرية والفكرية والسياسية الجريئة والمتحدِّية، النازعة للجدل والحِجاج والمناظرة، لم يستسلم ويُهادن الأجنحة السياسية التي حكمت البلاد، فظلّ وفيا لذاته المبدعة وآرائه الجمالية وفكرته الناظرة إلى العالم بروح الشاعر الذي صقلته الحياة والفقد، منذ نشأته وحتى وفاته، بدءا بفقد أخيه الشاعر الشاب وهو في مطلع العشرينات، وفقدان بعض أصدقائه المُقرّبين، من بينهم أحد الشعراء الذين انتحروا بعد نهاية الحرب.

كان روزيفيتش واحدا من الناجين من مجازر الحرب العالمية الثانية، تلك التي جرتْ على مسارح الأرض البولندية الدموية، وقد سجَّل بعض مشاهد تلك الحرب في ديوانه الأول "الاضطراب" حيث يتحدّث في قصيدة "الناجي" عن نجاته من المسلخ النازي، وهو في سن الرابعة والعشرين، بينما أصدقاؤه الكثر قد حصدتهم الحرب، ولم يبق له سوى الرماد والذكريات المدمرة والمؤلمة، تلك الذكريات التي ظلت تلاحقه بأشباح الحرب وطغيانها على مشاهد حياته اليومية، والجديدة بُعَيد نهاية الحرب.

روزيفيتش انتسب مثل غيره من الشعراء والأدباء والمفكرين والفنانين والكتاب والصحافيين إلى المقاومة كما يحصل في أي ميليشيا وطنية، لكن حين تقع في سلسلة من الأخطاء لا يستطيع الشعر أن يتحمل وزرها أو يغض الطرف عنها أو يتجاهلها، استقال الشاعر وانسحب منها بعد مرور عام على انتمائه إلى جبهة المقاومة البولندية.

قصيدة متفردة

يكشف هاشم شفيق في قراءته لتجربة الشاعر أن قصيدة روزيفيتش تهتم بالعالم الحسّي وبالتفاصيل اليومية للكائن، وهو يعيش يوميات حياته، يراقب عن كثب الحالة الإنسانية، يحياها بعمق ويتشرَّبها بكل جوانحه ولوامسه وحواسه، ليجسِّدها في النهاية في قصيدة، وقصيدته غالبا، ومثل أي فن راق ورفيع وغير مسطح ونمطي وعادي، تنطوي على كمية من الغموض الموحي والدال والمُعبِّر وغير المُفصح والمُفسَّر والمكشوف، فقصيدته تشيح بوجهها أحيانا أمام من يتسارع نحوها لكشف نقابها، فقناعها لا يرفع بسهولة وإن رفع فلسوف يرفع ويزاح بأناة ودراية وصبر، الصبر على المختبئ والمتواري، والتائه في العروج والمتاهات والذرى.

ويرى أن "كل قصيدة لروزيفيتش، عليك أن تقرأها عدة مرات لكي تفك مغالقها السرّية، فهي ليست قصيدة الواقعية الاشتراكية التي سادت حقبة في زمانه، بل هي قصيدة تتقلب بين الرموز والعلامات والحركات الإشارية ذات البعد الموحي والدال على الاكتناه العميق والتوَّدة الجمالية. قد تبدو القصيدة للوهلة الأولى بسيطة وسهلة ومُحببة للاستقبال، وهذا الأمر كان يجري في بعض أعماله الأولى، القصيدة التي تماشي الكينونة الإنسانية وتصاحبها وتمدُّ اليدَ لها، لكن روزيفيتش القلق والمضطرب على صعيد الفن عامة، وليس الشعر فقط، لم يستسلم لأسلوب معيّن ويتخذه نهجا ونموجا وأسلوبا له، كون نظرته إلى الفن مختلفة ونازعة إلى تجاوز الماثل باتجاه الانقلاب والتغيير والتجدد.

محطات شعرية

يتوقف شفيق عند المحطات الشعرية الفنية التي مرت بها مسيرة روزيفيتش الشعرية، بداية بالمحطة الأولى "القصيدة ذات الإشراق الواقعي"، حيث انغمر روزيفيتش في كتابة القصيدة ذات المُسحة الواقعية، وكان ذلك في بكوريات أشعاره الأولى، حيث الجو الشعري والأدبي المحيط به، كان يقع تحت تأثير ما يعرف بالواقعية الاشتراكية في الأدب، وهي مرحلة ستالينية بامتياز، حيث سيطرت تلك المدرسة أو التيار على مجمل نتاج الحركة الأدبية والفنية والنقدية والشعرية، وعمَّت بطريقة لافتة كعدوى جُلّ البلدان الاشتراكية حينذاك، تشيكوسلوفاكيا، بلغاريا، يوغسلافيا، ألمانيا الشرقية، هنغاريا، ودول الاتحاد السوفييتي سابقا، مما عرَّض الأدباء والفنانين، إلى الانغماس في الروح الأدبية الدوغمائية.

بعض الأدباء أخلص لهذا التيار، والبعض الآخر أخذ يتهرّب منه أو لجأ إلى الصمت وعدم المشاركة مع الجوقة، والانخراط في تيارات التبويق ورفع راية التأليه الستاليني، وتقديس أدب الطبقة العاملة، غوركي في الأدب ومايكوفسكي في الشعر، رغم تمرد الأخير وعنفوانه وشموخه ورفعته التي لم تتحمل ذلك، مما أدّتْ به إلى الانتحار، ليلحق به الشاعر يسنين الصامت والرافض والمطارد، بينما ظلّ يراوح ويتملص بطريقته الشعرية والحياتية الملتوية، الشاعر يفتشنكو، المنساق حينها رغم شاعريته الكبيرة والواضحة إلى التيّار الجماهيري، كنيرودا في أميركا اللاتينية، وأراغون في فرنسا، وهما شاعران كبيران وأكبر من كل تيار ومدرسة يمكن حصرهما فيهما، فالتمرد الشاعري كامن في دواخلهما، فروزيفيتش هو من هذه الجَبلة، مجبول على حس الخروج والرفض والتمرد والقلق وعدم الاستقرار على نسق بعينه أو نهج محدّد ومرسوم، فالقلق كان رفيقه الدائم، وليست مصادفة عابرة أن يسمي ديوانه الأول بـ"قلق" فهو شاعر قلِق وحيران وغير مرتاح وراض، حتى على الشعر كله.

ثاني محطات روزيفيتش كانت "قصيدة النثر"، ففي الفترة التي باتت شبه مفتوحة على التيارات الأدبية العالمية، وراح العالم الحديث يتململ في أوروبا الشرقية، ظهرت حركات فنية عديدة، ومس لهب التجدّد القصيدة البولونية، فراح الشعراء الموهوبون الكبار، يجسِّدون الحداثة المرجوَّة، في شعرهم وأساليبهم ونماذجهم الحداثية الجديدة، وقد اقترب من هذا النفس الجديد الشعراء هربرت زيبينغ، وجيزواف ميووش الحائز على جائزة نوبل، وفيسوافا شمبورسكا جائزة نوبل أيضا، ومن ثم روزيفيتش اقترب من عوالم قصيدة النثر، تلك التي بدأها بودلير في ديوانه "سأم باريس"، والقصيدة الحرة، كتلك التي كان يكتبها ويتمان الأميركي وجسّدها في ديوانه "أوراق العشب".

بيد أن شاعرنا وهو شاعر يمتلك من الموهبة، مما يجعله في غنى عن طابع التماثل والتطابق مع الآخر إن صحّت العبارة، كان يتماهى ويتناجى ويستلهم الشكل المغاير للنمطي والمألوف، فأمسى يقترب من عالم قصيدة النثر والقصيدة الحرة ليكتبهما، ولكن بأسلوبه هو وبحسّه وبأجوائه وبطريقته الشعرية اللافتة فنيا.

ثالثا نجد محطة "النص المفتوح" في تجربة روزيفيتش، فقد كان يميل إلى الابتكار والتجديد والمغايرة، وسعى في سنواته المتأخرة إلى كتابة النص المفتوح على الأشكال الفنية الأخرى، فأدخل القصيدة باكرا في التناص والغوص عميقا في مدار التنصيص ليتناص مع المسرح الذي يكتبه ومع القصة القصيرة، حيث بذل المزيد من الجهود التناصيّة، ليكون عمله الشعري مفتوحا على الفن التشكيلي والموسيقى والرقص والحكاية الموروثة.

> روزيفيتش كان شاعرا شبه عدمي لا يأبه للمواجهة، وصدم الذائقة العامة والإعلام والنقد الأدبي والجو الشعري

تحت ضوء هذا المسعى، دشّن الشاعر تجربته الأولى في هذا الفن، أي فن النص المفتوح في ديوانه اللامع "ترتيب لندوة شعرية"، وقد حفل هذا الديوان بنصوص مختلفة، معبّرة ومتضامّة مع بعضها، كان الشعر هو قائدها نحو الإضاءة وإنارة ما كان ينوي فعله من عمل جمالي في هذا الكتاب الشعري المفارق لنسقه الشعري المتعارف عليه، أصبح روزيفيتش بعد نصوص هذا الكتاب من أبرز رواد النص المفتوح، لا بل أصبح رائده، حسب الشاعر الذي قدمه إلى الإنجليزية آدم تشير نيوفسكي.

أما المحطة الرابعة في تجربة الشاعر فكانت "القصيدة البيضاء"، فقد كتب الشاعر روزيفيتش خلال مرحلة الستينات وهي من أخصب فترات حياته الشعرية والفنية والجمالية، القصيدة البيضاء، ولقد شاعت عندنا في العالم العربي في فترة الثمانينات على يد بعض الشعراء اللبنانيين متأثرين بالقصيدة الفرنسية الجديدة.

في تلك الفترة، أي فترة الستينيات، كان روزيفيتش يجرب جميع الأشكال الشعرية، ليخلص في النهاية إلى الشكل الذي يرتئيه، متخلصا بذلك من الطرق المستخدمة والمطروقة والمستهلكة، فرؤاه الواسعة ومطامحه التصويرية ونهجه النظري اللافت إلى المشاكلة والتغرُّب والاختلاف، هو ما أدى به إلى التفرد في أنواع الكتابة الشعرية، وجعله يبحث عن الثمرة الغريبة في حقل من الأثمار المتشابهة.

نماذج من المختارات

لون عينيها والأسئلة

هل لحبيبي
عينان زرقاوان
وومضة فضّية؟
لا
هل لحبيبي
عينان عسليتان
وشرارَةٌ ذهبيّة؟
لا
هل لحبيبي
عينانِ سوداوانِ
من دون ضياء؟
لا
حبيبي يمتلكُ
تينك العينينِ الرماديّتينِ اللتينِ
سقطتا عليَّ
مثل مطرٍ خريفيّ.

الجبال الذهبية

المرّة الأولى التي رأيتُ
فيها الجبال
كنتُ في السادسة والعشرين
في حضرتها لم أضحك
لم أصرخ
إنما تكلمتُ بهمس
وحين عدتُ إلى البيتِ
انتويتُ أنْ أخبرَ أمي
ماذا كانت تشبه الجبالُ
لكنّ ذلك كان صعبا عليّ
فعله في الليل
لأنّ كلّ شيء يبدو مختلفا
لما تحتويه الجبالُ والكلماتُ
أمي كانت صامتةً
ربما كانت متعبةً
وبحاجةٍ إلى النوم
القمرُ والجبلُ الذهبيُّ
للناس المتواضعين
حينذاك
ذابا بين الغيوم.

دعنا

إنسنا
إنسَ جيلنا،
وعِشْ
مثل الناس التي تتناسانا/
لقد حَسدْنا
النباتاتِ والأحجارَ
حسدنا الكلابَ
لذا أُحبُّ أنْ أصيرَ جرذًا
لقد أخبرتها بذلك
لا أريد أنْ أكونَ شيئًا
أريدُ أنْ أنامَ
وحين أنهضُ
أجد الحربَ قد انتهتْ
قالت ذلك وهي مطبقةُ الجفنينِ
إنسَ
لا تستَعِدْ شبابكَ
ودعنا مِن ذلك.

شبه القارة الهندية عوالم ساحرة تسحق النساء

«وزارة السعادة القصوى» لأروندهاتي روي.. تقتفي آثار الطيور الهرمة

بعد مضي أكثر من عشرين عاما على صدور روايتها الأولى "إله الأشياء الصغيرة" 1997، تعود الكاتبة والناشطة الحقوقية الهندية أروندهاتي روي إلى عالم الرواية من جديد بروايتها الثانية "وزارة السعادة القصوى" التي ترسم من خلالها صورا مجهولة عن المجتمع الهندي، الذي يعتبر من أكثر المجتمعات ثراء حضاريا وتنوعا إثنيا، لكن هذا التنوع يخفي خلفه عوالم كثيرة تتصارع وتتناحر لأجل الثروة أو الدين أو العرق أو فرض وجودها.

هيثم حسين
كاتب سوري

تعمل الروائية الهندية الشهيرة أروندهاتي روي في روايتها "وزارة السعادة القصوى" على تأريخ محطات من تاريخ المجتمع الهندي المثقل بالفوضى والطبقية والعنف الطائفي، بطريقة توثيقية وتخيلية مبتكرة، تتعمق من خلالها في ثنايا الطبقات الاجتماعية، لتشرحها وتستعرض ما يعترك فيها من خرافات وأساطير وحكايات.

تصف روي في روايتها، الصادرة عن منشورات الكتب خان في القاهرة بترجمة أحمد شافعي، مظاهر الفقر التي تكرس التقسيم الطبقي في البلاد، وتلعب دورا كبيرا في قهر الناس، وكيف أنه ينعكس على حياتهم بطريقة وحشية، وكأنه متواطئ مع الظروف التاريخية والسياسية السابقة والمصاحبة لتعكير آمالهم وتبديد أحلامهم بغد أفضل.

لعبة العتبات

تشي عتبة الإهداء الذي توجّهه الروائية "إلى مَن لا عزاء لهم" بمسارها في عملها، واستراتيجيتها المتمثلة في الانتصار لأولئك المهمشين المسحوقين الذين لا يجدون من يواسيهم أو يعزيهم، أو يهب لمساعدتهم وانتشالهم من عوزهم وفقرهم وتهميشهم، ومن اللعنات الكارثية التي يبقون سجناء في مستنقعاتها ونزلاء في عتماتها المفروضة عليهم.

> روي تصف في روايتها مظاهر الفقر التي تكرس التقسيم الطبقي في البلاد، وتلعب دورا كبيرا في قهر الناس

تبقى أروندهاتي الإهداء مفتوحا، بحيث يمكن تعميمه على جميع مَن يتماهى مع الحالة التي تمهد لها، وهي تلك التي لا يجد صاحبها أي عزاء أو مساندة، بحيث يكون التهميش لعنته الماضية المستمرة، والفخ الذي يراد له أن يبقى فيه. وفي عتبة الإهداء الثانية تختار جملة قصيرة للشاعر التركي ناظم حكمت يقول فيها "الأمر كله معلق بقلبك..". ومن المعلوم أن ناظم حكمت عانى من ظلم النظام السياسيّ وقمعه، وقاسى مرارات السجون، لأنه كان ينتصر للفقراء والمهمشين، ويدافع عنهم في شعره ومواقفه الحياتية والسياسية، وكأن روي بذلك تدمج بين المعاناة الإنسانية في أكثر من مكان، وكيف أن الظلم يتشابه في أدواته ويتقاطع في آلياته وتأثيراته ونتائجه المفجعة.

بعد ذلك تستوحي حكاية أسطورية، تمارس عبرها نوعا من الترميز والإسقاط، وتحكي كيف أنه في ساعة سحرية تنتزع جيوش الوطاويط أنفسها من شجر التين في المقبرة العتيقة، "لتنداح في المدينة انديا الطوفان"، وتكمل أنه إذ "ترحل الوطاويط، ترجع الغربان، فلا تملأ بضجيج رجوعها ما تخلف من صمت بعد أن غابت العصافير، وبعد أن محيت من الوجود النسور الهرمة بيضاء الظهور حراس الموتى منذ مئة مليون سنة".

تقفل أروندهاتي الاستهلال السردي بالإشارة إلى أنه لم ينتبه الكثيرون إلى غياب الطيور الهرمة الحبيبة، فما أكثر ما كانت العيون مشدودة إليه، لتشرع نوافذ الحكاية ومعابرها على عالم ثري مؤلم من المآسي والمفارقات الأليمة التي تؤثث فضاء الرواية بفجائع الواقع ولعنات التاريخ التي تظل حاضرة في راهنها وتحمل جمرات الخراب لمستقبلها كذلك.

ثم بعد ذلك تختار للفصل الأول عنوانا استفهاميا "إلى أين تذهب الطيور الهرمة؟"، ينفتح بدوره على مسارات حكائية متعددة، تمضي في اتجاهات تبدو مختلفة للوهلة الأولى للقارئ، لكنها لا تلبث أن تتقاطع تاليا وتسير معا في نهر الحكايات مستكملة صورة الرواية فنيا وموضوعيا. تستعيد الراوية أنجم سيرة الاسم، وأن أحدهم أخبرها أن اسمها في الإنجليزية حين يكتب معكوسا فإنه يتحول إلى منجو، وقال إنه في النسخة الإنجليزية من قصة مجنون ليلى يدعى روميو، وليلى تدعى جولييت. ثم يخبرها لاحقا أن اسمها يتحول إلى مجنا، وهو لا يعني شيئا، فردت عليه إن ذلك لا يهم، وهي كل هؤلاء، وأنها ملتقى الجميع ولا أحد، الجميع ولا شيء.

تدير أنجم مع الإمام الضرير حواراتها، تتفلسف بدورها وهي تستمع لفلسفاته وتستمتع بحكاياته، وتسأله أن يخبرها أين تذهب الطيور الهرمة لتموت، وهل تسقط على الناس من السماء سقوط الحجارة، وهل يتعثر الناس بجثثها في الشوارع، وهل يعتقد أن الواحد العظيم البصير الذي أنزل البشر في هذه الأرض قد أعد الترتيبات اللازمة لأخذهم.

تحكي روي أن أنجم التي ترحل لاحقا عن الخواب، أثارت غيظ الإمام الذي خرج غاضبا، وبدأ ينقر بعصاه على الأرض وسط المقابر، وهي بدورها لم تستوقفه، وعلمت في قرارتها أنه سيرجع، لأنها كانت تعرف الحدة حين تقع عليها عيناها برغم كل أشكال التظاهر والتخفي، وتروي أنها كانت تستشعر بطريقة محسوسة عجيبة أنه بحاجة إلى ظلها بقدر ما هي بحاجة إلى ظله، وكانت تعلم من واقع الخبرة أن في مخزن الحاجة متسعا لقدر لا بأس به من القسوة.

صراعات لا تنتهي

تعود أروندهاتي إلى لحظة ولادة أنجم التي ولدت ذات ليلة باردة من يناير على نور قنديل في شاه جهان آباد، أي مدينة دلهي المسورة، وأخطأت القابلة بتحديد جنسها، وظنت بأنها ذكر، ما لاقى هوى وسعادة لدى والديها اللذين كانا ينتظران صبيا لأن لهما ثلاث بنات، وكانا قررا أن يسميا ولدهما أفتاب، واعتبرت أمها جهان آرا تلك الليلة أسعد ليلة في حياتها، لكن الخيبة الكبرى كانت في صباح اليوم التالي، حين اكتشفت أن المولود ليس ذكرا كما ظنت القابلة.

تكون الصدمة القاهرة للأم التي تكون ردود فعلها متخبطة، تنفر من وليدها، ثم تنظر إليه لتتأكد أنها غير مخطئة، ثم ارتدت ابتعدت قليلا وهي تنظر إليه، وفكرت في قتل نفسها وطفلتها، ثم بعد ذلك تناولت الطفلة واحتضنتها وهي تسقط في شق بين عالم عرفته وعوالم لم تكن تعرف أن لها وجودا.

تحكي أروندهاتي أن هنالك في الهاوية، وبينما تتخبط جهان آرا في دوامة الظلمة، بدا لها كل شيء كانت على يقين منه حتى ذلك الحين، من أصغر الأشياء حتى أكبرها، عديم المعنى، وقالت في قرارتها إن كل شيء إما أن يكون مذكرا أو مؤنثا، رجلا أو امرأة، كل شيء عدا وليدها، وكانت تعلم أن لأمثاله في اللغة الأوردية كلمة تطلق عليهم هي هيجرا، بل كلمتان في الواقع هما هيجرا وكينار، وتستدرك بأنه ما من لغة تقوم على كلمتين اثنتين.

سر الطفلة ظلّ يكبر معها ومع أمها التي كانت تتساءل إن كانت الحياة تقوم خارج اللغة، وأن هذا السؤال لم يكشف لها عن نفسه في كلمات، أو حتى في جملة واحدة ناصعة الوضوح، بل تجلى لها في عواء بدائي أخرس.. ثم بعد ذلك قررت أن تتكتم على الأمر إلى حين ولا تطلع أحدا عليه.. وبدأت تفكر في سبل معالجة الوليد، ولجأت إلى الأساليب البدائية كذلك والخرافات المنتشرة عن مداواة تقليدية أو روحانية في المزارات الدينية.

ينوس الخطاب الروائي لدى أروندهاتي حين استعراض حياة بطلتها بين الذكورة والأنوثة، حيث تقتفي أثر الطفلة المخبوءة في لبوس الذكر، وتأثيرات ذلك على حياتها الطفولية، وعلى المراحل اللاحقة من حياتها حين بدأت تكبر وتدخل معمعة الحياة التي واجهتها بقسوة وإيلام، وكانت جزءا من تركيبة وحشية لا تبقي ولا تذر.

> بذكاء تتطرق الكاتبة إلى التخريب الذي تعممه الصراعات الإثنية والقبلية والحروب الأهلية التي تنشر الكراهيات والعنصريات

ترمز أروندهاتي إلى التخريب الذي تعممه الصراعات الإثنية والقبلية والحروب الأهلية التي تنشر الكراهيات والعنصريات بين أبناء الجغرافيا الواحدة الذين يجدون أنفسهم ضحايا أحداث تاريخية لا يد لهم فيها، كصراع كشمير، والصراعات التي أنتجها بدوره، ويضطرون لدفع أثمان باهظة من حياتهم وأرواحهم، وهم يجاهدون للبحث عن سعادتهم المنشودة، تلك التي تكون بدورها مضمرة ومخبوءة وكأنها جسد الطفلة المخبوء في ثوب ذكوري مخيب للآمال.

تتحدث صاحبة "إله الأشياء الصغيرة" عن ممارسات سلطوية تعمل على تعميم مزيد من الإفقار، والتجهيل، كإغلاق مدارس ومستشفيات ومعامل وتحويلها إلى مقرات للجيش والعصابات المسلحة، وذلك تحت زعم حماية الأمن وتأمين السلام للمواطنين، في حين تكون الغاية هي ترويعهم وبث الرعب في قلوبهم.

ومن الجدير بالذكر أن رواية أروندهاتي من الثراء والغنى بحيث يصعب الإلمام بتفاصيلها المثيرة واللافتة التي تبرز جماليات شبه القارة الهندية بتعدد أعراقها وأديانها وألوانها، بالموازاة مع تصوير جوانب من المعتقدات التي ترسم لشرائح كثيرة من أبناء تلك البلاد حياتهم الراهنة والمستقبلية، وتضعهم على خطوط التماس مع الفجائع، أو تلقي بهم في أتونها، فيجدون أنفسهم يكملون حروب الآخرين، ويسهون عن خوض حربهم الخاصة في صياغة سعادتهم المنشودة.

امرأة تخوض صراعها الخاص (لوحة للفنانة هيلدا حياري)

رف الكتب

القارئ ينتظر المتعة

"القارئ الأخير" للأرجنتيني ريكاردو بيجليا، كتاب عن القراءة وتفاصيلها، ويصدر قريبا عن منشورات المتوسط، بترجمة الروائي المصري أحمد عبداللطيف.

الكتابة عن القراءة ممتعة في كل الأحوال، وقد ترسخت كجنس أدبي، لكن كتابة ريكاردو في هذا الكتاب أكثر إمتاعا، وأثقل وزنا من كتابات ألبيرتو مانغويل الذي اشتهر بهذا النوع من الأدب المخصص لفعل القراءة.

لا يحفل الكتاب بالمعلومات فحسب؛ بل يقدم ثيمات أقرب للعمل الإبداعي، ويعيد بناء حياة النص مع حياة كاتبه ومع عصره.

ريكاردو بيجليا (1941 – 2017) روائي وناقد يعدّ من أبرز كتّاب القصة القصيرة كما أنه من أهم المنظرين لها قبل أن يتوجه إلى الرواية ويصدر خمس روايات، وهي أعمال تتقاطع مع اشتغاله النقدي والأكاديمي على نظريات الرواية وأدب أميركا اللاتينية.

علاقة غريبة مع الكتب

رواية "عاشق الكتب" للكاتبة الأميركية أليسون هوفر بارتليت، تتحدث عن تتبع أليسون مسار سارق الكتب المهووس جون جيلكي، الذي سرق بما قيمته مئات الآلاف من الدولارات من الكتب النادرة بين عامي 1999 و2003، عبر استخدامه العشرات من أرقام بطاقات الائتمان التي حصل عليها من خلال عمله. أثارت هذه السرقات غضب بائع الكتب النادرة، كين ساندرز، الذي قرر العمل كمتحرّ للقبض على السارق المهووس، وهو ما تحقق لاحقا. عندما وجدت قصة جيلكي وساندرز طريقها إلى الصحافية أليسون هوفر بارتليت، اكتشفت أنها "ليست فقط حول مجموعة من الجرائم، ولكن أيضا حول علاقة الناس الحميمية والمعقدة والخطيرة في بعض الأحيان بالكتب".

واستخدمت الكاتبة قصة هذين الشخصين، جيكلي وساندرز، نقطة بداية، للبحث حول أغرب العلاقات ما بين الكتب ومحبيها والعاشقين لها. وقد صدر الكتاب حديثا عن دار "المدى للنشر" في بغداد بترجمة حنان علي.

نهاية القرن الأميركي

يعتقد الكثيرون أنه كذلك، ففي السنوات الأخيرة وقبل ظهور فايروس كورونا، أظهرت الاستطلاعات أن 15 بلدا من 22 أجريت عليها الاستطلاعات، أجابت أن الصين إما إنها ستحل محل الولايات المتحدة، أو إنها بالفعل قد حلت محلها باعتبارها القوة العالمية القائدة.

هذا ما يناقشه كتاب "هل انتهى القرن الأميركي؟" تأليف جوزيف إس.ناي الابن، والذي صدر عن المركز القومي للترجمة بترجمة وتقديم السيد أمين شلبي.

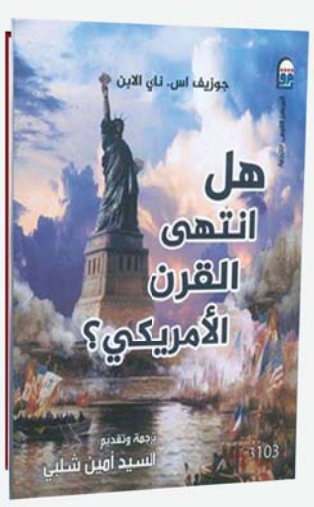

يرصد الكتاب تباين الآراء حول تراجع أميركا يأتي في الدرجة الأولى لإنفاقها الكبير جدًا على الأغراض العسكرية، والتي هي نتيجة لمحاولاتها الاحتفاظ بارتباطات خارجية لم يعد في إمكانها تحملها بوضعها الاقتصادي الحالي.

وجوزيف ناي، الابن، ولد في 19 يناير 1937، وهو أستاذ علوم سياسية وعميد سابق لمدرسة جون كنيدي الحكومية في جامعة هارفارد.

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

شيء خارق كان يحدث هنا

الأكاذيب، الشهرة، الذاكرة، المرض، ومسرح رضا عبدُه

عرف المخرج والكاتب المسرحي الإيراني الأصل رضا عبده، بمسرحه غير المألوف، وأماكن عروضه الاستثنائية مثل المستودعات والمباني المهجورة. يمكننا أن نسم مسرح رضا عبده بأنه مسرح تجريبي، لكنه يفتح آفاق التجريب على أقصاها، حتى صار له نمطه المسرحي الخاص وجمهوره الذي يتابع أعماله وتجاربه العميقة التي حققت الاعتراف النقدي رغم رحيله في سن صغيرة. وفي ما يلي نص للكاتب والمسرحي سالار عبده شقيق رضا، الذي كتب جزءا من تفاصيله مع المسرحي الاستثنائي وأرخ للحظات شقيقه الأخيرة.

سالار عبده
روائي أميركي من أصل إيراني

حين مات أخي المسرحي رضا عبده، لم أسقط مباشرة في الهاوية. بل استغرق الأمر حينا من الوقت؛ خطوة صغيرة في الزمن نحو أسفل سلّم الاكتئاب المؤدي إلى الظلام المحتوم. شعور شاملٌ بالضيق طغى واستحوذ في السنوات اللاحقة على معظم ساعات أرَقي حتى بعد أن نشرتُ كتابي الأوّل، وحصلتُ على بعض الاعتراف في عالم نيويورك الأدبي القاسي، وتمكّنتُ من الحصول على وظيفة أكاديمية محترمة بسبب كتابتي.

يمكن للحزن أن يتّخذ أشكالا مختلفة. أحيانا يبدو الأمر كما لو أنك قد دلفتَ إلى كهف؛ فكلما تقدّمتَ كلما أصبح الضوءُ أقلّ لترى طريقَك. وفي نهاية المطاف، تبلغ نقطةَ الظلام البحْت. وبالنسبة إليّ حدث ذلك ذات ليلة؛ كنتُ ذهبتُ إلى النوم، وحين استيقظتُ، كأنما زرّ المفتاح كان قد انطفأ.

كذب أبيض

في ليلة عيد الميلاد الستّين لأستاذ الكتابة ومعلّمي وجدتُ نفسي، مثل سمكة خارج الماء، ضيفا في بيتٍ مليء بنجوم عالم الأدب والفنّ في نيويورك. من بين أولئك الضيوف كانت سوزان سونتاغ التي كانت مخلصة لمسرح رضا. حين قلتُ لها من أنا، وهبتْني سونتاغ حضنا وجيزا وحميما. ثمّ افترقنا ولم نتحدّث مرّة أخرى. ورغم أنني لم أكن حقا من محبّي أسلوب سونتاغ المكثّف في الكتابة، إلا أنني كنتُ أريد أن أصدّق في تلك الحالة أن فطنة مختصرة حول رحيل رضا من مفكّرة من عيارها، قد تُعيرني نوعا من القوة العاطفيّة؛ أملا أصمّ، مولودا من العذاب.

تَقدُّم رضا السريع في عالم المسرح من لا شيء، جعل الناسَ يريدون أن يفهموا بشكلٍ أفضل من كان هو وما كانت خلفياته. مسرحياته أدهشت الجماهير. سواء في المشاهد التي أخرجها في حارات المدينة المختلفة أم التي انحصرت في المساحات الضيقة والخانقة، كان قادرا على أن يلتقط تصاويره، ويستخلص عروضا من ممثّليه بحجم التضحية بالنفس.

> الفكرة الرئيسية لـ«قصة عار»، كان ينبغي أن تُجسَّد من خلال شخصين ينتظران موعد إعدامهما؛ أحدهما حقيقي والآخر مجازي

مسرحُه كان مسرحا غاضبا في غاية الإثارة؛ يعاقبُ ويستنفد طاقة المشاهد؛ على سبيل المثال، بعد مشاهدة عرض رضا لـ"الملك لير"، والذي كان إنتاجًا متواصلا لثلاث ساعات بينما لم يكن هو بالغا إلا واحدا وعشرين عاما من العمر، وبميزانية كادت تكون لا شيء، أصبحت مشاهدة العروض الأخرى لشكسبير بالنسبة إليّ وكأنها واجب إجباري. نحن الذين كنّا معه، كنا نعرف، ربّما دون وعي، أنّ شيئا خارقا كان يحدث هنا. هذه التدرّيبات وهذه العروض لن تتكرّر مرة ثانية في تاريخ المسرح، لا بهذه الطريقة، ولا بهذه القوّة والحيوية. قد يأتي آخرون ويقومون بأعمال هائلة أيضا، لكنّ المسرح الذي كان يأتي به رضا على المنصة العالمية، كان له وحده، ليس إلا؛ وبمجرّد رحيله (وكلّنا كنّا نعرف أنه سيرحل)، لا أحد سوف يستطيع أن يحلّ مكانه. توفي رضا في الثانية والثلاثين من عمره، وبعد ذلك بدأت الأسئلة التي كانت في الحقيقة قد بدأت قبل ذلك بمدة طويلة. هل درس رضا حقًا الرقص الكاثكالي في الهند؟ لا. هل شارك رضا كممثّلٍ حين كان طفلا عمره تسع سنوات في إحدى مسرحيات روبرت ويلسون الملحمية في مهرجان شيراز للفنون في إيران؟ أمرٌ مستبعَد. ولكن على صدر قائمة الأسئلة المطروحة من قبل الباحثين، والمطّلعين والمعنيين بالمسرح، كانت هناك فكرة تقول إنه لدينا أمّ إيطالية. أمّنا كانت في الحقيقة فارسية مئة في المئة، دون أن يكون لديها مثقال ذرة من العِرق الإيطالي. السبب النفساني الكامن وراء دافع رضا في بداية حياته المهنية ليلفّق كلّ ذلك، ولماذا كان الناس يركّزون على احتمال كون أمّنا إيطالية، أمرٌ مثير للاهتمام. أكذوبة رضا كانت قد نشأت من نقطة خوف. الخوف من عدم النجاح في بيئة كانت المشاعرُ العدائية تجاه الإيرانيين عالية جدًا فيها.

كان ذلك في منتصف الثمانينات تقريبا. الثورة الإيرانية كانت لا تزال طريّة، كما كانت إيرانُ في حرب مع العراق، وذكرى أزمة الرهائن الأميركيّين الأخيرة كانت مزروعة في الذاكرة الأميركية بعمق. أعرف أن رضا ندم أشدّ الندم على قول إن أمّه إيطالية، ولكن، في ذلك الوقت – وعندما كان في العشرينات من عمره فقط، ولم يزل يشقّ طريقه جاهدا – أنْ يخبر الناس بأن لديه أمّا إيطالية كان يمنحه بعض الحرية في التصرّف، ويجعله أكثر غرابة بدلا من أن يكون خائفا. ولكن لِمَ هذا الافتتان من قِبَل الآخرين بتراثنا الإيطالي؟

لسنوات عديدة كنتُ أجدني مستشيطا من الغضب كلّما سألني أحدهم إن كانت أمُّنا إيطالية. اللعنة! لا. كنتُ أريد أن أصرخَ كلّ مرّة، رغم أني لم أفهم تحديدا ما هو مصدرُ غيظي. استغرق الأمرُ كثيرا من الوقت والتأمل في الآثار الخبيثة الناشئة من لاوعي الشوفينية الثقافية حتى أدركتُ أخيرا: وجود أمّ إيطالية برّر عبقرية رضا لكثير من الناس.

كان من المستحيل قبولُ هذه الحقيقة أن إيرانيا، لم يتجاوز عمره الثلاثين حتى، قد أعاد صياغة قواعد المسرح العالمي، ويرتقي الآن بالفنّ. لا بدّ من أن يكون فيه نصف إيطاليّ كي يحقق ذلك؛ وأن يكون ذلك الدّمُ الأوروبيّ المميّز يجري لا محالة في عروقه، دمُ دانتي وفيردي وبيراندیلو وفليني. نوع من الاستعلاء واجهتُه مرارا وتكرارا في حياتي؛ لا تمرّ سنة دون أن يُعربَ أحدٌ ما عن دهشته أمام شغلي منصبا في قسم الأدب الإنجليزي بجامعة كبيرة في أميركا، فما بالك إن كانت في نيويورك. لا يبدو للأجانب أنه كما أن شخصا أميركيا أو بريطانيا أو فرنسيا يمكنه أن يكون أستاذا للفارسية أو العربية، فالعكسُ أيضا يمكن أن يحدث. أتذكّر حوارا للرّاحل إدوارد سعيد في هذا المجال، يتحدّث فيه عن تفاجؤ شخص ما وتساؤله بأنه كيف له، هو العربي، أن يستطيع العزف على البيانو، بل ويتقن ذلك.

الأكاذيب البيضاء لرضا، ومبالغاته من حين إلى آخر، كانت تطاردني لفترة طويلة، ولاسيّما تلك التي كان يؤكّد فيها أنه تعرّض إلى إساءة بدنية من قبل والدِنا. كان والدُنا رجلا شرقيَ أوسطيا صارما، ميّالا إلى المعاملة العفوية بعنف تجاه أيّ شخص، منحدرا من أسلاف من منطقة "لرستان" الإيرانية، حيث يُعرّف الأفراد فيها وفق حبّهم للقتال وشهامتهم. بالنسبة إلى رضا الذي كان يعاني للغاية من أجل فصل هويته المثلية الواضحة عن خلفيته الفحولية، فكرة الإساءة البدنية المستساغة للآذان الغربية، كانت قطعة أخرى لأسطورة أكبر، ليست بعيدة عن تعلّم الـ"كاثَكالي" في الهند أو التمثيل في طفولته لروبرت ويلسون في طهران. هذه الأمور تركت مفعولها؛ فقد أضفت غموضا على شخصيته اكتملَ به مسرحُه.

قصة عار

على أيّ حال، بمرور الوقت وضعتُ تلك الأكاذيب البيضاء جانبا وحاولتُ أن أنساها. موتُ رضا كان قد قضى عليّ. كنّا نشتغل على المسرحية القادمة التي كان من المقرّر أن يكون عنوانها "قصة عار". ذات مرّة، مررتُ بمكتبتِنا في الشقة التي كنّا نتشاركها في ساحة تايمز، فوجدتُ نسخة لكتاب خورخه لويس بورخيس، "تاريخ العار العالمي"؛ كتاب أهيف، تبيّن لي فورا أنه من المحتمل أن رضا كان قد استلهم العنوان منه. كان عنوانا جيدا، رغم أن بورخيس نفسه كان يعتقد دوما أن قصصَ هذا العمل المبكر هي محاولة لليافعين.

كنّا أنا ورضا، قد وجدنا آنذاك إيقاعنا. كان هو يمنحني الصورة أو الثيمة، ويسمح لي بأن أسير معها. مهمتي كانت أن أجد ما يمكن كتابته، بشكل حرّ تماما، وبعيدا عن رغبتي الطبيعيةً في كتابة روايات أو مقالات منظّمة بإحكام. العمل مع رضا كان يحرّرني؛ كان شعرا؛ وشيء ما لم أستطع فعله أبدا. الفكرة الرئيسية لـ"قصة عار"، كان ينبغي أن تُجسّد من خلال شخصين ينتظران موعد إعدامهما؛ أحدهما حقيقي والآخر مجازي؛ واحد منهما، مثل رضا، كان يموت من مرض عضال، والآخر كان في السجن ينتظر تنفيذ الحكم عليه بالإعدام. أتذكر أنه خلال تلك الفترة كانت شقّتنا مكتظة بكتب تتناول موضوعين: عقوبة الإعدام ومحنةُ السود في أميركا. على الرغم من مسرحية رضا "ضيّق، أيمن، أبيض"، واعتداته الشرس فيها على آفة أميركا العنصرية، إلا أنه لم ينته من الأمر، وكان عازما على أن يعود إليه من الباب الخلفي وبـ"قصة عار". الإحصائيات تقول إن السكان السود في الولايات المتحدة يشكّلون حوالي 12 في المئة، في حين أن السجناء المحكوم عليهم بالإعدام من السود يشكلون نسبة مذهلة بلغت 42 في المئة.

"قصة عار" كانت نوعا من "الغضب من موت النور" الذي كنّا تطرّقنا إليه إلى حدّ ما في مادّتنا الأخيرة، "اقتباسات من مدينة مدمّرة"، وهي مسرحية تناولت المرض والموت والإبادة الجماعية التي كانت تحدث آنذاك في يوغوسلافيا السابقة.

كنتُ أبحث عن كتب لرضا قصد الاطّلاع عليها، من أجل المسرحية الجديدة، فبدا لي واحد منها ملائما آنذاك. عثرتُ عليه في محل ستراند لبيع الكتب "ثمل من مرضي" لأناتولي بروبارد؛ مجلد عاطفي صغير كتبه ناقدُ نيويورك تايمز، قبل أن يستسلم أخيرا لمرض السرطان. صحةُ رضا كانت تتدهور يوما بعد يوم، ومع ذلك كان يستوحي من جُمَل بروبارد، ويبدو أنها كانت ترفع من معنوياته.

في هذه الأثناء كانت أحاديثنا جارية، وكتابتي له مستمرّة. لا أتذكّر السياق، ولكن، ذات يوم منحتُه سطرا معيّنا لمسرحيتنا: ماذا لو كان الترجّل كلمة وحيدة. شدّته فورا فكرة الترجّل، والتي تدلّ على كلّ من الوصول ونهاية الرحلة. فالترجّل كلمة تحيل إلى تأويلين؛ حيث إنها النهاية والبداية في نفس الوقت؛ مغادرة المركب كما لو أن سفينة ترسو في ميناء ما. لكن توكيد الجملة كان على الوحدة الجوهرية للحالة، ماذا لو كان المكانُ الذي يصل إليه الشخص، أي الموت، مرحلة أخيرة لا عودة فيها؟

لأيام طويلة ظلّ رضا سابحا في هذه الفكرة، ويسألني كيف ولماذا خطرتْ تلك الجملة ببالي. لم أقل "لأن عقلي، يا رضا، يتسابق مع موتِك. كلاهما؛ عقلي وموتُك، لن يتركاني وشأني". من هنا تصبح الذاكرة ضبابية. لا أعرف إن كانت أياما وأسابيع قبل موتِ رضا، أو أسابيع وأشهرا. ما هو مؤكد أنه لم تعد هناك مسرحية أخرى. كنا قد انتهينا. وماذا حصل لسيناريو "قصة عار"؟ مرور الوقت يقنعني بأننا لم نكملها أبدا. في الحقيقة، جعلتُ نفسي معتقدا أننا لم نبدأها أصلا. ربما سطر هنا، وسطر هناك؛ بعض الفقرات العشوائية، وليس أكثر؛ فكرة أستطيع أن أتعايش معها، لأنها تخفّف من عذاب أننا كنّا على أعتاب إنجاز مسرحيةً أخرى، ثمّ لم نعد قادرين على ذلك.

بعد ذلك، في 2012، سبعة عشر عاما بعد رحيل رضا، رأيتُ مصادفة إعادة نشر مقابلة أجراها معي الكاتب دانييل موفسون عام 1998. جانب من محادثتنا كان كما يلي:

د.م: تعاونك معه كان أكثر كثافة في "اقتباسات من مدينة مدمّرة"، أليس كذلك؟

س.ع: كان تعاونُنا يبدأ، على ما يبدو، من تلك النقطة، على أن أكتب كلّ مسرحياته. وكتبتُ المسرحية الأخيرة؛ في الحقيقة أنهيتها. لكنّه مرض بعد ذلك.

د.م: "قصة عار؟"

س.ع: نعم.

لِنعُدْ إلى مسرحيتنا غير المكتملة؛ ما حملتَه معي لأطول وقت ممكن، كان ذلك السطر اليتيم – ماذا لو كان الترجّلُ كلمة وحيدة – وفقط لأن رضا كان مأخوذا جدًا بدلالتها حتى ظلّ يردّدها بصوت عال.

في إحدى الفعاليات التأبينية التي أقيمت لرضا في عدة مدن مختلفة حول العالم بعد مرور وقت قصير على موته – وهذه بالتحديد كانت في لوس أنجلس – تقدّم أحدٌ ما نحو أمّنا، وأخذ فجأة بالحديث بالإيطالية. واضح أنه كان يريد أن يحدّثَ والدة رضا بلغتها الأمّ المفترضة. تراجعت لبرهة، ولكنها لم تترك المعركة، فأمّنا التي تتحدّث الفرنسية والإنكليزية بطلاقة (ولكن ليس الإيطالية)، وكانت قد حصلت أخيرا على التأشيرة لكي تأتي إلى الولايات المتحدة، وتكون مع رضا في أيامه الأخيرة، ألقت نظرة مسرحية بالفعل ومبرّحة من العذاب، مثل ممثلة حاذقة، وقالت "أرجوك! هذه اللغة تجلب لي الذكريات السيئة، وحسب. لا أريد أن أتحدّث بها". صدّقها الشخصُ أو ربّما تظاهر بذلك، ولم يعودا إلى الحديث بالإيطالية، لغتها الأمّ، من جديد.

ذكرتُ هذا فقط لأنه قد يكون النهاية المناسبة؛ حيث يمكنني أن أترك الأكاذيب والذكريات الملتبسة خلفي. لكن الحياة ليست شفافة دائما. وهكذا إلى أنه في ربيع 2018، وكان متحف نيويورك للفنّ الحديث ومجلة بيدون (Bidoun) في مراحلهما الأخيرة للاستعداد من أجل موسم عرض طويل لإعادة معالجة سيرة رضا، عَادت إليّ الرغبة في معرفة الحقيقة، وكنت على تواصل مستمرّ مع القائمين على المعرض من أجل ترتيب التسلسل الزمني لحياة رضا وبعض تذكاراته.

توجد أرشيفات رضا عبده في المكتبة العامة للفنون الاستعراضية في مركز لينكولن، وهو متجر هائل ومفعم بالثروات للباحثين، ولكنني لم أزره على الإطلاق خلال السنوات العديدة التي كنت أمرّ من أمامه عدة مرّات في الأسبوع. لماذا لم أذهب أبدا إلى هناك لمعرفة المزيد عن "قصة عار"؟ هذا كان السؤال الأول الذي طرحتُه على نفسي.

والجواب "لأنك طالما كنتَ تخشى ما قد تجده. لأنك لم تكن مستعدًا لذلك".

في منتصف شهر مايو، ذات يوم مشرق ودافئ، عندما كان خريجو الجامعات الجدد حاضرين بقبّعاتهم وعباءاتهم في مركز لينكولن من أجل التقاط صور لبعضهم بعضا، قمتُ أخيرا بتلك الرحلة. تُقابل المكتبة تمثالا معدنيا كبيرا لألكسندر كالدر في القسم الخلفيّ من المجمّع الواسع الذي يضمّ أيضا أوركسترا نيويورك الفيلهارمونية، وأوبرا متروبوليتان، ومدرسة جوليارد، ومسرح الباليه الأميركي؛ بعض العقارات الأكثر قيمة على هذا الكوكب.

بينما كنت أنتظر أن يُحضرَ لي أمين المكتبة "العلبة رقم 6" من أرشيف رضا عبده (العلبة التي تحتوي تحديدا على مشاريعَ عمَلْنا معا عليها نحن الاثنان)، قمت بجولة قصيرة للمكان، ورأيت في الواجهة الزجاجية أشياء ثمينة لأيّ جامع مقتنيات – أحذية أرتورو توسكانينيَ وأقلام كالارا شومان، منديل فرانز ليست، إلخ. كان المكان مَعلما للتنظيم وسهولة العثور على الأشياء، على عكس كلّ ما أعرفه من المكان الذي أنحدرُ منه. وأنا الذي لم أحتمل البقاء في المكتبات أو المتاحف أكثر من خمس دقائق، قبل بداية الشعور بالملل والنعاس، كنتُ آنذاك مفتونا ويقظا تماما. كان ذلك تكريما موجّها من العالم الغربي إلى نفسه؛ قدرته على حراسة الأشياء، وعدم السماح بتركها تختفي بسهولة، من أجل الحفاظ على الشعور بالاستمرارية، وبالتالي، بالاحترام.

عندما وصلت العلبةُ، أوّل ما لفَتَ انتباهي كان سيناريو من 151 صفحة، كنتُ كتبتُه لرضا، بناء على "الشاهنامه" (كتاب الملوك)، الملحمة الوطنية العظمى لبلاد فارس. كنتُ أظنّ أن هذا السيناريو قد فُقد للأبد، ورؤيتُه مرّة أخرى بعد وقت طويل كانت أشبه برؤية شبح أمامي.

لَم تتركني غرابة الجلوس أمام أمين المكتبة والنظر إلى المواد التي كنت صفحتُها على الورق قبل وقت طويل في ما مضى، مواد تمّت أرشفتها في تلك البناية كلّ ذلك الوقت؛ كان الأمر كما لو أنني كنتُ لصّا عائدا إلى بيت لم يعد بيتي، وأنظر إلى أسرار شخص آخر. كانت الكلمات مألوفة حتى بعد محوِها، قريبة ولكنها بعيدة أيضا، ونائية.

بدت "قصة عار" في نهاية المطاف ملفّا في أقلّ ما يمكن من الطول؛ ففضلا عن الأوراق المكتوبة بخطّ يد رضا، لم تكن هناك على الإطلاق سوى ستّ صفحات مطبوعة! لم يكن هذا عملا مكتملا. ولم يكد يكون حتى. إلا إذا كنتُ، وكما ظننت، قد رميتُ في وقت ما، أجزاء كبيرة من حصّتي في النص. على كل حال، ما لفتت نظري، كانت أجزاء من حياتي المبكرة هناك. في الصفحة عدد 1، الفصل الأول، وجدتُ هذا: الثقب في المرآة يصبح أكبر وأكبر.

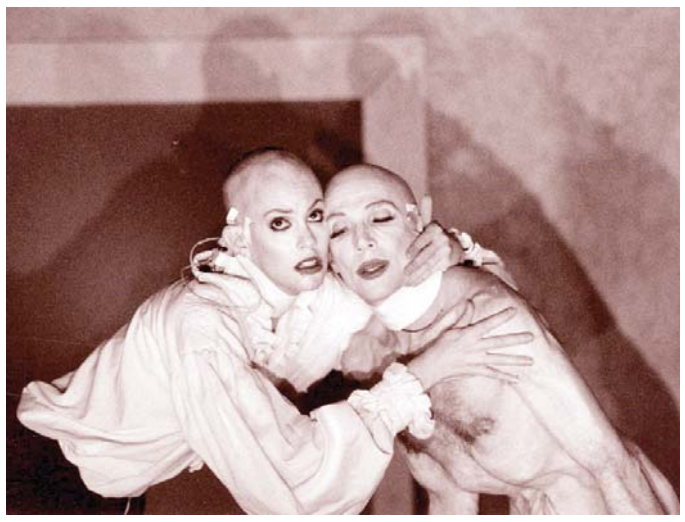

رضا عبده غيّر وجه المسرح

كل فكرة تتحول إلى شخصية

> مسرح رضا عبده بميزانيته الضئيلة كان مسرحا غاضبا وفي غاية الإثارة يعاقب ويستنفد طاقة المشاهد

الترجمة للشاعرة: مريم حيدري
ينشر المقال كاملا على الموقع

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

فيلم سيرجيو.. صور متناثرة تخرج من تحت الأنقاض

سيرة ممثل الأمم المتحدة الذي أراد صنع مستقبل جديد للعراق

حب في ساحات الحروب والنزاعات

صور تجمع أزمنة وأماكن شتى مثل كلمات وحروف متقاطعة، وعليك جمعها من أجل أن يتكامل المشهد في سيرة ذاتية تنتقل أمامنا من الأرشيف والتاريخ إلى حياة يومية صاخبة ومليئة بالصراعات. تلك هي سينما السيرة الذاتية التي تحتل موقعا يجاور الأنواع السينمائية الأخرى، وهو ما يؤكده فيلم سيرجيو للمخرج كريك باركر.

طاهر علوان
كاتب عراقي

يمكننا اعتبار سيرة سيرجيو دي ميلو منجزا سينمائيا جديدا لسيرة ذاتية درامية بامتياز، سيرة فيها من الأسرار والأوجاع وقصص النجاح والمغامرة والحب والعاطفة الشيء الكثير.

سيرجيو دي ميلو رجل السياسة البارع الذي لا يكاد يترك ساحة من ساحات الصراع من حول العالم إلا وكان له حضور في نقاطها الساخنة، ولا يكاد يغيب صوت الرصاص وأصوات الضحايا وصراخ الساسة وصراعاتهم عن ذاكرته قط.

من بنغلاديش فالسودان إلى موزمبيق ثم إلى لبنان فالبيرو ثم إلى كمبوديا فالبوسنة مرورا بكوسوفو وتيمور الشرقية وإندونيسيا وانتهاء بالعراق، حيث لقي حتفه وانطفأ صوته الشجاع إلى الأبد، تلك هي محطات سيرجيو ويوميات حياته في الأمم المتحدة.

> **المخرج اعتمد أسلوبا في السرد الفيلمي قائما في أغلبه على الاستذكارات، وهو حل شائع ولكنه أضرّ بالفيلم**

لا شك أنها حياة ثرية وغزيرة لكن السؤال هو كيف ستظهر فصولها في فيلم سيرجيو، وكيف وماذا سوف ينتقي المخرج منها في إطار سيرة ذاتية فريدة من نوعها؟ سؤال برسم المخرج كريك باركر، مخرج هذا الفيلم من خلال طريقة قراءته لتلك الرحلة الشائقة وطريقة تقديمها إلى الشاشة.

34 عاما في ثلاث دقائق

خلف شاشة معتمة نستمع إلى سيرجيو في مقابلة معه، حيث يُطلب منه أن يختصر مسيرته فيردّ ضاحكا، كيف لي أن أختصر مسيرة 34 عاما في بضع دقائق؟

واقعيًا هي بالفعل سيرة ثرّة وغزيرة وكما عرضنا لمحطّاتها الأساسية لكن كاتب السيناريو والمخرج يبدو أنهما اكتفيا بساحتين من ساحات عمل سيرجيو وهما العراق، حيث الموت المروّع تحت كابوس الغزو الأميركي، لهذا البلد ومن قبلها كانت محطته المهمة في تيمور الشرقية.

يظهر سيرجيو (يؤدي الدور الممثل واكتر مورا) في مكتبه بصفته المفوّض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتّحدة ويتحدث عن المعاناة الإنسانية ومدّ يد العون ثم لتتجسم تلك المعاناة بعد هذا المشهد مباشرة إلى واقعة تفجير مقر بعثة الأمم المتحدة في العراقي في 19 أغسطس 2003 حيث سيكون سيرجيو هو من يعاني ويحتاج إلى العون.

تحت الركام والدخان وكتل الحجارة سوف يكون سيرجيو هناك هو وفريقه الأممي يلفظون أنفاسهم بعد تفجير مقرّهم غير المحصّن جيدا في فندق القناة بشرقي بغداد ولما تزل دبّابات أميركا ومركبات جنودها وقاصفاتها تصول وتجول في ذلك البلد ناشرة القتل والرعب وها قد طال سيرجيو من ذلك موت مؤكد.

إنه هناك تحت الأنقاض، يحتضر، الضابط الأميركي، يبلغ رؤساءه عن الضحايا الذين ما زالوا أحياء تحت الأنقاض وأبرزهم ممثل الأمين العام سيرجيو، وأنه بالإمكان إنقاذه، لكن لن ينقذه أحد وسوف يُترَك لمصيره حتى يلفظ انفاسه.

يستخدم المخرج معالجة سينمائية إشكالية فهو أولا سوف ينتقي ساحتين من ساحات عمل سيرجيو من بين العديد من الساحات كما ذكرنا ويسترجع تفاصيل عمله في الساحتين فيما هو ينزف تحت الأنقاض، بمعنى أنه قد أمعن في استخدام الاستذكارات وتراوح الضخ الصوري ما بين مشاهد التفجير والدماء وبين يوميات سيرجيو وهو يؤدي مهام عمله.

على خلفية إعلان الرئيس الأميركي جورج بوش عن غزو العراق وإسقاط نظام صدام حسين وإعلان بدء العمليات العسكرية في هذا البلد يكون سيرجيو قد تسلّم مهام عمله ممثلا للأمين العام في بغداد بعد مقابلة مع بوش نفسه، وكأنّ بوش هو الأمين العام وهو من عيّن سيرجيو في المنصب.

أرشيف متنوع وكثيف ولقطات وثائقية سوف تنتهي بنا إلى لحظة وصول سيرجيو إلى العراق هو وفريقه ونزول طائرته في مطار بغداد، لكن ليس ذلك مطار بغداد، وهذا أول أخطاء الجغرافيا المكانية التي وقع فيها المخرج بالتصوير في الأردن على أساس أننا في العراق وفي بغداد تحديدا.

لا شك أن الاستهانة بعنصر المكان، الفضاء المحسوس الذي تتفاعل معه الشخصية، هو خطأ إخراجي واضح، فطبيعة العمران على التلال والجبال الواطئة في الأردن هي غيرها في البيئة المنبسطة السهلية – الصحراوية في العراق، وذلك ما لا يمكن التغاضي عنه أو التمويه عليه.

وفي صدد المكان الشبيه بالمكان العراقي فقد سبق وأن تم التصوير في مكان يشبه المكان البغدادي لفيلم آخر من الأفلام التي تتحدث عن الاحتلال الأميركي للعراق وهو فيلم منطقة خضراء، حيث اكتشفنا أن أحياء في مدينة الصويرة المغربية تشبه مثيلاتها في بعض أحياء بغداد وهو ما نجح فيه الفيلم على خلاف هذا الفيلم الذي نتحدث عنه.

بين سيرجيو وبريمر

يقدّم المخرج شخصية مهمة في تاريخ العراق ما بعد الاحتلال وهو الحاكم الأميركي للعراق بعد الاحتلال بول بريمر (الممثل برادلي ويتفورد) ومنذ البداية يظهر أن الرجلين على طرفي نقيض في مقاربتيهما للأزمة العراقية.

بريمر هو الحاكم بأمره في العراق، يظهر محاطا بجيوش أميركا المدجّجة بالسلاح فيعيّن ويعزل ما يشاء من العراقيين ويتصرف في ثروات العراقيين ويأمر بالقصف والقتل، ويتوّج مهمته بإعادة افتتاح أبشع سجن في ذاكرة العراقيين وهو سجن أبوغريب.

في مشاهد مؤثرة تجمع بريمر مع سيرجيو يعلنها الأخير صراحة في وجه بريمر أنها ليست بادرة حسنة من طرف أميركا أن تقدّم للعراقيين سجنا ارتبط في أذهانهم بكل أشكال الفظاعات والموت.

من هنا سوف يخرج سيرجيو وهو على خلاف مع بريمر ثم يتوّج ذلك بانزعاج بريمر من نجاح سيرجيو في مقابلة السيد علي السيستاني المرجع الشيعي الأعلى في العراق، وخروجه بتوصيات منه من أجل إجراء الانتخابات في العراق بينما لم يحظ بريمر بمثل ذلك الامتياز رغم محاولاته العديدة.

في مشهد آخر للسجال والصراع الواضح بين الشخصيتين يرفض بريمر قطعيًا مشروع سيرجيو لإعادة الحياة المدنية إلى العراقيين من خلال انتخابات حرّة ونزيهة، بينما يقول "إن مهمة الأمم المتحدة هي مساعدة الشعب العراقي لكي يتخلص من القوات المتعددة الجنسيات وأن يأخذ القرار بيده".

> **معالجة سينمائية إشكالية تسترجع تفاصيل عمل سيرجيو دي ميلو في تيمور الشرقية والعراق فيما هو ينزف تحت الأنقاض**

الطريق الذي يسلكه سيرجيو ذهابا وإيابا لا تشاهد فيه إلا مشاهد اضطهاد العراقيين وإهانتهم من طرف القوات الأميركية ولهذا يقول سيرجيو بوضوح "إن الأمم المتحدة غير مرتبطة بما يجري في الشارع ونحن لسنا غطاء لممارسات أيّ جهة كانت، ولم نأت لنؤيد الولايات المتحدة".

تصريحات قاسية جعلت بريمر في وضع تنمّر شديد وانزعاج واضح ولنتأمل هذا الحوار بين الرجلين ثم لنتخيل كيف ستكون نهاية العلاقة بينهما والتي انتهت بمقتل سيرجيو.

خلاصة ذلك الحوار أن بريمر يرفض إجراء أيّ انتخابات في العراق على خلاف مشروع الأمم المتحدة بكتابة دستور وانتخابات وتسليم السلطة للعراقيين، ثم ما يثير حفيظة بريمر هو استعداد سيرجيو لتقديم تقرير مفصل إلى مجلس الأمن عن جرائم أميركا وانتهاكاتها في العراق وذلك أثناء نفس يوم اغتياله في التفجير.

في وسط الهلع وعشرات الوجوه الدامية سوف تكون هنالك فتاة شابة جميلة تلهج باسم سيرجيو في سلسلة مشاهد مؤثرة وهي كارولينا (الممثلة آنا دي أرماس) وهي مساعدة سيرجيو للشؤون الاقتصادية وحبّه العظيم.

سوف نعود في مشاهد استرجاع إلى بدايات تعارف الاثنين في تيمور الشرقية والحب الجارف الذي نشأ بينهما هناك ثم إصرارها على الانتقال مع سيرجيو إلى العراق.

لا شك أن منح مساحة واسعة لعلاقة الحب تلك قد استنفدت الكثير ممّا يمكن تقديمه عن سيرة سيرجيو، وواقعيًا لم تكن تلك اللقاءات الغرامية ذات أهمية كبيرة في البناء الفيلمي وصولا إلى المشاهد الحميمية، وكأنها فجوة في شخصية سيرجيو الذي ينشد اللذة فيما هو يقوم بمهامه لإنهاء الصراع بين تيمور الشرقية وأندونيسيا.

لكن في المقابل كان إيمان كارولينا بشخص سيرجيو وأدائه ونجاحاته وتقديم بعض الاستشارات له والعمل إلى جانبه وصولا إلى العمل معه في بيئة خطيرة بالعراق، كل ذلك كان محطّة من محطّات سرجيو لولا التوسّع فيها وتقليص مساحة ما هو أهم.

ثم نأتي إلى مشاهد احتضار سيرجيو وهو تحت الأنقاض وهو الحل الإخراجي الذي تم استنفاده لتكراره في موازاة حلول أخرى.

في هذه المشاهد ليس هنالك الكثير من الجدوى ما عدا تلميحا إلى علم السلطات الأميركية بأن الرجل حيّ تحت الأنقاض، لكنها لم تفعل ما في وسعها لإنقاذه والأدهى والأمر أن بريمر يحضر إلى موقع الانفجار دون أن يفعل شيئا، وكأنه يريد أن يتأكد من التخلص من خصم. اعتمد المخرج أسلوبا في السرد الفيلمي قائما في أغلبه على الاستذكارات، وهو حل شائع ومتداول وكان بالإمكان إظهار سيرة سيرجيو والانتهاء منها بمشاهد التفجير، لكن خطوط السرد تقاطعت بين مشاهد التفجير وحياة سيرجيو الشخصية وعلاقته الغرامية.

هذان الخطّان السرديان أضعفا الحبكة الدرامية الأساسية بأن سيرجيو صاحب قضية ومبدأ وليس مجرّد شخص يحمل نثارا مبعثرا من الذكريات ومن الواضح أن البحث في سيرة الشخصية بشكل معمّق لم يتحقق بما فيه الكفاية لغرض إنتاج خطوط سردية إضافية وحبكات ثانوية. والحاصل أن سيرجيو دخل في مسيرة حياته معترك للعديد من الصراعات والمواقف الحادة، ولاسيما في بؤر التوتر التي عمل فيها وفي بيئات متفجّرة، ولربما كان التركيز على مهمته في العراق مثلا هو الأجدى، لولا أن المخرج انتقل بنا إلى تيمور الشرقية ليؤسس لخط عاطفي وخط سردي يرتبطان بمجريات الحياة الشخصية.

سيرجيو دي ميلو

- ولد في 15 مارس 1948 في البرازيل.
- درس في جامعة السوربون وحاصل على شهادتي دكتوراه في الفلسفة والعلوم الإنسانية.
- بدأ العمل في الأمم المتحدة منذ العام 1969 في العديد من الساحات، وتدرّج في العديد من المناصب حتى أصبح مساعدا للأمين العام للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين ثم مفوضا ساميا لحقوق الإنسان.
- توفي في العراق في 19 أغسطس 2003 في حادث تفجير إرهابي. بعد وفاته انتهى دور الأمم المتحدة في العراق واشتعلت الحرب الأهلية.

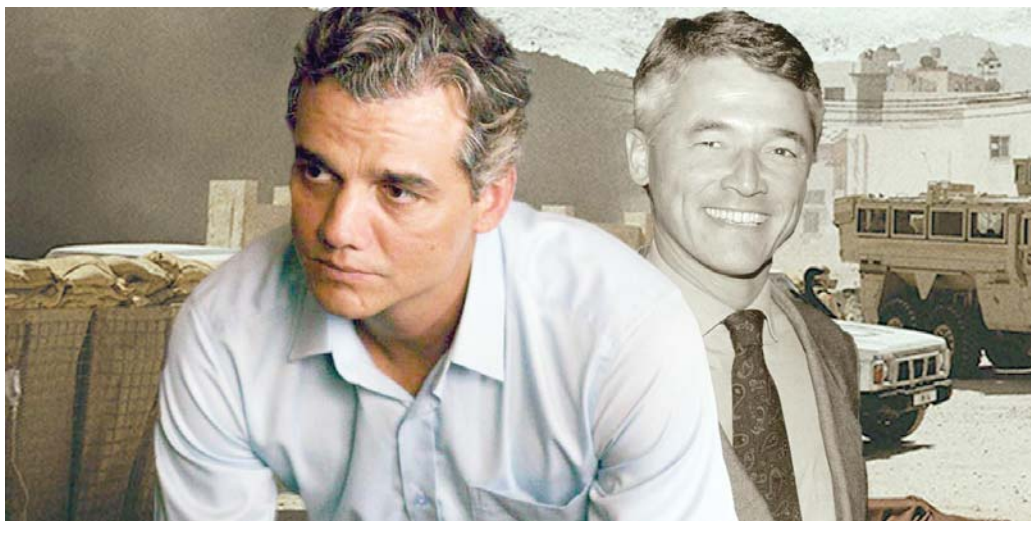

رحلة سيرجيو دي ميلو من ساحات الحروب والصراعات إلى الشاشة

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

السياحة الداخلية أفضل الحلول للدول العربية

موسم اكتشاف الخليجيين لكنوز بلدانهم السياحية

لم تفاجئ الأزمة التي خلفها وباء كورنا دول الخليج التي توجهت في السنوات الأخيرة للاستثمار في قطاع السياحة حيث سرعان ما لحقتها خسائر فادحة كبقية دول العالم وبدأت تبحث عن حلول سريعة لموسم الصيف، حيث يرى الخبراء أن الحلول تكمن في السياحة الداخلية والبينية، ليكتشف السياح الخليجيون جمال بلدانهم.

دبي - مع بداية رفع الحجر الصحي بدأت عجلة السفر تدور ببطء وبشروط، ففي البلدان الأوروبية اقتصر السفر ضمن حدود القارة التي تعتبر مصدّرة للسياح، لذلك ستبقى الدول التي تعتمد على السياحة كرافد هام للاقتصاد تعاني من أزمة خلال العطل الصيفية القادمة إذا لم تستعجل طرح الحلول البديلة.

في دول الخليج التي بدأت تتجه في السنوات الأخيرة للسياحة كقطاع هام، دخلت هي الأخرى في أزمة شح السياح والزوار في هذا الموسم الذي طال كل الدول.

ولأن دول الخليج تتمتع بنسب إنفاق عالية على السياحة الدولية، وهذا ما كان يشعل التنافس المحموم بين شركات السياحة العالمية على السائح الخليجي، يرى الخبراء أن حلول أزمة السياحة في هذا الموسم متوفرة إذا اعتمدت هذه الدول على السياحة الداخلية والبينية.

قالت مديرة معرض سوق السفر العربي في الشرق الأوسط دانييل كورتيس، "أثّرت أزمة كورونا العالمية بشدة على السفر والسياحة والفعاليات والأنشطة الترفيهية في جميع أنحاء العالم، ولكن على الرغم من ذلك، بدأنا نرى الآن رغبة غير معلنة بالسفر لدى الكثيرين من الأشخاص، وتلهفهم لتعويض ما فاتهم خلال الأزمة".

وأضافت "لا تزال الرغبة بالسفر وقضاء العطلات تتملك الأشخاص ولكن مع وجود تغييرات جوهرية، حيث باتت السلامة على رأس أولوياتهم. ونتيجة لذلك، من المتوقع أن نشهد زيادة في التوجه خلال الأشهر المقبلة نحو ما بات يعرف اليوم بإقامة العطلات، مع حرص القاطنين في البلد على أخذ إجازتهم لعدة أيام في مكان مألوف بالنسبة لهم، لاسيما في ظل استمرار توقف الرحلات الجوية والقيود المفروضة على السفر الدولي".

وأشار أحدث تقرير صادر عن معرض سوق السفر العربي، قبل إقامته افتراضيا من الأول حتى الثالث من يونيو 2020، إلى أنه من المتوقع أن تقود السياحة المحلية والسفر الداخلي مرحلة التعافي من أزمة كورونا في دول مجلس التعاون الخليجي، بالتزامن مع بدء رفع القيود تدريجيا في المنطقة.

وتمتلك دول الخليج مميزات ومقومات سياحية تجعلها من أهم الوجهات على الخارطة السياحية العالمية، فهي تتميز بطقس جيد ومشمس طوال السنة وشواطئ جميلة، بالإضافة إلى توفّر الجانب الترفيهي من خلال تنظيم مهرجانات شعبية وبطولات دولية للخيول وسباق السيارات، والقيام بالرحلات البحرية وزيارة المتاحف والمعارض وغيرها.

ويتوقع البحث الذي أجرته كوليرز إنترناشيونال بالشراكة مع سوق السفر العربي أن يستعيد سفر العائلات والسفر الفردي عافيته أولا، كما من المنتظر أن يشهد إجراء حجوزات جديدة قبل الأقسام الأخرى ضمن قطاع السفر. واستعدادا لانتعاش قطاع السفر والسياحة على كافة المستويات المحلية والإقليمية والدولية، من الضرورة بمكان أن تتمكن شركات الضيافة من توفير راحة البال للضيوف في المستقبل القريب، وذلك عبر تطبيق سلسلة من إجراءات التعقيم والنظافة المكثفة وفق قواعد وشروط صارمة في مختلف أقسام منشآتهم الفندقية.

ولتشجيع السياح الخليجيين على إقامة عطلاتهم في بلدانهم التي يقيمون فيها، قالت كورتيس "مع بدء عودة السفر والسياحة تدريجيا، من الضروري أن تقدم الفنادق عروضا جذابة إضافية مع بعض الحوافز الأخرى مثل الخصومات على الأطعمة والمشروبات للضيوف المقيمين لديها، مع ترقيات مجانية وتقديم تسهيلات ومرونة في إجراء الحجوزات تتيح ميزة الإلغاء المجاني وفقا للظروف والمتغيرات. بالإضافة إلى ذلك، يتوجب عليهم إعادة النظر في بطاقات الولاء، مع زيادة النقاط والعروض الممنوحة للضيوف، في محاولة لتحفيز الطلب ضمن قاعدة العملاء لديهم".

في الكويت وليست في أوروبا

متعة الصيف

السكينة في الصحراء

ويتوقع الخبراء أن تنتعش السياحة الداخلية في دول الخليج وذلك بسبب رغبة العائلات بالترفيه.

وستكون أبوظبي ودبي، حسب موقع "هوتل أندريست دوت كوم"، أفضل وجهات السياحة العائلية في منطقة الخليج والشرق الأوسط، خاصة أن السياحة بهما عائلية بامتياز، نظرا لتوافر العديد من الوجهات ومراكز الجذب السياحي.

وتعد الخدمات الراقية التي تقدمها هذه المرافق الفاخرة لزوارها من الإمارات ومنطقة الخليج والمرافق السياحية الأخرى في مقدمة الأسباب التي تجعل من أبوظبي الوجهة السياحية المثالية للعائلات.

وفي سلطنة عُمان التي تضم أماكن سياحية خلابة، وتتمتع بالعديد من المقومات الطبيعية الجاذبة، تعمل الجهات الرسمية فيها على تحديد العمل في القطاع السياحي بعد أزمة كورونا، إذ ستركز على السياحة الداخلية والإقليمية خلال الفترة المقبلة، وفقا لوكيلة وزارة السياحة، ميثاء بنت المحروقية.

> لا تزال الرغبة بالسفر وقضاء العطلات تتملك الأشخاص مع وجود تغييرات حيث باتت السلامة على رأس أولوياتهم

وتتمتع السلطنة بمقومات سياحية عديدة ومتميزة؛ بحكم موقعها الوسيط كبوابة بين شرق العالم وغربه، وامتلاكها أجواء معتدلة مقارنة بدول الجوار.

وسبق أن فازت سلطنة عُمان بجائزة أفضل وجهة سياحية في المنطقة العربية، حسب الاستفتاء الذي أجرته مؤسسة "جو آسيا" الألمانية لعام 2019. وستعمل السلطنة على جذب السياح عبر توفير برامج تسويقية إقليميا، خاصة أن تعافي القطاع السياحي على المستوى العالمي سيحتاج إلى فترة طويلة.

وستعمل السلطنة على الترويج للمزارات السياحية فيها بشكل أكبر لدول المنطقة، خاصة الجبل الأخضر، والأشخرة ومصيرة، وأيضا محافظة مسندم لجذب الأفواج السياحية إليها من دول الخليج.

وفي السعودية التي تأثرت السياحة فيها وخاصة الدينية بشكل كبير بسبب توقف رحلات العمرة، تأمل الشركات أن تعود إلى عملها كالسابق، خاصة أن المملكة أنفقت المليارات من الدولارات على هذا القطاع خلال الفترة السابقة.

وكانت السياحة من القطاعات التي ذهبت المملكة إليها للتنويع من مصادر دخلها بهدف تقليل الاعتماد على النفط الذي شهد تراجعا كبيرا في أسعاره بسبب جائحة كورونا، والخلاف مع روسيا حول الإنتاج.

وعبر وزير السياحة السعودي أحمد الخطيب عن أمله خلال حديث له في أبريل الماضي، في أن يكون تأثير الوباء على القطاع السياحي في بلاده على المدى القصير فقط.

وتنتظر الفنادق والمطاعم والأماكن السياحية، كما يؤكد الخطيب، عودة السياح إلى بلاده التي تعد قطاعا جديدا بها.

وستعمل الكويت على دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة لقطاع السياحة، ووضع الحلول المناسبة والواجب اتخاذها لمعالجة أوجه الخلل لضمان الاستدامة المالية لقطاع السياحة والسفر؛ لكونها تعد أحد أهم روافد الاقتصاد الكويتي، حسب بيان لاتحاد مكاتب السفر.

وفي البحرين، يتوقع مدير إدارة التطوير العقاري والسياحة بمجلس التنمية الاقتصادية علي مرتضى، احتمال عودة قطاع الضيافة والسياحة إلى الانتعاش على الرغم من الضربة التي تلقاها جراء انتشار وباء كورونا.

ومن المنتظر أن يتناول معرض السياحة والسفر "الوجه المتغير للسفر الفاخر للعائلات"، وكيف أصبحت راحة البال ذات أثر بالغ لتوجهات هذا النوع من السفر، وتأثير ذلك على سفر العائلات وأماكن الإقامة التفضيلية الجديدة، وغيرها من العوامل الرئيسية التي تسهم في اتخاذ قرار السفر.

ميكونوس اليونانية جزيرة السياح الأثرياء تسكنها الأشباح

ميكونوس (اليونان) - عند الوصول إلى جزيرة ميكونوس اليونانية مع بدء الموسم السياحي، تقابلك صورة صادمة، أزقة الجزيرة التي يقصدها عادة الأثرياء الأجانب صارت مهجورة، وأُقفلت فيها المتاجر والمطاعم والفنادق والموانئ السياحية.

وتمتاز ميكونوس التي تشكل جزءا من أرخبيل الكيكلادس وتقع ضمن بحر إيجة، بتنوع الشواطئ على طول ساحلها الجنوبي، فهناك شواطئ مخصصة للعائلات، وأخرى تتسم بالهدوء والرومانسية كشاطئ هولاكيا، كاباري، أغراري وأيوس ستيفانوس.

اليونانيون قليلو العدد والصحافيون الذين صار يشترط أن يحملوا تراخيص منذ ظهور وباء كورونا، يمكنهم زيارة الجزيرة الفاخرة لرؤية المنازل المشمسة، لكن نوافذها مغلقة وأحواض السباحة فيها فارغة.

رغم بدء رفع الحجر والسماح بإعادة فتح المتاجر في اليونان، تقول لورين ماكدرموس التي تقطن في ميكونوس منذ 26 عاما "نشعر كأننا في مدينة أشباح، لا يوجد أحد في الشوارع، إنها مخيفة جدا".

وتضيف المتزوجة برجل يوناني والتي تؤجر أربع غرف في أزقة المدينة القديمة للجزيرة "كان هناك أناس عادة، وأصوات وموسيقى وحركة كبيرة".

من جهته، يقول نيكوس ديغايتيس (86 عاما) وهو جالس على درج مجاور لمتجر التذكارات الذي يملكه "لم أر قطّ المكان خاليا مثل الآن" طوال 65 عاما من النشاط.

خلاء مخيف

ويتابع العجوز متنهدا "أخشى من فتح متجري، من خدمة الزبائن (...) لا يمكنني تحمل وضع كمامة، أفضّل أن يبقى مقفلا وأنام مرتاح البال".

يرى حفيده جورج داسولاس الذي يعمل في المشروع العائلي أن "القواعد صارمة جدا، كيف يمكن احترام تدابير" التباعد الجسدي "في أزقة ضيقة كهذه؟".

من النادر أن ترى من يضع كمامة في ميكونوس، ورغم السماح باستئناف النشاط فيها منذ 11 مايو، تفضّل المتاجر الفاخرة باختلاف أنواعها إبقاء أبوابها مغلقة لقلة الزبائن.

يشرح فاسيليس ثيودوروبولوس الذي يدرس إمكان إبقاء فندقه مغلقا في يونيو، أن "كلّ شيء يعتمد على عدد الزبائن". ويتساءل "ما الذي سيحصل في حال اكتشاف إصابة بكوفيد – 19 واضطراري إلى الإغلاق مع تكرار ذلك طوال الموسم؟". لكن حتى الآن، لم تسجل سوى إصابتين على الجزيرة.

على شاطئ بارادايس الشهير، حيث يتجول الأثرياء القادمون عبر طائرات ويخوت خاصة والعرسان كلّ صيف، يسمع هديل الحمام بدل أصوات الموسيقى القادمة من نادي تروبيكانا الشاطئي.

يتأسف دامينوس داكتليديس (24 عاما)، وهو مالك ناد شاطئي وفندق فخم "العام الماضي، كنا نضع بين 600 و700 كرسي على البحر، حاليا لا نضع أي كرسي".

ويتابع هذا اليوناني الذي يشرف على المشروع العائلي "إنه شبه خال".

ويخشى المستثمر الشاب ألاّ تتم "العودة إلى تحقيق الأرباح" قبل نهاية الموسم السياحي "أو حتى العام المقبل والعام الذي يليه".

ويقول إنه "في انتظار عودة الرحلات الجوية" الدولية، في يوليو على ما يأمل.

سيطبّق جميع القواعد التي تقرّها الحكومة حتى "وإن استوجب الأمر وضع ألواح زجاجية" على الشاطئ لحماية السياح من الفايروس. لكن لا تزال ثمة شكوك حول التدابير التي ستتخذها أثينا لطمأنة السياح. حتى الساعة، تم إقرار استئناف الرحلات الجوية الداخلية فقط اعتبارا من 18 مايو، وبعض الرحلات مع فرنسا وألمانيا وسويسرا وبلجيكا نهاية الشهر نفسه.

يقدّر المتحدث باسم الحكومة ستيليوس بيتساس أنه "سيأتينا سياح، لكن فقط لا نعلم عددهم".

في بلد تمثّل السياحة فيه 12 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، وعد رئيس الحكومة كيرياكوس ميتسوتاكيس الخميس بـ"إيجاد طريقة لقدوم الناس على نحو آمن"، متحدثا عن الانطلاق في ذلك "اعتبارا من نهاية يوليو".

يقدّر المرشد السياحي أريادن فولغاري أن "السفن السياحية لن تعود، فهي الهدف المفضّل للفايروس". وقد خسر الرجل زبائنه لشهر مايو الذين يزورون عادة الموقع الأثري في جزيرة ديلوس المجاورة.

ويعتبر المرشد الذي يشرف على مطعم كابتنز العائلي في الميناء القديم أن "2020 عام ضائع"، ويضيف "إذا لم تنشط ميكونوس، ستتأثر اليونان بأكملها". أودى الوباء بحياة 160 شخصا في اليونان، وتوقعت وزارة السياحة تراجع عائدات السياحة من 18 إلى 8 مليارات يورو.

من جهتها، تعتبر لورين ماكدرموس أن "التعافي يتطلب بضعة أعوام".

ويقدّر ديميتريس ساماراس الذي يدير محل مجوهرات في ليتل فينيس أن ميكونوس "مستقبلا، هذا مؤكد".

ويتابع "هنا لا ينتهي الأمر أبدا. في حال لم يعد السياح هذا العام، سيأتي زبائن اليخوت. ميكونوس هي ابتسامة البحر".

طال الانتظار

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

جواز كورونا الإلكتروني قبل بطاقة الهوية وجواز السفر

«الأخ التكنولوجي الأكبر» ينظم قواعد الحركة على الطريقة الصينية

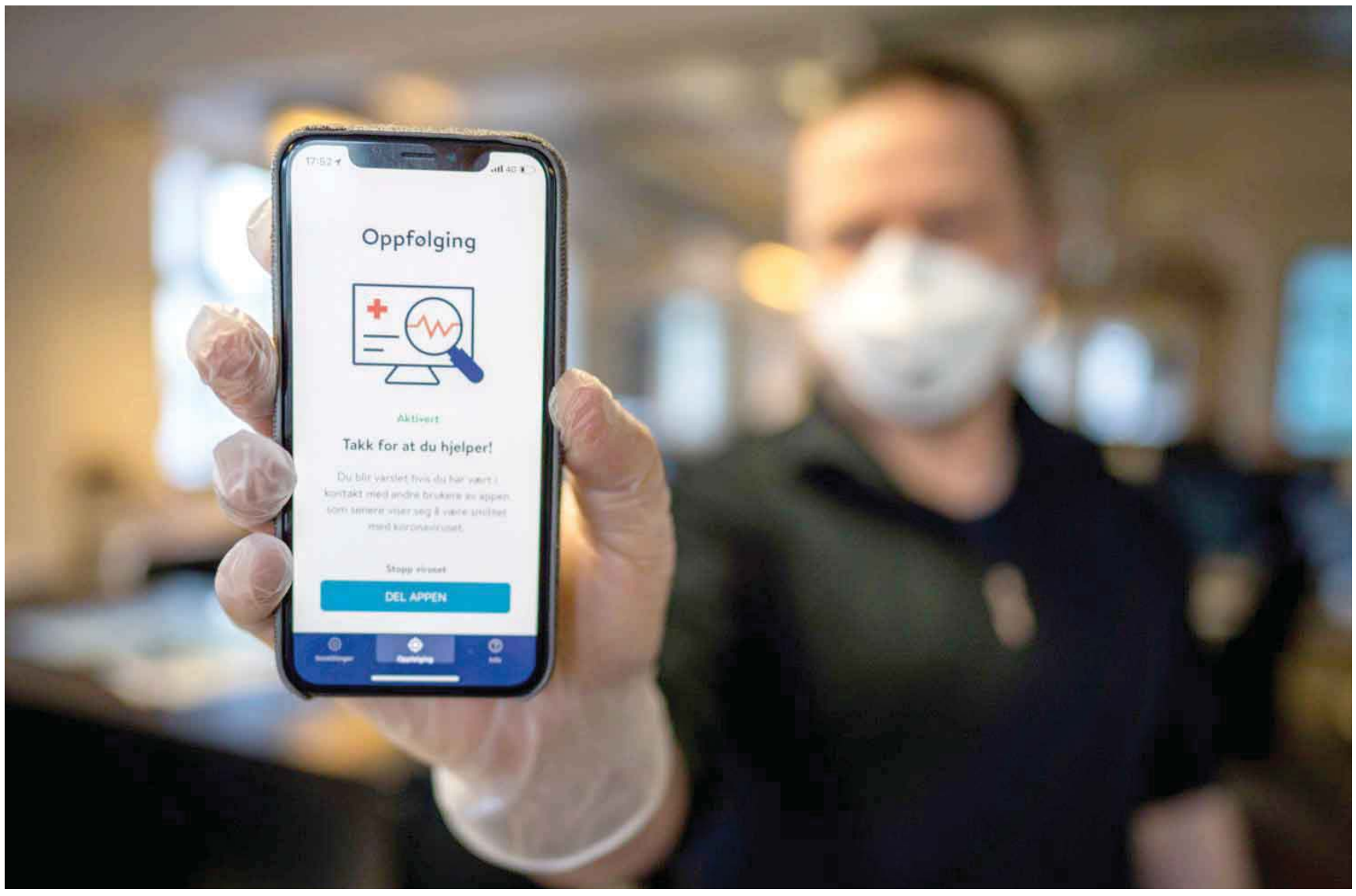

الهوية الصحية قبل جميع الهويات الأخرى

بدأت ملامح عصر ما بعد كورونا تتشكل وتثير جدلا مكتوما بسبب ضرورات مواجهة الوباء، حيث ستصبح بطاقة كورونا الإلكترونية، التي تحدد الوضع الصحي للشخص، أكثر أهمية من بطاقة الهوية وجواز السفر. ويبدو أن الدول الغربية ستضطر لتجرع سياسة "الأخ الأكبر" الصينية، التي تراقب جميع حركات الأشخاص وسكناتهم، بعد أن كانت ترفضها باعتبارها انتهاكا للحريات الفردية.

سلام سرحان
كاتب وإعلامي من العراق
مقيم في لندن

هناك إجماع واسع على أن عالم ما بعد كورونا لن يكون مثلما كان قبله. وإذا كان الجزم بطبيعة الاختلافات يصعب تحديده، فإن التحول الرئيسي سيكون حتما في رسوخ نوع من الحذر والتباعد الاجتماعي وتراجع الميل للاختلاط في التجمعات الكبيرة وملامسة الآخرين.

بل إن البعض يذهب إلى نشوء منظومة رقابة صحية إلكترونية تحدد سلامة الأشخاص وفرق العمل لضمان عودة النشاط الاقتصادي خلال أزمة فايروس كورونا الحالية وفي الأزمات المقبلة، التي لم تعد مستبعدة من قبل معظم المحللين.

قبل كارثة تفشي الوباء الحالي، كانت التكنولوجيا تتقدم بسرعة كبيرة نحو مراقبة حركاتنا وسكناتنا وخارطة تنقلاتنا وميولنا الاستهلاكية من خلال نشاطاتنا الإلكترونية وكاميرات التعرف على الوجوه في بعض بقاع العالم.

كما دخلت ميدان مراقبة الحالة الصحية لأعداد متزايدة من الأشخاص من خلال الأجهزة القابلة للارتداء مثل الساعات الذكية التي ترصد دقات القلب والتمارين الرياضية وبيانات أخرى كثيرة يمكن أن تضاف إلى السجلات الصحية ومشاركتها مع المؤسسات الطبية.

لكن كل ذلك دخل مرحلة مختلفة تماما بعد التحديات التي قذفتها أزمة فايروس كورونا المستجد.

انقلاب شامل

يبدو أن التحول التدريجي، الذي كان يمكن أن يستغرق سنوات، سوف يحدث الآن على جناح السرعة، بعد أن أصبح ضرورة ملحة لمواجهة مخاطر الوباء ومحاولة إنقاذ الاقتصاد العالمي.

اليوم بدأت ملامح عصر ما بعد فايروس كورونا تتشكل وتثير جدلا مكتوما بين المدافعين عن الحريات الفردية بسبب ضرورات مواجهة الوباء، حيث بدأنا ندخل عالما تصبح بطاقة الهوية الصحية الإلكترونية للأشخاص أكثر أهمية من بطاقة الهوية وجواز السفر.

ويبدو أن الدول الغربية سوف تتجرع وتضطر لاعتماد سياسة "الأخ الأكبر" الصينية التي تراقب جميع حركات وسكنات الأشخاص، بعد أن كانت ترفضها وتنتقدها بشدة باعتبارها انتهاكا للحريات الفردية.

منذ الأسابيع الأولى لانتشار الوباء بدأ استخدام تطبيقات ذكية على الهواتف لتحديد أماكن انتشار الوباء والتنبيه إلى وجود أشخاص مصابين في محيطنا من أجل توخي الحذر، في وقت تبحث فيه الحكومات وقادة الأعمال عن سبل إعادة تشغيل الاقتصاد دون تعريض العاملين للخطر.

وهناك خبراء ذهبوا أبعد من ذلك مثل أليكس بنتلاند، الأستاذ في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، الذي يدعو لتعميم هوية رقمية تحدد الحالة الصحية للأشخاص لخلق بيئات "آمنة" للعمال والموظفين والزبائن.

أول ما يتبادر إلى الذهن هو أن ذلك سيعزز رقابة الحكومات من خلال "الأخ التكنولوجي الأكبر" الذي يراقب الجميع، مثلما يحدث في الصين، وهو موضع انتقاد الدول الغربية، لكن بنتلاند يؤكد أن ذلك سيحمي خصوصية الأشخاص.

وهنا يبدو أن أزمة كورونا فرضت إحداثيات جديدة وأسقطت الكثير من المحرمات، حيث تسعى الحكومات لإنقاذ الاقتصاد العالمي من كارثة مدمرة بأي ثمن.

تمييز صحي

قد نشهد قريبا استئناف العمل في بعض النشاطات الاقتصادية والسفر وتنظيم التجمعات الكبيرة الرياضية والفنية، لكن الدخول سوف يقتصر على من يملكون سجلا صحيا إلكترونيا يؤهلهم لذلك.

ربما يذهب شخصان إلى حفلة موسيقية أو مطعم مزدحم فيسمح لأحدهما بالدخول ويمنع الآخر بسبب امتلاك الأول لجواز كورونا الصحي، الذي يؤكد وجود الأجسام المضادة للفايروس في جسده ويمنع الآخر لعدم وجودها في دمائه.

وينطبق ذلك على السفر إلى بلدان أخرى، فيسمح للبعض ويمنع آخرون من السفر أو دخول الملاعب الرياضية والمصانع ونشاطات أخرى.

لن يكون ذلك السجل ثابتا بل يتغير ويجري تحديثه باستمرار، وحين يتم التوصل إلى لقاح للفايروس سيضاف ذلك إلى الهوية الصحية الإلكترونية ويتسع عدد الأشخاص الذين يملكونها لتصبح بطاقة الهوية الأكثر أهمية من جميع بطاقات الهوية الأخرى.

يعرض بنتلاند فكرة إصدار شهادات رقمية يمكن من خلالها تتبع الأشخاص، ليس فقط على نطاق الدولة الواحدة بل على نطاق عالمي لتأكيد أن الشخص قد تعافى من الفايروس أو لديه أجسام مضادة أو في نهاية المطاف تم تطعيمه حين يتم التوصل إلى لقاح.

وتهدف تلك الشهادة إلى تحديد سلامة الأشخاص من أجل إعادة تشغيل الاقتصاد، وبضمنه حركة السفر والسياحة في المستقبل، وقد تصبح هوية لا غنى عنها لتحرك الأشخاص بحرية في مواقع العمل وعبور نقاط التفتيش في المطارات وحتى دخول الأماكن العامة مثل المطاعم والملاعب الرياضية وجميع التجمعات.

ولولا كارثة فايروس كورونا، فإن فكرة كهذه يمكن أن تثير جدلا صاخبا، لأنها سوف تؤدي إلى مراقبة جميع تحركات الأشخاص في أنحاء العالم. وهو ما يثير مخاوف المدافعين عن الخصوصية بشأن كيفية استخدام البيانات؟ ومن قِبل من؟ وكيف وأين يتم تخزينها؟

لكن فايروس كورونا فرض أحكامه الاستثنائية، حيث يقول مسؤولو الصحة العامة إن جمع البيانات الشخصية قد يكون الطريقة الوحيدة لتتبع الفايروس ومعرفة من يتمتع بالصحة والقادر على العودة إلى العمل ومن هم الأكثر عرضة للخطر.

> رصد شامل لحالة الأشخاص الصحية المتعلقة بفايروس كورونا يثير جدلا مكتوما بشأن مخاطر انتهاك البيانات والحريات الفردية

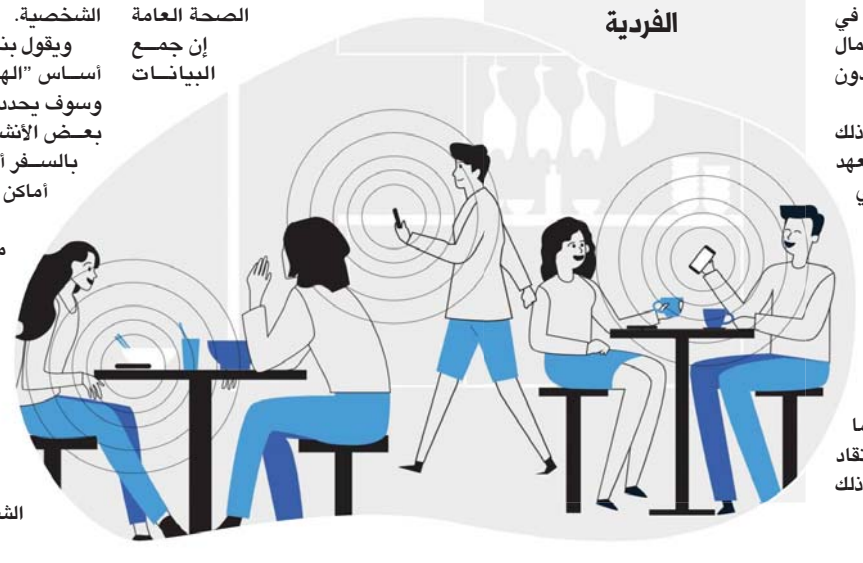

سياسات ليست جديدة

يدافع أليكس بنتلاند عن الفكرة في مقابلة أجرتها معه استير شين لموقع تك ريبابليك، ويؤكد أنها ليست حالة جديدة وسبق تطبيق سياسات مماثلة.

ويشير إلى أنه "في الأوبئة السابقة مثل السل، أصدرت الحكومات والوكالات المختلفة شهادة تثبت مناعة الأشخاص أو حصولهم على التلقيح، الذي يقي من المرض".

ويضيف أن "الأجيال السابقة كانت بحاجة إلى هذه الشهادة للعمل في صناعة المواد الغذائية. وإننا اليوم نحتاج للحصول على العديد من اللقاحات للعمل مع الأطفال أو السفر إلى بلدان معينة".

ويؤكد بنتلاند أن ما يدعو إليه مشابه لتلك الحالات باستثناء أنها هوية رقمية يمكن رصدها من قبل الجهات المختصة.

وأشار إلى أن هذه الشهادة يمكن أن تتواجد على الهاتف الذكي للأشخاص، مثل رمز التسعير "الباركود" الذي يوضع على السلع.

ومن أجل حماية الخصوصية، يقترح بنتلاند أن تعمل المستشفيات واتحادات الائتمان والبنوك والمؤسسات المدنية الأخرى كمستودعات للبيانات الصحية للأشخاص، تماما كما تفعل المؤسسات الائتمانية الحالية للحصول على المعلومات المالية وغيرها من المعلومات الشخصية.

ويقول بنتلاند إن ذلك سوف يشكل أساس "الهوية الرقمية" للشخص، وسوف يحدد قدرته على العمل وممارسة بعض الأنشطة الأخرى والسماح له بالسفر أو دخول تجمعات كبيرة أو أماكن معينة.

ويرى بنتلاند، وهو أيضا مدير معهد ماساتشوستس للعلوم، أن "الأدوات الرقمية أصبحت جزءا من الحل لإنشاء قوة عاملة آمنة تساعد في إعادة فتح بلدان العالم والنشاطات".

لكن بنتلاند يدرك مخاوف انتهاك الخصوصية والبيانات الشخصية، ويؤكد أن "هناك حاجة إلى أساليب أكثر تعقيدا للحوسبة، التي تحافظ على خصوصية البيانات الصحية وملكية البيانات".

ويعمل بنتلاند مع الأمم المتحدة ونادي مدريد، وهو اتحاد لرؤساء ديمقراطيين سابقين ورؤساء وزراء، بشأن هذه المسألة.

ويقول إنه يمكن من خلال تلك الهوية الرقمية تحديد قوة عاملة آمنة، يمكنها العودة إلى العمل في الوظائف التي تواجه الجمهور، والتي من شأنها أن تسمح للشركات والحكومات والمستشفيات بتعيين موظفين بدرجة أمان عالية.

ويضيف بنتلاند أن "هؤلاء الموظفين يمكن أن يقوموا بتقديم خدمات في نقاط التماس مع الزبائن، في حين يجري توجيه العمال المعرضين للخطر لأداء وظائف في الخطوط الخلفية، التي لا تتطلب الاختلاط بالآخرين".

ولم تعد هذه الفكرة مجرد اقتراح، فقد بدأت دول مثل تايوان وكوريا الجنوبية وسنغافورة بتصديق الشهادات الرقمية للأشخاص الآمنين لإعادة تشغيل اقتصاداتها.

لكن تلك الدول اعتمدت على بيانات "الأخ الأكبر" الحكومية والتطبيق القسري للحجر الصحي والعزلة في حين أن الدول الديمقراطية تنظر إلى هذا النهج على أنه تهديد للحريات المدنية.

ما بعد حالة الطوارئ

يقول أليكس بنتلاند إن النقطة الرئيسية هي الاحتفاظ بالبيانات الشخصية في المؤسسات المحلية التي لديها بالفعل "حاجة إلى المعرفة" أو التي تخضع لسيطرة مباشرة من المواطنين وتجنب إنشاء سجلات وطنية لأنها ستكون هدفا مغريا للقرصنة وسوء الاستخدام.

ويضيف أن هذه الشهادة الصحية، التي يمكن دمجها بسهولة في البنية التحتية للهوية الرقمية المستخدمة بالفعل لمصادقة المدفوعات، يمكن أن تساعد أيضا في تحديد نوع الأعمال التجارية الآمنة لإعادة فتحها، وجعل تتبع جهات الاتصال أكثر كفاءة، دون تعريض الخصوصية الشخصية للخطر.

ويمكن تحقيق ذلك باستخدام أي من الأساليب التقنية، مثل الحوسبة الآمنة المتعددة الأطراف، والتي تم نشرها بالفعل لبعض أنواع التحديثات على الهواتف المحمولة، أو إنشاء "خرائط مخاطر" بسيطة يتم تجميعها من بيانات مجهولة الهوية وحمايتها باستخدام الخصوصية التفاضلية، مثل الأساليب التي يستخدمها مكتب الإحصاء الأميركي.

أليكس بنتلاند:
الهوية الرقمية للشخص ستحدد قدرته على العمل وممارسة بعض الأنشطة مثل السفر أو دخول تجمعات كبيرة

ويرى بنتلاند أن هذه الهوية الرقمية، تتطلب موافقة الأشخاص للسماح للتجار وأصحاب العمل بالاطلاع على حالتهم الصحية، مثلما يحدث حاليا في التحقق من بطاقتهم الائتمانية أو هويتهم.

ويضيف أنها تتيح أيضا معرفة الأماكن الآمنة والأماكن غير المزدحمة أو التي تم تنظيفها ومعرفة ما إذا كان الموظفون الذين يواجهون الزبائن خاليين من العدوى، دون المساس بخصوصيتهم الشخصية.

ويقول بنتلاند إن "الحوافز المالية يمكن أن تساعد في بدء العملية، حيث يمكن للحكومة تقديم إعفاءات ضريبية للشركات التي توظف موظفين آمنين. ويمكن للشركات أن تقدم أجرا أعلى لتحفيز العمال الآمنين على تولي وظائف مواجهة للجمهور".

ويمكن للشركات تقديم أدلة بأنها توظف موظفين آمنين فقط في المناصب العامة، الأمر الذي يعزز ثقة الزبائن.

ويؤكد بنتلاند "إن إعادة الناس إلى العمل بأمان حاجة ملحة وأن اعتماد الحصانة بطريقة تحافظ على الخصوصية هي الخطوة الأولى نحو مساعدة الناس على الحفاظ على سلامتهم وصحتهم وخفض تكاليف الأعباء الطبية وإعادة تشغيل الاقتصاد".

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

الجودو يعالج الحالة الصحية لأطفال التوحد ويحسّنها

ممارسة فنون الدفاع عن النفس تعزز التواصل الاجتماعي وتدعم الثقة في النفس

رياضة للعلاج

تُجمع العديد من الدراسات العلمية على أن الفوائد التي يجنيها الطفل المصاب بالتوحد من ممارسة النشاط البدني لا تقل أهمية عن استفادته من العلاج بالأدوية أو العلاج النفسي والسلوكي الذي يتلقاه للخروج من هذه الحالة الصحية وتداعياتها على حياته.

وكشفت دراسة علمية جديدة أن الجودو يساعد الأطفال المصابين بالتوحد على تحسين حالتهم الصحية ويعزز قدراتهم على التواصل.

واشنطن – أظهرت دراسة أجراها باحثون في جامعة سنترال فلوريدا، أن ممارسة فنون الدفاع عن النفس، أي الجودو، تساعد الأطفال الذين يعانون من اضطراب طيف التوحد على أن يكونوا أكثر نشاطا وتفاعلا مع الآخرين.

وخلصت الدراسة إلى أن الجودو منح الأطفال المصابين بالتوحد فرصا أكبر للانخراط في النشاط البدني، وبالتالي تقليل خطر الإصابة بأمراض القلب والسمنة وغيرها المتعلقة بقلة النشاط. واعتبر فريق البحث أنه من المثير للاهتمام أن الأطفال أعربوا عن اهتمامهم بمواصلة ممارسة الجودو بعد الدراسة.

ويعتقد الباحثون في جامعة سنترال فلوريدا أن الجودو قد يكون مناسبا لأنه يعالج بعض التحديات التي تواجهها هذه الفئة من الأطفال، بما في ذلك العجز عن التواصل، والمعاناة من مستويات عالية من القلق، وصعوبات في التفاعل الاجتماعي، وتفضيلهم للأنشطة المنظمة والمتكررة.

وثبت من خلال الدراسة أن الجودو يعزز التفاعل الاجتماعي، ويركز على التوازن والقوة والتنسيق، بينما يتناوب الطفل بين أنشطة مختلفة في درجة الإجهاد.

وذكرت عائلات المشاركين في الدراسة أن أطفالهم كانوا أكثر راحة عند التفاعل مع الآخرين وممارسة النشاط البدني بشكل عام، وهما مجالان يعاني فيهما الأطفال المصابون بالتوحد من مشاكل جسيمة.

وقالت منظمة الدراسة جانيت غارسيا "في حين أظهر الكاراتيه، وهو شكل من أشكال فنون الدفاع عن النفس، فوائد لمرضى التوحد الذين يفتقرون إلى المهارات الإجتماعية، افترضنا أن التركيز على اليقظة والدفاع عن النفس اللذين يروج لهما الجودو سيوفر فوائد إضافية للأطفال المتوحدين". وتابعت غارسيا، وهي أستاذة مساعدة في الجامعة التي نشرت الدراسة "في حقيقة الأمر، تظهر دراستنا أن الجودو يشجع التواصل الاجتماعي، وهو نشاط مقبول في المجتمع. كما يمثّل برنامجا رائعا لزيادة الثقة في النفس".

واختارت غارسيا وفريقها الجودو لدراستهم لأنهم اعتقدوا أنه سوف يساعد في معالجة العديد من التحديات التي يواجهها الأطفال الذين يعانون من مرض التوحد، مثل العجز على التواصل والقلق وتفضيل الأنشطة المتكررة. ويعزز الجودو التفاعل الاجتماعي، واليقظة الذهنية، ويشمل تمارين لتطوير التوازن والقوة.

وشملت الدراسة 14 طفلا تتراوح أعمارهم بين 8 و17 سنة، شاركوا في درس الجودو لمدة 45 دقيقة مرة واحدة في الأسبوع لمدة ثمانية أسابيع. وتم تصميم البرنامج للأطفال المصابين بالتوحد وتعليمهم باختيار مدربين على دراية بالاضطراب.

> التركيز على اليقظة والدفاع عن النفس اللذين يروج لهما الجودو يوفر فوائد إضافية للأطفال المصابين بالتوحد

وأغلق المدربون مناطق الصالة الرياضية التي لم يشملها التدريب للحد من العوامل التي تساهم في تشتيت انتباه الأطفال، وخصصوا وقت تدريب فردي إضافي للذين احتاجوا إليه. وبذلك، تعلم الأطفال مفاهيم وحركات الجودو ومارسوها مع بعضهم البعض. وتم تخصيص نهاية كل درس لتمارين التنفس والتدريب الذهني. كما زُوّد الأطفال بأجهزة يمكن ارتداؤها لتحديد نشاط أجسامهم قبل الشروع في التدرّب، وطوال التمرين، وبعد الانتهاء منه.

وقالت غارسيا "أظهرت المجموعة الأولى في برنامج الجودو نتائج إيجابية من ناحية الوصول لتحقيق النتائج الصحية المرجوة". وأردفت "لذلك سنمدد الدراسة مع هذه المجموعة وغيرها لمواصلة تقييم تأثير البرنامج. وإذا استمر نجاحه، فإننا نتطلع إلى تطوير برنامج يمكن للمدارس استخدامه لتصميم برامجها الخاصة".

وفي ظل غياب علاج لاضطراب طيف التوحد، إلا أن العلاج المبكر قد يغيّر حياة العديد من الأطفال. وأكدت العديد من الدراسات السابقة أن ممارسة الرياضة والنشاط البدني مفيدة للأطفال الذين يعانون من طيف التوحد ولا تقتصر فوائدها على تنشيط أجسامهم وحمايتهم من الزيادة في الوزن ومساعدتهم على الوقاية من السمنة ومخاطرها ومن الخمول بل تمتد إلى فوائد على القدرات العقلية والصحة النفسية.

وهو ما جعل العديد من المهنيين الصحيين والعائلات يسعون لاعتماد العلاج النفسي الحركي الذي يرتكز أساسا على ممارسة التدريبات والتمارين الرياضية الخفيفة أو المختصة لتحسين حالة الطفل المصاب بالتوحد ويتم وضع برنامج حركي يناسب كل حالة على حدا ويتم اختيار الرياضة المناسبة للطفل حسب وضعه الصحي والنفسي وعمره وباستشارة المدرب المختص.

وتعمل التدريبات الحركية على تقوية نقاط ضعف الطفل المتوحد مثل الصعوبة في التحكم في حركاته والعجز عن التواصل مع الآخرين. حيث يتعلم من مدربيه الرياضيين وخاصة أثناء ممارسة رياضات الدفاع عن النفس ذات القواعد الدقيقة والمنتظمة على تطوير مهاراته الحركية من خلال تلقينه تقنيات التحكم والتوافق أي إكسابه القدرة على تأدية حركات متفاوتة الصعوبة في تناسق وتكامل بين مراحلها ونظامها.

وتساعد التمارين الرياضية الطفل المصاب بالتوحد خاصة إذا كانت رياضة محببة إلى نفسه على متابعة حركات مدربه وحفظها وتطبيقها ما ينمي مهاراته في التركيز والحفظ. لكن خبراء الصحة والليلقة ينصحون بتجنب التمارين الرياضية التي تشتت انتباه الطفل وتركيزه والتي تثير خوفه أو تجعله يشعر بالنقص في مؤهلاته.

ولأن الرياضة وخاصة منها الرياضات الدفاعية مثل الجودو والكاراتيه تقوي ثقة الطفل بنفسه وبقدراته فإنها تعزز ثقته بالنفس عند التواصل مع محيطه الخارجي وبالتالي يستبعد مشاعر الخوف تدريجيا ما يسهل عليه الاندماج في محيطه ومجتمعه وينمي قدراته في التواصل بداية مع مدربه ثم مع زملائه في التمرين وهو ما يسهل عليه في ما بعد الاندماج في المجموعات الصغيرة التي ينتمي إليها.

تمارين التاي تشي تحدّ من فرط النشاط لدى الأطفال

واشنطن – تقول دراسة جديدة أن ممارسة التاي تشي تقلل آثار اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه. وتشير الدراسة، التي نشرت في مجلة طب الأطفال التطوري والسلوكي، إلى أن دروس فنون الدفاع عن النفس الأسبوعية ساعدت 34 طفلا على تنظيم أعراض اضطراب نقص الانتباه مع فرط النشاط بشكل أفضل.

ويقول الباحثون أن فصلين من دروس تاي تشي لمدة 60 دقيقة في الأسبوع ساعدا على تحسين سيطرة الأطفال على فرط النشاط لديهم وعلى سلوكهم الاندفاعي. وقال الدكتور ستيوارت موستوفسكي من معهد كينيدي كريجر بجامعة جونز هوبكنز، إن نتائج هذه الدراسة تدعم طريقا جديدا وواعدا لمساعدة الأطفال المصابين باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه.

ودرّس موستوفسكي وغيره من الباحثين مجموعة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 8 و12 سنة، والذين تدربوا لمدة ثمانية أسابيع. وخلص الفريق إلى أن تمارين التاي تشي حسّنت تحكم الطفل في حركاته.

وأظهر المشاركون انخفاضا ملحوظا في أعراض اضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه، مثل العداء وعصيان الأوامر وعدم القدرة على اتخاذ القرارات. وتشير الدراسة إلى أن عدد التجارب التي تركز على الأطفال الذين تم تشخيصهم باضطراب فرط الحركة ونقص الانتباه يبقى محدودا. ويضيف الباحثون أن الدراسات السابقة اقتصرت على قياس التقدم في حالة الطفل من خلال التقييمات الذاتية أو إجابات المحيطين بهم.

ويعتقد الفريق البحثي أن هذه الدراسة ستكون موثوقة أكثر بسبب اختبارات التحكم في الحركة. كما سجّل الأطفال الذين أظهروا أكبر تحسن في تلك الاختبارات أعلى درجات التحسن في الاستطلاعات السلوكية.

ولا تعدّ هذه الدراسة الأولى في سجل موستوفسكي، حيث ألّف دراسة في العام 2011 أين أشرف على قياس التحكم في حركة اليدين عند الأطفال الذين يعانون من اضطرابات فرط النشاط. وكتب حينها "أوضحت العديد من الدراسات معاناة الأطفال الذين شُخّصوا باضطرابات فرط النشاط من مشاكل في التحكم الحركي. وليس هذا التدفق في الحركة إراديا ولا يحدث عن وعي، بل يعكس مشكلة في القدرة على كبح الحركة. ويعطي فهم أسس التحكم الحركي فسيولوجيًا رؤية دقيقة عن هذا الاضطراب".

القهوة تخفض مستويات الدهون لدى النساء

هل تحل القهوة مشكلات السمنة

لندن – توصلت دراسة جديدة إلى أن النساء اللاتي يشربن من كوبين إلى ثلاثة من القهوة يوميا يتمتعن بانخفاض مستويات الدهون في الجسم والبطن مقارنة بالنساء اللاتي لا يستهلكنها.

فهل يمكن أن تكون القهوة الحل لمشكلة السمنة المتزايدة في العالم؟

لم تكن النتائج بين الرجال ملحوظة بنفس الدرجة، لكنها توضح أن القهوة قد تحمل خصائص مضادة للسمنة.

وأشرف فريق جامعة أنجليا روسكين البريطانية على فحص البيانات التي تم جمعها من المسح الوطني للصحة والتغذية، وهي مبادرة بحثية وضعها مركز السيطرة على الأمراض. وحدد المشاركون عاداتهم اليومية في شرب القهوة، بالإضافة إلى إجمالي نسبة الدهون في أجسامهم وخاصة في منطقة البطن.

وسجّلت النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين 20 و44 سنة، واللاتي يشربن من كوبين إلى ثلاثة أكواب من القهوة يوميا، مستويات دهون أقل بنسبة 3.4 في المئة مقارنة بغيرهن اللاتي لا يشربن القهوة. وبالنسبة للنساء الأكبر سنا، كانت الفوائد أكثر وضوحا بين اللاتي تتراوح أعمارهن بين 45 و69 سنة حيث سجّلت اللاتي يشربن أربعة أكواب أو أكثر يوميا نسبة أقل بـ4.1 في المئة من دهون البطن.

> النساء اللاتي يتناولن من كوبين إلى ثلاثة أكواب من القهوة يوميا سجلن دهونا أقل بنسبة 2.8 في المئة مقارنة بالأخريات

وعبر جميع الفئات العمرية لدى الإناث، سجّلت النساء اللاتي يتناولن من كوبين إلى ثلاثة أكواب من القهوة يوميا دهونا أقل بنسبة 2.8 في المئة مقارنة بالأخريات. وقال الدكتور لي سميث من جامعة أنجليا روسكين، وهو المشرف الرئيسي على الدراسة "يقترح بحثنا أنه قد تكون هناك مركبات في القهوة – بخلاف الكافيين – تنظم الوزن ويمكن استخدامها كمضادات للسمنة".

وسجّلت نفس النتائج حتى وإن كانت القهوة خالية من الكافيين. ولم يسجل فرق بين المدخنات واللاتي يعانين من أمراض أخرى.

كما سجّل الرجال بعض النتائج المرتبطة باستهلاك القهوة، وإن لم يكن بنسبة كبيرة مثل النساء. فالرجال الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و44 عاما، والذين يشربون فنجانين أو أكثر يوميا، سجّلوا إجمالي دهون أقل بنسبة 1.3 في المئة، مقارنة بأولئك الذين لا يشربون القهوة. وأشار الدكتور سميث إلى احتمال دمج القهوة، أو مكوناتها الفعالة، في استراتيجية نظام غذائي صحي للتقليل من عبء الأمراض المزمنة المتعلقة بوباء السمنة. وشدد على أهمية تفسير نتائج هذه الدراسة في ضوء قيودها.

وتُعرّف منظمة الصحة العالمية حالات السمنة على أنّها تراكم الدهون بشكل مفرط قد يؤدي إلى الإصابة بالأمراض المزمنة مثل الأمراض القلبية الوعائية والسكري والاضطرابات العضلية الهيكلية وبعض أنواع السرطان.

كما تبيّن أنّ هناك علاقة بين سمنة الطفولة وزيادة احتمال الوفاة المبكّرة واحتمال الإصابة بحالات العجز في مرحلة الكهولة.

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

الوباء سدد ضربة ثلاثية للشباب: العمل والتعليم والتدريب

الاختبار والفحص يساعدان في تقليل الاضطرابات التشغيلية في مكان العمل

الشباب هم الفئة الأشد والأسرع تضررا بين كل الفئات من تداعيات جائحة فايروس كورونا المستجد بالنسبة لحياتهم العملية، حيث أدت إلى اضطراب التعليم والتدريب ووضعت عراقيل كبيرة في طريق دخولهم إلى سوق العمل أو في التنقل بين الوظائف، خصوصا أنهم المجموعة التي غالبا ما تعمل بعقود عمل غير رسمية وأجور منخفضة.

رويدة رفاعي
صحافية سورية

جميع قطاعات الأعمال تأثرت بالوباء

بحث متواصل عن البديل

محظوظون من احتفظوا بأعمالهم

باريس - يعتبر الكثير من العاملين الشباب أن الإصابة بفايروس كورونا ليست أسوأ ما قد يحصل لهم في المرحلة الحالية، إذ يخيم شبح فقدان العمل على حياتهم، ويعيشون هذه المخاوف بشكل يومي.

وتقول سعاد (25 عاما) طالبة ماجستير تونسية في إحدى جامعات باريس، "نحن أحد الضحايا الرئيسيين لفايروس كورونا، قد ينظر العالم إلى العاملين الأكبر سنا على أنهم الأكثر تضررا من توقف الأعمال وتدهور الاقتصاد لأن أغلبهم مسؤولون عن عائلات وأطفال ولديهم التزامات ومسؤوليات اجتماعية كبيرة، وبالنسبة للدول والحكومات هم الشريحة الأحق بالمساعدة والاهتمام".

مستقبل مجهول

تضيف سعاد "هذا صحيح بنسبة كبيرة، لكننا أيضا نعيش مأساة حقيقية بعد أن تم الاستغناء عنا في أعمالنا وتأجلت الدراسة، وتراكمت الديون وأصبحنا غير قادرين على دفع نفقات السكن والمعيشة وتكاليف الدراسة بعد عودتها لأننا استنفدنا مدخراتنا طيلة أشهر، ومستقبلنا بات مجهولا".

وسعاد كانت تعمل في أحد المطاعم في العاصمة الفرنسية بدوام جزئي، لكنها تلقت رسالة من عملها منذ بداية الإغلاق العام لإعلامها بالاستغناء عن خدماتها.

وتابعت "جئت إلى فرنسا في سبتمبر الماضي بغرض الدراسة، وواجهت صعوبة كبيرة في إيجاد فرصة عمل. وبعد بحث مضن وجدت هذا العمل، وبدأت الشهر الماضي فترة التجريب في مطعم قريب من منزلي، على أن أعمل 20 ساعة في الأسبوع".

وتتشارك سعاد السكن مع صديقة لها وعملها كان مصدر دخلها الوحيد لتأمين نفقات السكن والمعيشة، ومع بدء تخفيف قيود الحجر والانفتاح التدريجي لا تشعر بالتفاؤل لأن قطاع الأعمال بحاجة لوقت طويل للتعافي، والمطاعم التي أعادت فتح أبوابها لن تعيد كافة العمال لديها للعمل، إنما ستكتفي بعدد قليل لتسيير أمورها خاصة أنها مع الالتزام بالتباعد لن تعود للعمل بكامل طاقتها واستيعابها كما كان الحال سابقا.

وسعاد هي واحدة من ملايين العمال الشباب حول العالم الذين فقدوا وظائفهم، وفق ما أكدت منظمة العمل الدولية في تقرير لها هذا الأسبوع.

وقالت المنظمة إن الشباب كانوا "الأشد والأسرع تضررا بين كل الفئات" من تداعيات جائحة فايروس كورونا المستجد بالنسبة لحياتهم العملية.

وأشارت إلى أن أكثر من واحد من بين كل ستة أشخاص في العالم توقفوا عن العمل منذ تفجر الأزمة، وهو ما يسلط الضوء على مجموعة غالبا ما تعمل بعقود عمل غير رسمية وأجور منخفضة، وتعمل بنسبة كبيرة في قطاعات أغلقت أبوابها بسبب الجائحة مثل تجارة التجزئة.

ونقلت وكالة بلومبيرغ للأنباء عن تقرير منظمة العمل القول إن الجائحة شكلت ضربة ثلاثية للشباب، فهي لم تدمر فقط وظائفهم وإنما أدت إلى اضطراب التعليم والتدريب وتضع عراقيل كبيرة في طريق دخولهم إلى سوق العمل أو في التنقل بين الوظائف.

ولدى عرض التقرير على وسائل الإعلام، دعا المدير العام لمنظمة العمل الدولية غي رايدر الحكومات إلى "إيلاء اهتمام خاص بهذا الجيل المتأثر بتدابير احتواء" الوباء، لتجنب تأثره بالأزمة على المدى الطويل.

وأوضح أن الشباب يتضررون من الأزمة بشكل غير متناسب، بسبب اضطراب سوق العمل ومجالي التعليم والتدريب.

ووفقا للدراسة التي أجرتها منظمة العمل الدولية، قال واحد من كل ستة شباب استُطلعت آراؤهم إنه توقف عن العمل منذ ظهور كوفيد – 19، فيما قال أولئك الذين احتفظوا بوظائفهم إن ساعات عملهم انخفضت بنسبة 23 في المئة.

بالإضافة إلى ذلك، رجح حوالي نصف الطلاب الشباب أنهم سيتأخرون في إكمال دراستهم بينما توقع 10 في المئة منهم عدم تمكنهم من إكمالها.

وكانت نسبة البطالة بين الشباب 6.13 في المئة في عام 2019، وهي أعلى بالفعل مما هي لدى أي فئة سكانية أخرى. وكان حوالي 267 مليون شاب عاطلين عن العمل دون أن يكونوا طلبة أو متدربين.

وكان من هم في عمر 15 – 24 سنة ولديهم عمل يعملون بشكل عام بشكل غير مستقر، إما لأنهم يؤدون وظائف منخفضة الأجر أو وظائف غير رسمية، وإما بسبب وضعهم كعمال مهاجرين.

وقال غي رايدر في بيان "إن الأزمة الاقتصادية التي تسببت بها جائحة كوفيد – 19 تلحق الضرر بشكل خاص بالشباب، ولاسيما النساء، على نحو أصعب وأسرع من الفئات السكانية الأخرى".

وأضاف "ما لم تُتخذ إجراءات عاجلة لتحسين وضعهم، فقد نعاني من آثار الفايروس لعقود".

وتعاني فئة أخرى من الشباب اللاجئين بشكل مضاعف جراء نزيف الوظائف، حيث تؤثر خسارتهم لعملهم على أوضاع أهاليهم في أوطانهم الذين يعتمدون عليهم في تأمين معيشتهم، بحسب ما يقول فراس الذي يتمسك بالأمل في أن يتم تدارك الأزمة العالمية ويستعيد عمله في قطاع البناء.

وأوضح الشاب السوري فراس (32 عاما) الذي كان يعمل في شركة بناء بدوام جزئي، أنه فقد عمله مؤخرا لأن كل القطاعات على اختلاف أنواعها تأثرت بالوباء العالمي وتوقفت الأعمال.

ويضيف أنه يستطيع تدبر أموره في الفترة المقبلة، لكن المعضلة التي تقلقه جدا هي عدم قدرته على مساعدة عائلته في حلب، خاصة مع التدهور الاقتصادي والغلاء الفاحش الذي تعيشه سوريا حاليا.

ويتابع أنه ليس الوحيد الذي يعيش هذه الظروف ويعيل أسرته في سوريا، إذ يشاركه العديد من أصدقائه هذه المحنة.

وتظهر النسخة الرابعة من "المرصد" الصادر عن منظمة العمل الدولية حول تأثير كوفيد – 19 أيضا أنه لدى إجراء اختبارات الكشف عن الإصابة بالفايروس بصورة كثيفة يقل الاضطراب في سوق العمل ومن الناحية الاجتماعية مقارنة بما يحدث في ظل تدابير الحجر الصحي واحتواء الوباء.

ففي البلدان التي تجري اختبارات كثيفة للكشف عن الإصابة بالفايروس وتنظم حملات واسعة النطاق لهذا الغرض، يقل متوسط انخفاض ساعات العمل بنسبة تصل إلى 50 في المئة.

حالة نفسية سيئة

وتقول منظمة العمل الدولية إن لذلك ثلاثة أسباب؛ فالاختبار والفحص يقللان من الحاجة إلى تدابير احتواء صارمة كما أنهما يعززان ثقة الجمهور عبر تشجيع الاستهلاك والمساعدة في دعم التوظيف، ويساعدان في تقليل الاضطرابات التشغيلية في مكان العمل.

بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يساهم الاختبار والفحص بشكل مباشر في خلق وظائف جديدة، حتى وإن بصورة مؤقتة.

وقال رايدر "يمكن أن تكون الاختبارات والفحوصات عنصرا قيّما في استراتيجية مكافحة الخوف، والحَد من المخاطر، والنهوض باقتصاداتنا ومجتمعاتنا بسرعة".

وعلى الصعيد العالمي، تستمر الأزمة في التسبب في "انخفاض غير مسبوق في النشاط الاقتصادي ووقت العمل في جميع أنحاء العالم"، وفق منظمة العمل الدولية التي تشير إلى أن منطقة الأميركيتين هي الأكثر تضررا، تليها أوروبا ومن ثم آسيا الوسطى.

ومقارنة بالربع الرابع من عام 2019، لاحظت المنظمة انخفاضا بنسبة 4.8 في المئة في ساعات العمل في الربع الأول من عام 2020 (وهو ما يعادل 135 مليون وظيفة على أساس أسبوع عمل مدته 48 ساعة).

أما توقعات الربع الثاني من السنة فوُصفت بأنها "كارثية" إذ يُتوقع أن تنخفض ساعات العمل بنحو 10.7 في المئة (ما يعادل 305 ملايين وظيفة بدوام كامل).

ويذكر أن معدل البطالة بين الشباب الذكور في الولايات المتحدة الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و24 عاما، ارتفع إلى 24 في المئة خلال أبريل الماضي، مقابل 5.8 في المئة خلال فبراير الماضي، في حين ارتفع معدل البطالة بين الفتيات إلى 8.29 في المئة مقابل 5.7 في المئة خلال الفترة نفسها.

وقالت منظمة العمل الدولية إن نفس هذه التوجهات واضحة في كندا والصين وأستراليا وغيرها من الدول.

وأشارت بلومبيرغ إلى أن الشباب الذين يدخلون سوق العمل في فترة ركود يمكن أن يعانوا من تداعيات الركود لسنوات عديدة؛ لأنهم يكافحون من أجل العثور على وظيفة أو يضطرون للعمل في وظائف لا تناسب خلفيتهم التعليمية.

ويشتكي الكثير من الشباب الذين فقدوا وظائفهم بشكل مفاجئ، بالإضافة إلى ظروف الحجر الصحي والعزلة، خصوصا أولئك الذين يعيشون بعيدا عن عائلاتهم من أوضاع نفسية سيئة، وهو ما يعتبره علماء النفس أمرا طبيعيا في هذه الأحوال.

ويشرح بعض علماء النفس أن فقدان الوظيفة لا يقل إيلاما عن فقدان شخص عزيز عليك. إذ يمر المرء بالمراحل الانفعالية المرتبطة بالحزن، بدءا بالصدمة والإنكار، ثم الغضب والمساومة، وفي النهاية تصل إلى تقبّل الأمر الواقع والأمل.

ويقول الأخصائي النفسي الأميركي آدم بنسون إنه قد يكون من الأفضل عندما تجد شخصا فقد وظيفته، أن تساعده في الاعتراف بالمشكلة، وعندها سيشفق على نفسه ولن يكبت المشاعر التي تنتابه.

وذلك لأن البعض يحاول إنكار عمق الألم الذي ينتابه بسبب الفقدان، وأكثرهم يقول لنفسه "لماذا أشعر بالحزن، مادام الجميع قد فقدوا وظائفهم مثلي"، لكن بنسون يقول إن هؤلاء عندما يدركون أنهم فقدوا بالفعل شيئا مهمّا، مثل فرصة أو أمل أو علاقة، سيشعرون بألم الفقدان.

وأشارت الدراسات التي أجريت في أعقاب الأزمة المالية العالمية إلى أن الأشخاص الذين واجهوا عثرات مالية أو صعوبات في إيجاد مسكن، كانوا أكثر عرضة للإصابة بمشاكل نفسية. فكيف يمكن أن يحافظ المرء على توازنه النفسي في هذه الأوضاع الاستثنائية؟

> **الشباب الذين يدخلون سوق العمل في فترة ركود يمكن أن يعانوا من تداعيات الركود لسنوات عديدة**

> **نصف الطلاب الشباب يتوقعون أنهم سيتأخرون في إكمال دراستهم بينما 10 في المئة منهم لن يتمكنوا من إكمالها**

وينصح بنسون الأشخاص الذين فقدوا وظائفهم أو فقدوا عزيزا لهم أو غير ذلك، بأن يدرسوا الوضع من جميع جوانبه، وأن يركزوا على الجوانب التي يمكنهم التحكم فيها، وليس الجوانب الخارجة عن سيطرتهم، وأن يحددوا المشاكل التي ستواجههم من أثر الفقدان، مثل ضرورة تخفيض المصاريف المنزلية لفترة من الوقت، وتعديل نمط حياتهم لمجاراة الوضع الراهن.

ويلفت بنسون إلى أهمية أن يدرك المرء أن الحياة ستكون شاقة، على المدى القصير، وأن التغييرات ستكون حتمية حتى تتحسن الأوضاع.

ورغم أن أزمة البطالة الحالية تعيد إلى الأذهان الأزمة المالية العالمية التي وقعت عام 2008، إلا أن الفارق بين الاثنتين أن هذه الأزمة مؤقتة وسيعود الناس إلى أشغالهم بمجرد كبح جماح الفايروس.

وأثارت هذه الأزمة الحالية حس التضامن بين الناس. ويضرب بنسون مثالا بأصحاب المطاعم في حي مانهاتن الذي يسكنه، إذ يواظبون على دفع الرواتب للعاملين بانتظام وبعضهم نظم حملات لجمع التبرعات للعاملين.

صحيح أن هذه المبادرات من أصحاب المطاعم لن تحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية المتجذرة، إلا أنها ستخفف عن الناس مشاعر الحزن والغضب وتأنيب الذات، لأنهم لم يفقدوا وظائفهم بسبب تقصير أو خطأ ارتكبوه.

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

عدسات مخرجات تونسيات حاضرة بالسينما غائبة عن الدراما

الحضور المحتشم في الأعمال التلفزيونية لا يحجب براعة المرأة المخرجة في صنع الدهشة

نجحت مخرجات تونسيات في التربع على عرش السينما والتنقل في حضورهن الفني بين الكتابة والإخراج والتمثيل والإنتاج، وحصدن جوائز محلية وعالمية، واستطعن تسخير خبراتهن لإلقاء الأضواء على قضايا المرأة العربية، إلا أنهن لم يتمكن بعد من نيل فرص لإثبات قدرتهن على إدارة الحبكة الدرامية.

هند بوجمعة نموذج عن نجاح المرأة المخرجة في عالم السينما

آمنة جبران
صحافية تونسية

تونس – لطالما تألقت عدسة المخرجات التونسيات في أعمال فنية عدة نقلن فيها هموم النساء في مجتمعاتهن وسلطن فيها الضوء على قضايا شائكة وفي كثير من الأحيان جريئة لتفضح بذلك "المسكوت عنه" وتنقله للرأي العام توعية وموعظة.

جدية وجرأة المخرجات التونسيات في نقلهن الواقع عبر أعمالهن الفنية جعلتهن يكتسحن المشهد الفني ويتربعن بصفة خاصة على عرش السينما بعد أن حصدت أعمالهن جوائز وطنية ودولية.

> الفرصة تبدو اليوم سانحة حتى ينال المخرجون الرجال استراحة، خاصة أن المرأة أثبتت قدرتها على إدارة الحبكة الدرامية

ومازالت أعمال مثل "صمت القصور" للمخرجة مفيدة التلاتلي الذي وقع عرضه أول مرة عام 1994 أو "رقصة النار" عام 1995 و"خشخاش" 2006 للمخرجة سلمى بكار أو فيلم "نصف محبة" الذي عرض عام 2008 للمخرجة كلثوم برناز عالقة في ذاكرة المشاهد التونسي.

سلمى بكار:
التلفزيون لم يعد يحوز كثيرا على اهتمامي كالسابق ومن الجيد تشجيع الطاقات الشابة

فاطمة سعيدان:
المرأة المخرجة ستكون حاضرة بقوة في الأعمال الدرامية مستقبلا

إيمان بن حسين:
المرأة المخرجة لديها رؤيتها وبصمتها وزاويتها الخاصة لنقل الواقع الاجتماعي

ولم تتوقف المسيرة الفنية عند هذه الأعمال، بل واصلت المرأة التونسية شغفها بالفن بإنتاج أعمال سينمائية ودرامية ووثائقية، أو بالمساهمة من وراء الكواليس بامتهان التمثيل أو المساعدة في التصوير والتركيب.

ويبدو لافتا أن استوديوهات التصوير باتت اليوم "شبه مؤنثة" بعد أن أثثتها الطاقات الشابة خاصة من الإناث، في خطوة تعكس الدور الكبير والحضور القوي للمرأة التونسية في هذا المجال.

لكن وعلى رغم تفوقهن في السينما وتحليقهن عاليا في بحار الفن السابع، إلا أن المخرجات التونسيات غائبات عن الدراما وهو ما تجلى في الموسم الرمضاني الأخير، حيث لم تفتك عدسة الإخراج التلفزيوني لهذا العام إلا مخرجة وحيدة وهي سوسن الجمني عن مسلسل أولاد مفيدة في موسمه الخامس.

حضور محتشم

شدت بعض الأعمال الدرامية الرمضانية الشارع التونسي واحتلت أعمال بعينها دائرة الاهتمام والجدل خاصة التي حملت توقيع سوسن الجمني مخرجة مسلسل أولاد مفيدة.

ورغم الانتقادات اللاذعة التي تعرض لها هذا العمل على امتداد مواسمه الرمضانية الخمسة، إلا أنه يحظى بنسبة متابعة عالية وشعبية كبيرة. وتمكن من أن يكون منافسا قويا للأعمال الدرامية التي تعرض على التلفزيون الرسمي.

ووجه هذا المسلسل خلال أجزائه الأربعة العديد من الاتهامات، حيث رأى مطلقوها أنه عمل يحرض على العنف ويشجع على تعاطي المخدرات وترويجها، بالإضافة إلى أنه يحث على إقامة علاقات غرامية وجنسية خارج إطار الزواج وغير مألوفة في الأطر الاجتماعية المحافظة.

غير أن ردود الأفعال مع الموسم الخامس كانت مختلفة هذه المرة وأقل حدة بعد أن أتقنت مخرجة العمل في نقل الحبكة الدرامية للمشاهد ونجحت في شد انتباهه لأحداث المسلسل والقضايا التي يطرحها.

وطرح نجاح الجمني في إدارة الكاميرا وتوجيه عدساتها، حيث ظهرت بصمتها في العمل بقوة، العديد من التساؤلات عن غياب المرأة المخرجة عن الدراما التلفزيونية، فعلى رغم تفوقها وإبداعها إلا أن الإخراج الرجالي ظل يكتسح الأعمال الدرامية على مدى سنوات طويلة.

ويقول المتابعون إن الأعمال الدرامية في تونس لا تستهوي المرأة المخرجة الولهة بالسينما، في حين يتعطش الجمهور لعدستها ونظرتها المختلفة للواقع عن الرجل.

وأغلب الأعمال والمسلسلات التونسية كانت بتوقيع رجالي.

وتعزو أوساط فنية غياب المرأة المخرجة لعدم تحفيزها على خوض هذه التجربة من قبل المشرفين على الإنتاج ولتواضع الإمكانيات المرصودة للأعمال الفنية.

وتقر المخرجة إيمان بن حسين في حديثها لـ"العرب" بغياب المرأة عن الدراما وما يطرحه ذلك من نقاط استفهام، معتقدة أنه لولا الأزمة التي تمر بها قناة الحوار التونسي (غير حكومية)، حيث تراهن على إنتاج مسلسل "أولاد مفيدة"، لما أتيحت الفرصة أمام الجمني لإخراج العمل وظلت مساعدة في الإخراج لا أكثر، وبالتالي سينعدم في هذه الحال حضور المرأة في الدراما.

وجاء اختيار "الحوار التونسي" لسوسن الجمني، وهي مساعدة المخرج في هذا المسلسل، كمخرجة بديلة بعد إبداع الإعلامي سامي الفهري وهو مخرج العمل وصاحب فكرته والمنتج له ومالك القناة الخاصة، في السجن بسبب التهم الموجهة له والمتعلقة بفساد مالي وتبييض أموال في القضية المعروفة بشركة "كاكتوس برود".

وأشارت بن حسين، المختصة في إخراج الأفلام الوثائقية وسبق لها إنتاج أعمال سينمائية قصيرة ومتوسطة، إلى رغبتها في خوض تجربة الإخراج الدرامي في الموسم الرمضاني المقبل.

وتابعت "لدي مقترحات لإخراج أعمال درامية"، مؤكدة أن "تجربة الجمني حفزتها على ذلك، وهي تجربة ناجحة وإن كانت تقنيا".

وأوضحت حول غياب المرأة عن الدراما إن كان بشكل اختياري أو اضطراري، قائلة إن المخرجة التونسية تستهويها السينما أكثر من التلفزيون.

وقد كان واضحا في سنوات ما بعد الثورة اندفاع المخرجات لخوض تجارب سينمائية أو وثائقية. وبحسب تعبير بن حسين، من بين أسباب الحضور المحتشم للمرأة في الدراما التلفزيونية هو أن مهنة الإخراج تتطلب الكثير من الجهد والوقت وإمكانيات مالية كبيرة، إضافة إلى سيناريو محكم ومقنع، وهو ما يعكس ندرة إنتاج الأعمال الدرامية وتردد المرأة المخرجة.

وأضافت أن "كلمة مخرجة لم تكن متداولة كثيرا في ظل احتكار الرجال لهذا المجال"، لافتة إلى أن "مهنة الإخراج مهنة شاقة ومصنفة عالميا ثاني أكثر مهنة مجهدة بعد مهنة عمال المناجم، ومن ضمن دوافع هجرة المرأة الإخراج التلفزيوني".

وأعربت عن أملها في تجاوز هذه العوائق والصعوبات مستقبلا وأن يقع التركيز على الدراما من قبل المخرجات، متابعة "المرأة المخرجة لديها رؤيتها وبصمتها وزاويتها الخاصة لنقل الواقع الاجتماعي".

وتعزو بن حسين الحضور النسوي المحتشم، وهو غياب لم يقتصر على الساحة الفنية المحلية بل طال الأعمال الدرامية العربية، إلى تخوف الجهة المنتجة وضعف المبادرة والثقة في المرأة المخرجة، إضافة إلى ظروف الأعمال الرمضانية المضغوطة بأجندة محددة، معتبرة أن "المهمة صعبة وعلى القنوات التلفزيونية تشجيعنا ودعمنا".

وتبدو الفرصة سانحة اليوم حتى ينال المخرجون الرجال هدنة، خاصة أن المرأة أثبتت قدرتها على إدارة الحبكة الدرامية. وليست الجمني التجربة الأولى فقد سبق للمخرجة التونسية سلمى بكار أن أنتجت وأخرجت أعمالا درامية مهمة ونالت استحسان المشاهد.

شغف بالسينما

"شعبان في رمضان" و"فرحة عمر" و"نساء من الذاكرة" عناوين درامية بعدسات كاميرا سلمى بكار التي غابت عن دراما هذا العام وترك غيابها، وفقا للمختصين في المجال الثقافي والفني، فراغا في المشهد الدرامي.

> الأعمال الدرامية في تونس لا تستهوي المرأة المخرجة الولهة بالسينما، في حين يتعطش الجمهور لعدستها ونظرتها المختلفة للواقع عن الرجل

وعن أسباب هذا الغياب كشفت بكار لـ"العرب" أن التلفزيون لم يعد يحوز كثيرا على اهتمامها كالسابق.

وأكدت بكار، وهي أول سيدة تعمل في الإنتاج السينمائي في تونس عام 1990، كما تحصلت على جائزة السينما عام 2006، "لقد أنتجت وأخرجت أعمالا درامية واليوم أركز على السينما وأريد أن أواصل معها مع ما تبقى من مشواري الفني".

وتعتقد أنه من الجيد اليوم أن "نترك الفرصة للطاقات الشابة مثل المخرجة سوسن الجمني".

وقالت إن سوسن التي كانت في السابق وراء المخرج هي اليوم أمام الكاميرا. وسعيدة أنها فرضت وجودها في الساحة الدرامية خاصة أمام ندرة الأعمال، مشددة على أن المرأة بوسعها فرض نفسها ليس في الإخراج فقط بل في كتابة السيناريو والتمثيل والإنتاج وفي جميع أطوار العملية الفنية.

وأشارت إلى أن "الطاقات النسائية موجودة حتى في الفريق الفني الذي نصفه من النساء، على عكس جيلنا الذي واجه الصعوبات ولم يكن المجال مفتوحا أمامنا".

ولا تخفي بكار أن انشغالها بالسياسة كان له تأثير على أعمالها الفنية، إذ كانت نائبة بالمجلس الوطني التأسيسي أعقاب ثورة يناير 2011 عن القطب الديمقراطي الحداثي. وسبق أن أقرت أن انخراطها في العمل السياسي "اختيار صعب"، وقد تدفع أعمالها الفنية ضريبة ذلك.

وأوضحت "لقد كان للعمل السياسي تأثيره وعطّل بعض أعمالي مثل 'الجايدة' الذي استكمل تصويره بعد ثلاث سنوات من التوقف"، مشيرة إلى أن التجربة السياسية سمحت لها بإعادة النظر في الكتابة حيث اكتسبت تجربة ونظرة أخرى وحاولت أن تنقل ما عاشته كنائبة وفي أروقة البرلمان إلى الجمهور وترجمته فنيا.

وعادت بكار بعد آخر أعمالها السينمائية الذي حمل اسم "جايدة" لكتابة سيناريو جديد وللإخراج عبر عمل سينمائي يحمل عنوان "نافورة".

وكشفت أنها تسلط الأضواء من خلال هذا العمل على مشكلات المرأة التونسية، قائلة عنه "أنا دائما أركز على درامات شخصية لكن في إطار تاريخي معين على شاكلة أفلام 'حبيبة مسيكية' و'الجايدة'"، لافتة إلى أن الجديد في عمل النافورة أنه يتناول فترة ما سمي باعتصام الرحيل عام 2013.

> نجاح سوسن الجمني في إدارة الكاميرا وتوجيه عدساتها طرح العديد من التساؤلات عن غياب المرأة المخرجة عن الدراما التلفزيونية

وأضافت أن المخرجة التونسية نجحت في فرض نفسها بشكل جيد خاصة في السينما، متابعة "نلمس حركية كبيرة في المشهد الفني التونسي ومع ذلك يتطلب كثيرا من الإمكانيات المالية ومرهون بتحسن أوضاع البلاد واستقرارها".

وعلى الرغم من إجماع المختصين على أن ضعف الإنتاج والإمكانيات وراء غياب المرأة عن الدراما، فإن أوساطا فنية تونسية تؤكد أن شغفها بالسينما يبقى دافعها الرئيسي.

وقالت الممثلة السينمائية فاطمة سعيدان في حديثها لـ"العرب"، وهي فنانة تملك سجلا فنيا طويلا وناجحا، إن "المرأة المخرجة لم تفكر بعد في خوض غمار الدراما، فهي تجد نفسها في السينما أكثر، كما أن صناعة الفيلم مختلفة تماما عن صناعة مسلسل تلفزيوني".

وتتوقع سعيدان رغم ضعف المشاركة في الإنتاج التلفزيوني أن "تكون المرأة المخرجة حاضرة بقوة في الأعمال الدرامية مستقبلا".

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

التحدث إلى الأطفال يقلل مخاوفهم

مراعاة الاحتياجات الفردية للأطفال زمن الحجر تساعد على تحقيق التوازن الأسري

الالتزام ببرنامج أنشطة يومي للصغار يخفف من توترهم

يعد تعرف الأسـرة علىٰ حاجات الطفل الأساسية وضبط انفعالاته آلية من آليات تحقيق الأمن النفسي للطفل والتوازن الأسري للعائلة في ذات الحين. وتصبح هذه الآلية أكثر من ضرورية خلال فترة الحجر الصحي، ما يساعد الأبناء علىٰ تحقيق النجاح والعائلة علىٰ الاستمتاع بوقتها.

أبوظبي – تخـوض العائـلات فـي الوقت الحالي فترات طويلة من التباعد الاجتماعـي. وتؤكـد هيئـة أبوظبـي للطفولـة المبكرة أن العديد من الأسـر قادرة علىٰ تحقيق التـوازن في حياتها والتكيف مع هذه الظروف الاسـتثنائية، مـع وجود عدد من الأطفـال في المنزل، ومراعاة الاحتياجات الفردية لهم.

كما تشـير الهيئة إلىٰ أن هناك فارقا هائلا بين التعليـم المنزلي الاختياري، واعتمـاد نظـام التعلم عبـر الإنترنت. وتنصح الوالدين بأن يكونا متسـاهلين مع نفسيهما وإيجابيين في كل الأحوال، مؤكدة علىٰ أن العالم يمر اليوم بظروف غير اعتيادية.

ويمكن للأطفال أن يلتقطوا بسهولة المحادثات، التي يجريها الوالدان حول الظـروف، التي يمران بهـا والتي قد لا يكونـون علـىٰ علم بها خـلال الظروف العاديـة. ونتيجة لذلـك، يمكن أن يؤدي هذا الأمر إلىٰ تغييرات في سلوك الطفل ونتائجه المدرسية وصحته بشكل عام، وفق ما تؤكده الهيئة.

ومـن المهم أن يعمـل الوالدان علىٰ تنظيم المحتوى، الذي يظهر في الأخبار ومناقشـته في الحوارات الهاتفية مع الأصدقـاء والعائلة بعيدا عن الأطفال للمسـاهمة في خفض مسـتوى القلق.

وتنصح الهيئة الآباء بالتحدث إلىٰ الأطفال حول أي مخاوف أو قلق ينتابهم، وجعلهم يعبرون عن مشاعرهم من خلال الرد علىٰ أي تساؤلات يطرحونها. كما تنصح بتوفير مساحة صادقة وهادئة للأطفال للتحدث عن أي مخاوف يشعرون بها خلال هذه الظروف الراهنة.

من جهته يؤكد أخصائي الطب النفسي المصري الدكتور محمد جمال أن مشاعر القلق أمر طبيعي يمر به الناس كافة، وأنها نابعة من مشاعر الخوف التي يكون هدفها أصلاً توقع الأخطـار، ما هو حقيقـي منها وما هو وهمـي، لتحفيز الإنسـان علـىٰ حماية نفسه.

ويقول إن مشـاعر القلق بحد ذاتها ليسـت مشكلة، إلا إذا تحولت إلىٰ معيق أمـام إتمام الإنسـان لمهامـه اليومية وعيش حياة طبيعية.

> من المهم أن يعمل الآباء على تنظيم المحتوى الذي يظهر في الأخبار ومناقشته مع الأصدقاء والعائلة بعيدا عن الأطفال للمساهمة في خفض مستوى القلق

ويمكـن أن يكون الالتـزام ببرنامج أنشـطة يومي بالنسبة للأطفال الصغار أحد عوامل تخفيف التوتر، وفق الهيئة. ولضمـان الشـعور بالحيـاة الطبيعية للأطفال، يمكـن القيام بتخطيط برنامج يومي يحاكي قضـاء يوم عادي من أيام المدرسـة أو الحضانـة؛ حيث يتضمن وقت اللعب والفنون والحرف والأنشطة الترفيهيـة، التي تشـمل أفـراد العائلة الآخريـن والقـراءة. وعنـد التخطيـط لجـدول زمنـي، من المهـم أن نتذكر أن الأشـياء لا تسـير دائما وفقا للمخطط؛ لذا من المستحسـن ألا يضغط الوالدان علىٰ نفسـيهما طـوال الوقت ويتحليان بالمرونـة للتكيـف مع التغييـرات عند الحاجة.

وتضـع الهيئـة نموذجـا لبرنامج يومي لطفل صغير يكون كالتالي:

- التأكد من استيقاظ الأطفال في الوقت نفسه كل يوم.
- الإفطار.
- تنظيف الأسنان وارتداء الملابس.
- وقت اللعب والنشاط الحركي المخطط للتوازن والتنسيق.
- وجبة خفيفة صباحية صحية.
- لعب عشـوائي (رسـم، حـرف يدوية، أنشطة إبداعية).
- غداء صحي.
- وقت القيلولة.
- وجبة خفيفة صحية بعد الظهر- وقت الأناشيد والموسيقىٰ.
- وقت الاستحمام وتنظيف الأسنان.
- وقت الحكايات.
- وقت النوم (الالتزام بموعد النوم يمكن أن يسـاعد في تقليل معارك وقت النوم، ويسـاعد الأطفـال الصغار علـىٰ النوم بسهولة والبقاء نائمين لفترات أطول).

وتعتبر الهيئة أن التخطيط المسبق للوالديـن مفيد كثيرا، كما أن التمسـك بأهـداف واقعيـة وقابلـة للتحقق علىٰ المـدى القصيـر يـؤدي إلـىٰ أجـواء أسـريّة أكثر هـدوءا. وفـي الوقت ذاته مـن الضروري عـدم التفكيـر كثيرا في مسـألة أن الطفـل قد يتأخـر عن غيره، فإنها ليسـت نهايـة العالـم وبمقدور الآباء القيام بتجارب عدة واستشارات تسـاعد علىٰ إيجـاد المعادلة والبيئة المناسـبة، التـي تعـزز من فرص تنمية الطفل ومهاراته.

وإذا كان الطفل لا يتكيّف مع نظـام التعليم عبـر الإنترنت، علـىٰ الآباء أن يحـاولا توزيع العمـل علىٰ مـدار اليوم. ومن المهـم أن يـدركا أن هـذه الفترة تشـكل تحـولا كبيرا بالنسـبة للأطفـال للتكيف معهـا وأن العديـد من الأطفال يواجهـون تحديات أيضا؛ لذلك يجـب ألا نحملهم فوق طاقتهم من خلال وضع توقعـات عالية بشـكل مفرط في هـذه الظـروف الراهنة والاسـتثنائية. ويشـير أخصائيو التربية إلىٰ أن هناك مجموعـة مـن القواعد يمكـن، في حال اتباعهـا، جعل عمليـة التعليم المنزلي أكثر سلاسـة وإمتاعاً للأطفال وذويهم ومنهـا التهيئة النفسـية حيث ينظر الكثيـر من الأطفال فـي العالم إلىٰ فترة إغلاق المدارس علىٰ أنهـا إجازة للعب والاستمتاع.

ويؤكد أخصائيو التربية علىٰ ضرورة تهيئـة الأطفـال نفسـياً بـأن الدراسـة مسـتمرة ولو عن بعد عن طريق الالتزام قدر المسـتطاع بروتين شبيه بذلك الذي كان متبعاً أيام الدوام المدرسـي وإن مع تخصيص سـاعات أقل للدراسـة وجعل العملية ممتعة قدر الإمكان.

كما ينصحـون الأهل بالمحاولة قدر المسـتطاع تأمين كل ما يلزم الطفل من كتب وأدوات سـاعة جلوسـه للدراسة، مما يمكنـه من المحافظة علـىٰ تركيزه ويقلـل من تشـتت انتباهـه، كما يجعل الحدود بين وقـت الجلوس إلىٰ الدرس ووقت اللعب واضحة.

إضافـة إلـىٰ تنظيـم وقـت الطفل والاهتمـام بصحته البدنية والنفسـية وبتخصيـص وقت للترفيه وقضاء وقت مع العائلة.

أمـا إذا كان الوالـدان يعمـلان في المنزل فمن المستحسن القيام بالأعمال المنزليـة قـدر الإمـكان قبل اسـتيقاظ الأطفـال. ووضـع خطـة خـلال عطلة الأسبوع لوجبات الأسبوع القادم مسبقا وتجهيز ما يسـتطيعان؛ إذ يساعد ذلك علىٰ التخفيف مـن الإجهاد في تحضير الطعام ونوبات الغضب المضرة صحيا لهما ولمن حولهما.

ومـن المستحسـن أيضـا التحدث مـع الأطفال حـول الحاجة إلـىٰ دعمهم ومناقشـة الخطـط الأسـبوعية معهـم لإشـراك الجميع فـي الرحلـة قبل بدء الأسبوع. ووضع جدول زمني للأسبوع؛ حيـث يمكن للأطفـال والأسـرة إجراء مكالمـات فيديو مع الأصدقـاء والعائلة لإعطاء الجميع شيئا يتطلعون إليه.

وإذا لـم يكن الأسـبوع يمضـي وفقا للمخطط، مـن الأجدر التكيّـف مع جدول العمل، الذي يتمحـور حول الأطفال، وإذا لزم الأمر يحـاول الوالـدان أن يتابعا ما فاتهمـا عندما تهدأ الأمـور أو خلال فترة المساء.

ومـن الضـروري إخبـار الأطفـال مسـبقا بأهميـة مكالمـات العمل حتىٰ يتمكـن الجميـع مـن احتـرام الحاجة إلىٰ الهدوء خلال هـذا الوقت، فالأطفال يمثلون المسـتقبل، لذا وجب تشجيعهم ودعمهم وإرشادهم.

محتويات صيدلية السفر زمن كورونا لها وجه آخر

برليـن – قالـت الصيدلانيـة الألمانية أورسـولا زيلربيرغ إن صيدلية السفر في زمن كورونا ينبغي أن تشتمل علىٰ كميات مناسـبة من الكمامـات والقفازات بحيث تكفي مدة الرحلة.

وأضافـت زيلربيـرغ أنـه فـي حال اسـتخدام كمامـات قماشـية، فينبغـي مراعاة غسلها في درجة حرارة لا تقل عن 60 مئوية لقتل الفايروسات، التي قد تكون ملتصقة بها.

ومن المهم أيضا اصطحاب كميات كافية من مستحضرات تطهير وتعقيم اليد، تحسبا لعدم توفر إمكانية غسل اليدين بالماء والصابون.

وبشكل عام ينبغي أن تحتوي صيدلية السـفر علىٰ الأدويـة المعالجـة لمتاعب السـفر الشـائعة مثل القيء والإسـهال، وكذلك المسـتحضرات الطاردة للبعوض والقُـراد، بالإضافة إلىٰ ضمادات للجروح وشاش ومقص.

وفـي حال السـفر فـي ظـل الارتفاع الشـديد لدرجات الحـرارة، فإنـه ينبغي اصطحاب الأدوية في صندوق تبريد لحمايتها من الحرارة الشديدة.

وعموما واستعدادا لبعض حالات الطوارئ والحوادث البسيطة، ينصح الأطباء ال.ألمان كل من يرغب في السفر باصطحاب صيدلية سفر تحتوي علىٰ بعض الأدوية، كأقراص مسكنة أو ضمادات، التي يحتاجها الشخص خلال التنقل من بلد إلىٰ آخر.

كيف تتصرف تجاه الأفكار المغلوطة عن كوفيد - 19

برليـن – أثار تفشـي فايروس كورونا المسـتجد (كوفيد – 19) عـددا لا بأس به من نظريات المؤامـرة. وهي علىٰ الأغلب مسـلية، طالمـا أنها تظل حيـث أتت في مكان ما عبر الإنترنت.

ويعتبـر التسـاؤل عـن ردة فعلنـا المفترضـة عندمـا يبدأ أصدقـاء لنا أو أفراد من أسـرنا فجأة في نشر إحدى تلك الأفكار المشـكوك فـي صحتها من خلال إحدى مجموعات تطبيق "واتساب"، أمرا مشروعا.

ويـرى المؤلف سيباسـتيان هيرمان الـذي ألّف كتابـا عن كيفيـة التعامل مع نظريـات المؤامرة أنه رغـم كل الغضب الذي قد نشـعر به مـن الأفضل أن ننصح أصدقاءنـا وأقاربنـا بطريقـة وديـة في البدايـة: "ومـع احتداد اللهجـة، تضيع الأمور".

وينصـح هيرمان بعـدم التعليق في مجموعة الدردشة والتحدث مع الشخص مباشـرة إذا قام بمشـاركة مقطع فيديو مشكوك فيه عبر مجموعة علىٰ "واتساب".

ويقـول الخبيـر إنـه يمكـن أيضـا أن تطلـب مـن هـذا الشـخص ألا يدلي ببيانـات لها تأثير كبير بشـأن مثل هذه الموضوعات المعقدة فـي مجموعة عبر الواتسـاب. وإذا لـم يكن ممكنا إرسـال رسـالة مباشـرة له عبر التطبيق، فربما يكـون من الأفضل أن تبتعـد عن النقاش بالكامل.

ومـن المنطقي أيضا أن تجد أشـياء مشـتركة مع هذا الشخص عندما تبدأ في مناقشـة الأمر معه. قل له إنك أيضا تفكر كثيرا في نفس المسـألة وتـود التحدث معه عنها. ثم سـيكون من السهل إخباره بأنـك مختلف معه في الرأي ولماذا. ومن المفيد دائما أيضا أن تثني عليه في بداية الحوار.

ويؤكـد هيرمان علىٰ عدم التفوه بأي أقـوال كاذبة. والتأكيد طبعا علىٰ الحجج التي تروق لك قبل أن تتحدث في القضايا التي تختلف فيها معه.

ويميل هيرمان بشـكل عام إلىٰ حوار واقعي بدلا من كتابة تعليقات عبر مواقع التواصـل الاجتماعي. ويوضح "الصوت يحـدث رابطة عاطفية ويجعل الشـخص قادرا علىٰ إدراك الفروق الدقيقة".

أمـا النقاشـات التـي تجـرى عبـر المنصـات التـي تسـتلزم الكتابـة تنطوي علىٰ احتمال إثارة صراع بشـكل كبير.

ويقول "كلما كان شـخصان يثقان في بعضهمـا البعـض، زادت قدرتهمـا علىٰ تغييـر موقفهما تجاه شـيء ما". وعلىٰ كل ليسـت الحقائق فحسـب التي تغير مواقفنا ولكن الصداقة أيضا.

ويعتبـر هيرمان أن الجميع ليسـوا مسـتعدين لمثل هذا الحوارات حسـنة النيـة. وينصـح بعـدم النقـاش مـع الأشخاص المتشددين.

وينصح الخبراء الأشخاص بالتأني والتفكير قبل إرسال المعلومات التي ترد عليهم عبر البريد الإلكتروني أو تطبيقات واتسـاب أو فيسـبوك أو تويتـر إلـىٰ أفراد العائلة، وذلك بغاية وقف انتشـار المعلومات المضللة.

> من الأفضل عدم التعليق في مجموعة الدردشة والتحدث مباشرة مع الشخص الذي قام بمشاركة مقطع فيديو مشكوك فيه

وتبقـىٰ مصـادر المعلومـات الأكثر جـدارة بالثقة هي هيئات الصحة العامة مثل هيئـة الخدمات الصحيـة الوطنية فـي بريطانيا، ومنظمة الصحة العالمية، ومراكز السيطرة علىٰ الأمراض والوقاية منها في الولايات المتحدة الأميركية.

ولا يعتبـر الخبـراء معصومين من الخطـأ، لكنهـم أكثـر مصداقيـة بكثير مـن الغرباء الذين يرسـلون نصائح عبر واتساب أو فيسبوك لبعض الأشخاص.

وقد انتشرت رسائل كثيرة عبر موقع فيسـبوك توصـي بتنـاول الثـوم لمنع الإصابة بفايروس كورونا.

وتقول منظمة الصحـة العالمية إنه علىٰ الرغم من أنّ الثوم طعام صحي وقد يسـاعد في مواجهة الميكروبات، إلا أنه لا يوجـد دليل علـىٰ أنّ تناوله قد يحمي من الإصابة بفايروس كورونا المستجد.

كما زعم نجم موقع يوتيوب جوردان ساثر الذي لديه الآلاف من المتابعين عبر منصـات مختلفة علىٰ مواقـع التواصل الاجتماعي، أنّ ثاني أكسـيد الكلور وهو عامل تبييض يستخدم في مواد التنظيف وتبييض الأقمشـة والبقع، يسـاعد علىٰ "التخلص" من فايروس كورونا.

وكانـت إدارة الغـذاء والـدواء الأميركيـة، قد حذرت من مخاطر شـرب ثانـي أكسـيد الكلور علـىٰ الصحة. كما أصدرت بلـدان أخرى تنبيهات حول هذا الموضوع.

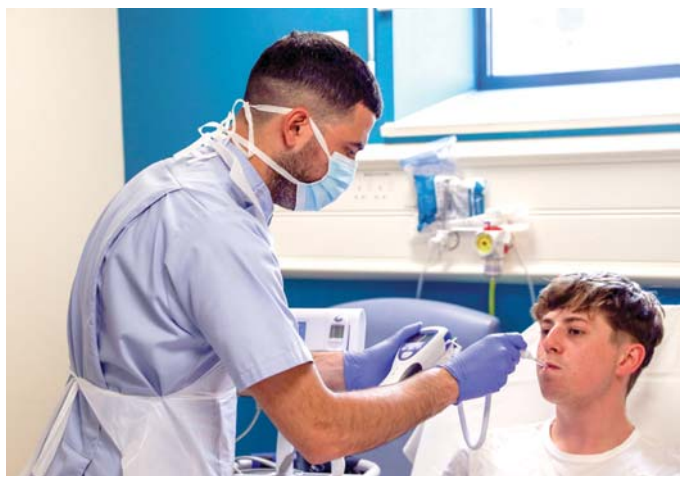

المعلومات المغلوطة خطر على الصحة

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

تململ يسود الدوريات الأوروبية قبل استئناف الموسم الكروي

بطولات استعادت نشاطها وأخرى تستعد لإعطاء إشارة الانطلاق

يتزايد الهوس داخل معظم الدوريات الأوروبية، لاسيما في إنجلترا وإسبانيا وإيطاليا، من مغبة السير على خطى تجربة الدوري الألماني الذي عاد إلى النشاط مؤخرا، في وقت يؤكد فيه محللون رياضيون أن على الدول التي تسعى إلى تجنب المزيد من الخسائر بسبب وقف النشاط أن تعمل على اتخاذ إجراءات صحية وتعوّل على تطبيق قوانين صارمة لتجاوز عقبة الخروج بموسم كروي مخيّب.

لندن – بعدما تسبب فايروس كورونا المستجد في شلل شبه كامل في بطولات كرة القدم على مختلف الأصعدة، بدأت الحياة تعود تدريجيا إلى الملاعب، لاسيما مع استئناف منافسات الدوري الألماني بعد أكثر من شهرين وإن بغياب الجمهور.

وتراوح السجال حول الموسم الكروي في معظم الدوريات الأوروبية، بين تلك التي استأنفت نشاطها بصفة فعلية وأخرى حددت مواعيد العودة، فيما تبحث ثالثة عن وضع بروتوكولات معينة لاسيما صحية لكي تتمكن من استكمال الموسم.

وعادت منافسات الدوري الألماني نهاية الأسبوع قبل الماضي، حيث أقيمت تسع مباريات ضمن المرحلة الـ27 خلف أبواب موصدة، وبالمثل أقيمت الجولة الـ28 التي تخللها كلاسيكو بايرن ميونخ وبوروسيا دورتموندوالذي حسمهالبافلصالحه ليقترب من اللقب الثامن له.

ألمانيا تقود القاطرة

يُعد الدوري الألماني الأول بين البطولات الأوروبية الكبرى الذي يتم استئناف منافساته، والثاني في القارة العجوز بعد دوري جزر فارو المتواضع الذي عادت له الحياة مطلع الشهر الجاري.

كما عادت منافسات كرة القدم أيضا في إستونيا حيث استؤنفت مباريات الدرجة الأولى خلف أبواب مغلقة مما عزز الآمال حول بقية الدوريات.

وعلى الرغم من تفشي الفايروس في مختلف أنحاء العالم، فإن بيلاروسيا كانت الدولة الأوروبية الوحيدة التي لم تعلق بطولتها المحلية خلال الشهرين الماضيين.

وتأمل العديد من البطولات في السير على خطى ألمانيا، لكن الوضع لا يزال معقدا في ظل المخاوف الصحية والشروط المفروضة من السلطات المحلية لمنح الضوء الأخضر. لكن ذلك لم يمنع الاتحادات ورابطات الدوري من تحديد مواعيد مبدئية للعودة. وتعد المملكة المتحدة وإيطاليا وإسبانيا من بين أكثر البلدان تضررا في أوروبا بسبب الوباء. وأعلنت رابطة الدوري الإنجليزي مؤخرا أنه من بين 748 فحصا لفايروس كورونا المستجد تم اكتشاف ست حالات إيجابية تتعلق بلاعبين وأعضاء جهاز فني لثلاثة أندية مختلفة.

وتسعى الأندية الإنجليزية لاستئناف المنافسات بحلول منتصف الشهر المقبل على الرغم من مخاوف بعض اللاعبين بشأن سلامتهم. وفي المقابل أعلن الاتحاد الإيطالي للعبة أن جميع مسابقاته بما فيها الدرجة الأولى ستبقى معلقة حتى 14 يونيو على أقل تقدير.

وقال رئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي إنه يحتاج إلى "المزيد من الضمانات" قبل أن يتم هذا الأسبوع إعطاء الضوء الأخضر لاستئناف مباريات كرة القدم.

وفي إسبانيا، يواصل اللاعبون تدريبهم في مجموعات تصل إلى عشرة لاعبين على أمل انطلاق الدوري الإسباني من جديد في 12 يونيو.

وبات الدوري الهولندي أول بطولة وطنية في دولة منضوية تحت راية الاتحاد الأوروبي للعبة (يويفا)، يتم إنهاؤها بشكل مبكر. ولم يتوج الاتحاد المحلي أي فريق باللقب، وجمّد الهبوط والصعود.

وسارت فرنسا على خطى هولندا، لكن باريس سان جرمان تمكن من الاحتفاظ بلقب الدوري بعد الإعلان في نهاية أبريل عن إنهاء الموسم.

وجاء القرار في أعقاب تصريحات لرئيس الوزراء إدوار فيليب أكد فيها تجميد النشاط الرياضي حتى سبتمبر. وأدى قرار الرابطة إلى هبوط تولوز وأميان إلى الدرجة الثانية، فيما سيصعد لوريان ولنس إلى الدرجة الأولى. وسيمثل فرنسا في مسابقة دوري أبطال أوروبا في الموسم المقبل كل من باريس سان جرمان ومرسيليا ورين.

وإلى ذلك، قررت الحكومة البلجيكية تعليق منافسات كرة القدم حتى 31 يوليو، حالها كحال النشاطات الرياضية، ما ساهم في تسهيل مهمة رابطة الدوري في اتخاذ قرار إنهاء الموسم وتتويج بروج باللقب.

وتوج بروج بفضل هذا القرار الذي أسقط أيضا فاسلاند-بيفيرين إلى الدرجة الثانية، بلقبه السادس عشر نتيجة تصدره للدوري بفارق 15 نقطة عن أقرب ملاحقيه بعد 29 مرحلة من أصل 30 في الموسم المنتظم الذي تليه عادة مرحلة "البلاي أوف" بمشاركة أول ستة أندية في الترتيب.

وقررت رابطة المحترفين في اسكتلندا (أس.بي.أف.أل) تتويج سلتيك بطلا للدوري المحلي للعام التاسع على التوالي، بعد إنهاء الموسم بشكل نهائي.

وكانت كرة القدم الألمانية محط أنظار العالم بعدما باتت البوندسليغا أول بطولة محلية كبرى تستأنف نشاطها منذ التوقف الرياضي الكامل في مارس، وقد تكللت العودة بنجاح في ما يخص الالتزام بالقواعد الصحية الصارمة. وعلى الرغم من أن جميع المباريات أقيمت خلف أبواب موصدة وشهدت بعض الخرق البسيط للقواعد الصحية، فقد شدد مسؤول كبير في الدوري على ضرورة تذكير اللاعبين بالتزام التباعد الاجتماعي حتى وهم يحتفلون بتسجيل الأهداف.

وخشيت الشرطة من أن يتجمع المشجعون خارج الملاعب خلال وبعد المباريات، إلا أن هذا الأمر لم يحصل في المرحلة الأولى بعد العودة.

ارتياح كبير

أعرب الرئيس التنفيذي للذراع الدولية لدوري البوندسليغا روبرت كلاين في حديث إلى وسائل إعلام عن "شعور كبير بالارتياح"، مضيفا "نريد إنهاء الموسم، لكننا ندرك بأنه تترتب علينا مسؤولية كبيرة لإتمام ذلك بشكل صحيح".

وقال كلاين "كان هناك حماس لرؤية دوري النخبة الكروي مرة أخرى. قال لي أحدهم 'يبدو أن عيون العالم على البوندسليغا'، وأعتقد أن ذلك كان صحيحا. كنا محط متابعة في كولومبيا، غانا، جنوب أفريقيا وآسيا".

وأفادت شبكة "سكاي" المشفرة بأن جمهورا قياسيا بلغ ستة ملايين مشاهد في ألمانيا لمباريات بعد إتاحتها بعضا منها مجانا أمام المشاهدين، وذلك بانتظار أن يصدر العدد الإجمالي للذين تابعوا المباريات التسع لمرحلة بعد العودة.

ومع تعطش مشجعي كرة القدم حول العالم للمباريات الحية التي توقفت بسبب جائحة كوفيد – 19، كانت أرقام المشاهدة المسجلة لمباراة دورتموند وشالكه في المكسيك والبرازيل وإيطاليا والأرجنتين أعلى بكثير من المعتاد.

وفي المملكة المتحدة وصل عدد متابعي المباراة ذاتها على شبكة "بي.تي سبورتس" وقت الذروة إلى 652 ألفا، وهو رقم محترم جدا مقارنة مع الرقم القياسي لأكبر عدد مشاهدين لمباراة واحدة في تاريخ الدوري الإنجليزي الممتاز، وقدره 1.7 مليون مشاهد في ديسمبر 2018 للقاء ليفربول وأرسنال.

ووصف كلاين الأسابيع القليلة الماضية بأنها "مثيرة، مليئة بالتحديات.. والتقلبات"، في إشارة إلى الخطة المفصلة الدقيقة التي وضعتها رابطة الدوري من أجل الحصول على الضوء الأخضر من السلطات لاستئناف الموسم.

ومع ذلك، سجلت بعض الثغرات حيث انتقد وزير الدولة لمقاطعة بافاريا ماركوس سويدر طريقة احتفال لاعبي هرتا برلين بالتسجيل في مرمى هوفنهايم (3–0) ومعانقة بعضهما البعض في الجولة الـ27.

كما تعانق عدد من لاعبي بوروسيا مونشنغلادباخ بعد تسجيل هدف في مرمى مضيفهم آينتراخت فرانكفورت (3–1). وعلّق سويدر بالقول "لم أحبذ ذلك (..) على اللاعبين احترام القواعد".

وأفادت رابطة الدوري بأنها لن تفرض أي عقوبات على المخالفين، لكن كلاين شدد على ضرورة أن يُرفع الصوت عاليا في ما يخص الالتزام بالقواعد الصحية، موضحا "في مفهوم النظافة، هناك مبادئ توجيهية للاحتفال ضمن معايير التباعد الاجتماعي".

وأضاف "يمكن للمرء أن يتخيل أنه في خضم اللحظة قد يقتربون (اللاعبون) من بعضهم بعد تسجيل هدف. لكني أعتقد أنه، بشكل عام، تم احترام المبادئ التوجيهية بشكل جيد في عطلة نهاية الأسبوع. إنها (القواعد) موجودة من أجل أن تنفذها الأندية. أنا أتحدث مع الأندية يوما بعد يوم للتذكير بما يجب القيام به..".

تذكير بالقواعد

بعد فوز بايرن ميونخ المتصدر وحامل اللقب على مضيفه أونيون برلين 2–0 في الجولة الماضية، ذكّر مهاجم النادي البافاري توماس مولر نظراءه المحترفين بواجبهم كقدوة لأنه "بحسب ما أعتقد، نحن الآن تحت المجهر أكثر من أي وقت مضى".

ومن المؤكد أن الجميع يحتاج إلى بعض الوقت للاعتياد على الاحتفال بالمرفق، الاحتياطيون يرتدون كمامات على مقاعد البدلاء، ويمكن سماع كل ما يتلفظ به اللاعبون في أرضية الملعب الخالية مدرجاته من المشجعين.

وتطرق كلاين إلى ذلك بالقول "أعتقد أن الواقع الجديد سيكون الطابع الجديد لفترة. سنكون دون مشجعين حتى نهاية الموسم ومن المحتمل أن ندخل الموسم المقبل من دونهم أيضا".

ورأى "إلى أن تتم السيطرة على كوفيد – 19 بشكل كبير – من المحتمل ألا يحصل ذلك إلا عندما نجد اللقاح – سيبقى الوضع على ما هو عليه".

ويريد الدوري الهولندي الذي أنهى موسمه مبكرا من دون أن يعلن عن بطل له، اتباع المسار الألماني عندما يعاود نشاطه الموسم المقبل، في حين وصف رئيس رابطة الدوري الإسباني خافيير تيباس بطولة البوندسليغا بأنها "مثال يحتذى به". وأكد كلاين أن الدوري الألماني سيكون سعيدا بمساعدة الدوريات الاحترافية الأخرى، مضيفا "نحن سعداء ليس بمشاركة البروتوكول الطبي وحسب، بل أيضا بالعمل الأوسع المتمثل في التمكن من الحصول على دعم السلطات المحلية والحكومة من أجل تطبيقه". وختم "إنه نهج شامل مطلوب، ومن دون مشاركة جميع الأطراف، لن يكون الأمر ممكنا".

ودعا سياسي ألماني إلى التشدد في تطبيق البروتوكول الصحي المرافق لعودة مباريات دوري كرة القدم، بعد رصد مخالفات على هامش لقاءات شملت العناق والتقبيل احتفالا بالأهداف.

وقال وزير الدولة لمقاطعة بافاريا ماركوس سويدر لقناة "سبورت 1"، إن "كرة القدم أمام مهمة هائلة لتكون نموذجا يحتذى به، لذا علينا احترام التعليمات والانتباه".

ووضعت رابطة الدوري بروتوكولا صحيا من 50 صفحة يشمل مختلف مناحي التدريب والمباريات وتصرف أفراد الفرق خارج حدود الملعب. ومن أبرز التوصيات فيه، احترام التباعد الاجتماعي خلال الاحتفال بالأهداف، ومنع المصافحة باليد بين اللاعبين. وعلّق سويدر بالقول "لم أحبذ ذلك (..) على اللاعبين احترام القواعد". إلا أن مسؤولا أوضح عبر منشور مرفق بفيديو على حسابه على إنستغرام أنها "لم تكن قبلة أو احتفالا. أعتذر لأنني وضعت يدي على وجه ماركو غرويتش. كنت أعطيه التعليمات خلال تنفيذ ركلة ثابتة".

عرب تحت المجهر

شهدت عودة منافسات البوندسليغا ظهور مجموعة من اللاعبين العرب مع أنديتهم وكان من بينهم المهاجم المصري عمر مرموش الذي جلس على مقاعد بدلاء فولفسبورغ خلال مواجهة أوغسبورغ، لكنه لم يحصل على فرصة المشاركة وتسجيل ظهوره الأول في البوندسليغا. وفي المقابل استحق الجزائري رامي بن سبعيني لقب نجم العرب الأسبوع الماضي بعدما قاد بوروسيا مونشنغلادباخ إلى الفوز خارج قواعده على آينتراخت فرانكفورت (3–1).

ونجح الدولي الجزائري في صناعة هدف فريقه الثاني لزميله ماركوس تورام، قبل أن يضيف بنفسه الهدف الثالث من ركلة جزاء.

كما ظهر المغربي أشرف حكيمي بمستوى جيد في أولى مباريات بوروسيا دورتموند بعد العودة وذلك خلال الفوز على شالكه برباعية نظيفة.

> **الأندية الإنجليزية تسعى لاستئناف المنافسات الشهر المقبل على الرغم من مخاوف بعض اللاعبين بشأن سلامتهم**

ورغم عدم إسهامه في أي من أهداف فريقه بالمباراة، إلا أنه حصل على تقييم مرتفع (7.6) لتميزه على الجانب الدفاعي، وتمكنه برفقة لاعبي الخط الخلفي من الخروج بشباك نظيفة. وبلغت تمريرات الدولي المغربي الناجحة 89 في المئة، كما نجح في القيام بمراوغتين ناجحتين وأقدم على توجيه تسديدتين نحو مرمى الأزرق الملكي.

وفي المقابل لم يظهر المغربي أمين حارث لاعب وسط شالكه بأفضل مستوياته كحال باقي زملائه خلال مباراة ديربي الرور. وظهر اللاعب التونسي إلياس السخيري بمستوى جيد مع فريقه كولن خلال مواجهة ماينز. وحاول الدولي التونسي مساعدة فريقه وقام بتوجيه 3 تسديدات نحو مرمى الخصم إلى جانب قيامه بنسبة تمريرات ناجحة بلغت 85 بالمئة.

التزام بالإجراءات الصحية.. ولكن

> **العديد من البطولات تأمل في السير على خطى ألمانيا لكن الوضع لا يزال معقدا في ظل الظروف الصحية المفروضة من السلطات المحلية**

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

كلوب حول التتويج دون جمهور: سيكون استثنائيا

لندن – رأى الألماني يورغن كلوب مدرب نادي ليفربول، أن تتويج فريقه بلقب الدوري الإنجليزي الممتاز لكرة القدم سيكون أمرا استثنائيا، وإن كان غير مثالي في حال غاب عنه المشجعون بسبب تبعات فايروس كورونا المستجد.

وحددت رابطة الدوري الممتاز تاريخ 17 يونيو موعدا مبدئيا لاستكمال ما تبقى من موسم 2019–2020، بعد تعليق المنافسات منذ مارس بسبب تفشي كوفيد – 19.

وسيكون استكمال المنافسات من دون جمهور. لكن الشرطة الإنجليزية طلبت أيضا إقامة عدد من المباريات على ملاعب محايدة خشية تجمع المشجعين خارج ملاعب أنديتهم خلال اللقاءات. وألمحت الشرطة إلى أن هذا الطلب، يشمل أيضا المباريات التي يمكن لليفربول أن يحسم اللقب فيها.

ويبدو ليفربول أقرب من أي وقت مضى لرفع كأس الدوري للمرة الأولى منذ العام 1990، إذ يتصدر الترتيب بفارق 25 نقطة (ومباراة أكثر) عن مانشستر سيتي بطل الموسمين الماضيين، مع تبقي تسع مراحل على النهاية.

وقال كلوب لبرنامج تبثه قناة "بي. إن سبورتس" القطرية، "سمعت قبل أيام عبارة جيدة جدا عن أننا نحظى بأفضل مشجعين بيتيين (أي في ملعبهم) في العالم، لذا ربما علينا الآن أن نكون أفضل مشجعين يبقون في منازلهم"، في دعوة للمشجعين لتفادي التجمع والحفاظ على التباعد الاجتماعي لتجنب التقاط عدوى الفايروس.

وأبدى المدرب رغبته في أن يكون حسم اللقب "على ملعب أنفيلد، لكننا لا نعرف، وهذا ليس مهما. غالبية الناس في هذا الكوكب لم يحظوا بفرصة في حياتهم ليكونوا أبطال الدوري الممتاز، وبالنسبة إلينا هذه الفرصة قائمة".

وتابع "ستكون ثمة لحظة في حياتنا سيتاح لنا فيها الوقت والفرصة، وسكون مسموحا مجددا، الاحتفال معا".

لكن المدرب المتوج بلقب الدوري الألماني مرتين مع فريقه السابق بوروسيا دورتموند، ولقب دوري أبطال أوروبا وكأس العالم للأندية مع ليفربول في العام الماضي، اعتبر أن إحراز لقب بطولة إنجلترا في غياب المشجعين "سيكون يوما استثنائيا في حياتي (..) لن يكون مثاليا، لكننا نعرف ذلك منذ مدة، هو لن يكون مثاليا لكننا اعتدنا على الفكرة".

ويحتاج النادي الأحمر حسابيا إلى الفوز في مباراتيه الأوليين لضمان اللقب، بصرف النظر عن نتائج مانشستر سيتي. وفي حال خسر الأخير مباراته الأولى بعد العودة ضد أرسنال، سيحرز ليفربول اللقب.

سيناريو استئناف الموسم يربك حسابات الريال وبرشلونة

ضعف الإعداد البدني واللعب خارج القواعد يثيران المخاوف

يتطلع فريقا برشلونة وريال مدريد إلى استكمال الموسم الكروي وسط تحديات كبيرة قد تربك حساباتهما في نيل لقب الدوري هذا العام. وإضافة إلى الفترة القصيرة المسموح بها للأندية لإعداد لاعبيها بدنيّا برزت أزمة اللعب خارج القواعد كمشكلة مؤرقة لكلا الناديين.

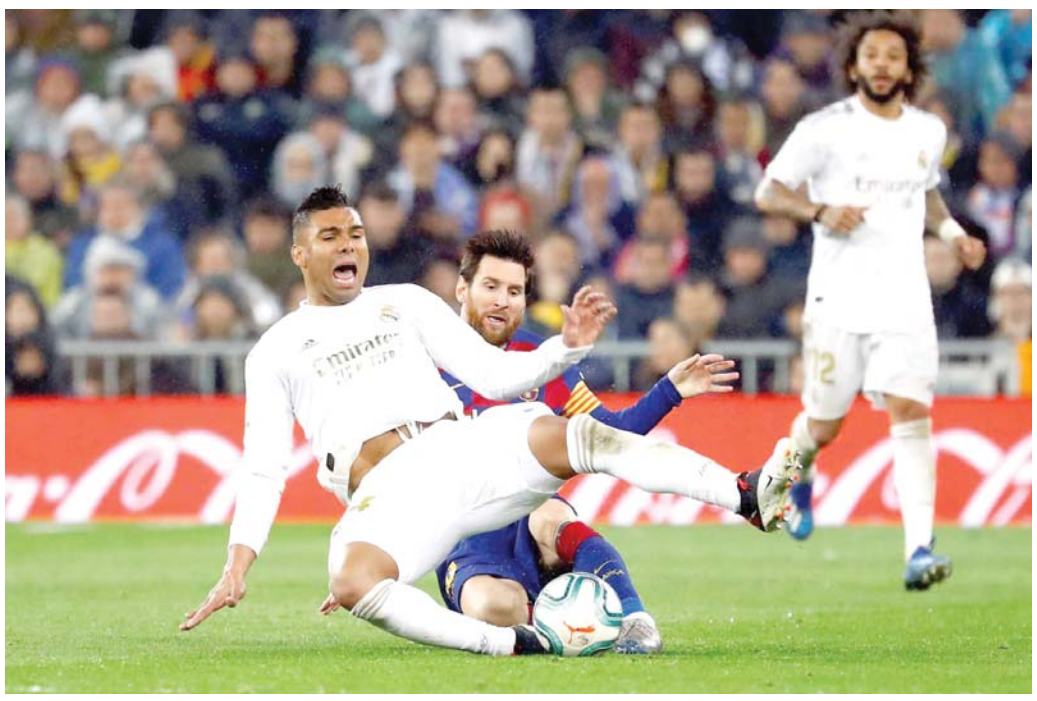

حوار أقدام منتظر

مدريد – يستعد قطبا كرة القدم الإسبانية، ريال مدريد وبرشلونة، لاستئناف نشاط الدوري بعد أسبوعين وسط مخاوف من سيناريوهات مختلفة قد تربك وضعيتهما في التتويج بلقب هذا الموسم الاستثنائي.

وفيما تظل مسألة خوض المباريات خارج القواعد مشكلة مؤرقة لعملاقي إسبانيا، فإن عدم تخصيص وقت كاف من أجل التحضير للعودة يعتبر مخاطرة أيضا لاقت انتقادا واسعا من مدربي الناديين.

ويرى محللون رياضيون أن الخوف من سيناريو مفاجئ عند استئناف الدوري الإسباني هو أمر منطقي قياسا بفترة الوقف التي مر بها الفريقان وتأثيرها النفسي على اللاعبين وحجم التحديات التي اعترضتهما خلال التحضير للعودة.

ويحاول خبراء الدوري الإسباني التكهن بما يمكن أن يكون عليه الحال في مباريات المراحل الـ11 المتبقية بالمسابقة التي ينتظر استئنافها في غضون أسبوعين من الآن.

وستعود منافسات الليغا الإسبانية في 11 يونيو المقبل بعد تعليقها منذ منتصف مارس بسبب تفشي وباء كوفيد – 19. ويشتعل الصراع بين برشلونة حامل اللقب ومتصدر جدول المسابقة ومنافسه التقليدي العنيد ريال مدريد صاحب المركز الثاني بفارق نقطتين خلف برشلونة.

ومن بين 11 مباراة متبقية لكل منهما سيخوض برشلونة خمس مباريات فقط على ملعبه، فيما سيخوض الريال ست مباريات، ما يعني أن الأفضلية قد تكون للريال في هذه المراحل المتبقية.

وما يضاعف من حدة ذلك أن كلا من برشلونة والريال لا يضمن خوض المباريات المتبقية على ملعبه الأساسي في ظل إمكانية إقامة مباريات كل منهما على الملعب الرديف للنادي والذي يتسع لستة آلاف مشجع فقط، وهو الملعب الخاص بمباريات الفريق الثاني للنادي. وينطبق هذا بشكل أساسي على الريال بسبب أعمال الإنشاءات الجارية في ملعب سانتياغو برنابيو.

وقد يصبح الموقف أكثر تعقيدا للريال بقيادة مديره الفني الفرنسي زين الدين زيدان إذا خاض الفريق المباريات الست المتبقية له على ملعبه في ألفريدو دي ستيفانو الخاص بمباريات الفريق الثاني في النادي، والذي يقع خارج المدينة، ولاسيما أن المباريات الباقية من الموسم الحالي ستقام دون جماهير ضمن الإجراءات الوقائية والاحترازية المطبقة للحد من تفشي وباء كورونا بشكل أكبر.

ويرى أحد النجوم السابقين لبرشلونة، أن خوض الريال لمبارياته الست المفترضة على ملعبه في ألفريدو دي ستيفانو سيمنح الأفضلية لبرشلونة.

ولكنّ اللاعبين والمدربين لا يرغبون في خوض المباريات في غياب الجماهير خاصة عندما تكون المباريات على ملعب الفريق وليست على ملعب المنافس.

وقال إيرنستو فالفيردي المدير الفني السابق لبرشلونة "اللاعبون سيتعودون على ذلك ولكن المباريات الأولى ستكون صعبة".

وكان فالفيردي مسؤولا عن الفريق في الموسم عندما التقى برشلونة فريق لاس بالماس في غياب الجماهير. وقال مدرب برشلونة السابق "اللاعبون سيستعدون ذهنيا، ولكن الأمر يظل صعبا".

وقال مانو غارسيا لاعب خط وسط ألافيس عن مشجعي فريقه المشهورين بضوضائهم، "بالنسبة إلينا اللعب دون جماهير يكون أمرا محزنا للغاية كما يضعف مستوانا بالفعل لأن مشجعينا يصنعون الفارق فعليا".

ولكن كل هذا قد لا يعني الكثير بالنسبة إلى الريال الذي سيخوض على ملعبه مباراة واحدة فقط أكثر من برشلونة، علما وأن الريال سيخوض المباريات الباقية على ملعبه بملعب ألفريدو دي ستيفانو بسبب أعمال التجديد الجارية على ملعب سانتياغو برنابيو.

وفي المقابل كانت هناك بعض الاقتراحات في برشلونة بأن يخوض الفريق المباريات المتبقية له على ملعبه يوهان كرويف، وهو الملعب الذي تقام عليه مباريات الفريق الثاني للنادي وتبلغ سعته أيضا ستة آلاف مشجع. لكنّ لاعبي برشلونة أبلغوا النادي برغبتهم في الاستمرار على ملعب كامب نو.

> الأندية الإسبانية ستحظى بأقل من أسبوعين لخوض التمارين الكاملة، وهي فترة يراها المدربون قصيرة لجاهزية اللاعبين بدنيا

ويتفهم خوان أنطونيو بيزي المهاجم السابق لبرشلونة، والذي كان مدربا لفالنسيا الإسباني عندما واجه بازل السويسري في غياب الجماهير عام 2016، السبب وراء تمسك لاعبي برشلونة بالبقاء في كامب نو. وقال بيزي "أعتقد أنه حتى دون وجود الجماهير سيظل الريال يشعر بارتياح أكبر للعب في برنابيو أكثر من اللعب في ملعب دي ستيفانو".

ويرى النجم السابق للبارسا أن كامب نو قد يرعب الفريق المنافس بشكل أكبر عندما يكون خاويا من الجماهير. وقال بيزي "كل من كامب نو وسانتياغو برنابيو ملعب مهيب.. هما من الملاعب الكبيرة التي تتمتع بصيت كبير. وعندما تغيب الجماهير، يمكن ملاحظة هذا ربما بشكل أكبر". ولهذا سيخدم كامب نو فريق برشلونة ولكن في خمس مباريات فقط فيما سيخوض الريال ست مباريات على ملعبه ولكنها ستكون على ألفريدو دي ستيفانو وليس سانتياغو برنابيو.

وحذر المدرب كيكي سيتيين من الضرر الذي سيلحق بفريقه برشلونة جراء رفع عدد التبديلات المسموح بها في المباراة من ثلاثة إلى خمسة مع استئناف منافسات الدوري الشهر المقبل.

وبحسب التقارير، ستقام مباريات بشكل يومي بين موعد الاستئناف وحتى نهاية موسم 2019 – 2020، على أن يلعب كل فريق بمعدل مباراة كل 3 أو 4 أيام.

ورأى سيتيين أن هذا الضغط سيزيد من مخاوف تعرض اللاعبين للإصابات. وأوضح "هذا عدد كبير من المباريات خلال فترة قصيرة. الحرارة (المرتفعة) ستؤثر على الأداء والإصابات. نأمل في أن يتسبب الأمر بضرر أقل مما نخشاه".

وتابع "يمكن أن تسجل العديد من الإصابات كما يحصل في ألمانيا، لأننا أمضينا نحو شهرين جالسين على الكنبة دون لعب. الحرارة، وخوض مباريات كل ثلاثة أو أربعة أيام يمكن أن يؤثرا على اللاعبين".

وعاود اللاعبون في إسبانيا التمارين الفردية في مراكز الأندية في الرابع من مايو، وسمح لهم بعد نحو أسبوعين بتمارين جماعية لكن في مجموعات صغيرة لا تتعدى عشرة لاعبين.

دوري كرة السلة الأميركي يرسم طريق العودة

لوس أنجلس – طرحت رابطة دوري كرة السلة الأميركي للمحترفين على الأندية تاريخ 31 يوليو لاستئناف المنافسات المعلقة منذ مارس بسبب فايروس كورونا المستجد، مع تداول سيناريوهات مختلفة يتوقع التصويت على أحدها الأسبوع المقبل. وأشارت تقارير صحافية ليلة الجمعة–السبت إلى أن مفوض الرابطة آدم سيلفر طرح هذا الموعد على مالكي الأندية خلال اتصال هاتفي جماعي أجراه وسط آراء متفاوتة بشأن شكل استئناف المباريات ومكانها، على أن تكون بطبيعة الحال من دون جمهور.

وعلقت منافسات الـ"أن.بي.أيه" اعتبارا من 11 مارس بعد إصابة الفرنسي رودي غوبير بكوفيد – 19. ولا تزال الرابطة تعمل على رسم طريق عودة، فيما تميل الترجيحات إلى أنها لن تكون بمشاركة كل الأندية الثلاثين في الدوري.

وأوردت تقارير منها لصحيفة "لوس أنجلس تايمز" وموقع "ذا أثلتيك"، أن سيلفر أبلغ مالكي الأندية بأن تاريخ 31 يوليو "هو الهدف".

ويأتي ذلك بعد أيام من إعلان رابطة الدوري أنها تبحث مع شركة والت ديزني، استخدام مجمع "أي.أس.بي.أن" الرياضي التابع لها في مدينة أورلاندو بولاية فلوريدا، كموقع واحد يستخدم للإقامة والتدريب والمباريات، بما يساهم في الحد من المخاطر الصحية المتأتية من كوفيد – 19.

وكشفت شبكة "إي.أس.بي.أن" أن أحد السيناريوهات المقترحة سيطرح على التصويت في اجتماع للأندية الخميس القادم. وأفادت الشبكة واسعة الاطلاع، إلى أن طرح سيلفر إقامة المباريات في أورلاندو "يتوقع أن ينال الموافقة".

ونقلت الشبكة عن أحد مالكي الأندية من دون تسميته، ترجيحه تقارب وجهات نظر الأندية في الأيام المقبلة، موضحا "أخذ المواقف (المتباينة) سينتهي. لن يكون أي شيء مثاليا للجميع".

وبحسب التقارير، عرضت الرابطة استكمال منافسات الموسم المنتظم (خاضت معظم الأندية قبل التعليق نحو 65 مباراة من أصل 82)، والانتقال بعد ذلك إلى الأدوار الاقصائية "بلاي أوف" التي تشارك فيها 16 من الأندية الـ30 في الدوري. لكن "لوس أنجلس تايمز" نقلت عن مصادر لم تسمها، أن الأندية التي فقدت فرصة التأهل إلى الـ"بلاي أوف" لا تحبذ استكمال الموسم، وتعتبر أن ذلك سيكون بلا طائل من وجهة نظرها.

وأوردت الصحيفة أن هذه الأندية "قطعا لا تريد العودة إلى اللعب". وتداولت وسائل الإعلام الأميركية أربعة سيناريوهات لطريقة استكمال الدوري.

وتتوزع الاقتراحات بحسب عدد الأندية التي ستعود لخوض المنافسات: 16 في حال استئناف الموسم من الـ"بلاي أوف" مباشرة، 30 في حال استكمال الفترة المتبقية من الموسم المنتظم قبل الانتقال إلى الأدوار الإقصائية، و20 أو 22 بحسب اقتراحين هجينين يتضمنان تغييرا في صيغة الدوري. وبحسب "أي.أس.بي.أن"، باتت خطة استئناف الدوري مع 30 فريقا مستبعدة بشكل كبير، على رغم بنودها تشمل خفض عدد المباريات المتبقية.

تشويق متواصل

تدوير المدربين في الدوري الإماراتي يثير التساؤلات

دبي – تتأثر كرة القدم الإماراتية كغيرها بهيمنة المدرب الأجنبي باعتباره خيارا ناجحا وفق رؤية بعض الأندية، لكن ذلك يدفع إلى التساؤل حول مدى أهلية هؤلاء ومستوياتهم الفنية قياسا بالراتب المرتفع الذي يتقاضونه، والأهم من ذلك عدم فسح المجال أمام بروز المدرب المحلي.

وتزايدت التساؤلات مؤخرا حول بعض الوجوه الفنية التي باتت ملازمة للدوري الإماراتي على مدار تاريخه، فيما يعرف بظاهرة "تدوير المدربين"، والذي لا يتأثر بمدى نجاح هؤلاء بقدر مدى علاقاتهم ووكلاء أعمالهم بمسؤولي الأندية والذين يبرّرون عودة الوجوه نفسها بمعرفتهم الجيدة بكرة القدم الإماراتية.

ويربط محللون رياضيون بين المستوى الفني لهؤلاء والأجور الزهيدة التي يتقاضونها سنويا ويرون أن هذه المسألة لا ترتبط فقط بالدوري الإماراتي أو بعض الدوريات الخليجية الأخرى، حيث تعوّل العديد من الدوريات الأخرى مثلا في شمال أفريقيا أيضا على المدرب الأجنبي وتمنحه أولوية على حساب المدرب المحلي. وتضم قائمة هؤلاء المدربين أسماء كثيرة مثل المدرب التشيكي إيفان هاشيك، والذي كان ظهوره الأول مع الكرة الإماراتية عندما قاد الأهلي للفوز بالنسخة الأولى من دوري المحترفين وأيضا كأس السوبر الإماراتي موسم 2008–2009.

> تجربة إيفان هاشيك الفاشلة لم تمنع الفجيرة من التعاقد معه مرتين في 2015 و2019 وبينهما أشرف على فريق الإمارات

وعيّن هاشيك في 2009 لرئاسة الاتحاد التشيكي لكنه اكتشف أنه لا يستطيع التوقف عن التدريب فتخلى عن رئاسة الاتحاد وعاد إلى العمل مدربا للأهلي في موسم 2011–2012، لكنه تعرض للإقالة قبل نهاية الدور الأول بسبب سوء النتائج.

ولم تمنع تجربته الفاشلة الأخيرة الفجيرة مع التعاقد معه مرتين، المرة الأولى موسم 2014–2015، ثم عاد وتولى تدريب الفريق مجددا موسم 2018–2019 وبين الموسمين تولى تدريب الإمارات وتحديدا في موسم 2015–2016.

وضمن القائمة أيضا، المدرب البرازيلي باولو كاميلي الذي تولى قيادة خورفكان في بداية هذا الموسم بعد فوز الفريق بدوري الدرجة الأولى وصعوده إلى دوري الخليج العربي للمحترفين، قبل إقالته لسوء نتائج الفريق.

وقبلها قاد كاميلي نادي الإمارات وحقق معه فترات من النجاح خلال الفترة من 2013 وحتى 2016، بإبقاء الفريق في عالم المحترفين ثم تولى تدريب دبا الفجيرة حتى إقالته في موسم 2018–2019 بسبب سوء النتائج.

والمدرب الثالث الذي يدخل ضمن القائمة الألماني وينفريد شايفر مدرب بني ياس هذا الموسم، والذي أبلغته إدارة النادي بانتهاء مشواره مع الفريق مع نهاية الموسم الحالي، بعدما فشل في تكرار مسيرته الطيبة السابقة مع الكرة الإماراتية.

وسبق أن قاد شايفر، أكبر مدربي الأندية الإماراتية سنا في الموسم الحالي، الأهلي عامي 2005 و2006، وتوج مع الأهلي ببطولة الدوري بعد غياب 20 عاما.

وأنقذ شايفر العين من التراجع الذي ظهر على مستواه في دوري 2007، وأدى إلى احتلاله المركز السادس تحت قيادة البرازيلي تيتي. وكان العين حينها يمر بأبهى فتراته، وذلك عندما تولى تدريبه عامي 2007 و2008، وحصد معه ثنائية كأس رئيس الإمارات وكأس المحترفين، وكأس السوبر.

وأخيرا المدرب الإيطالي والتر زينغا، الذي ظهر في منطقة الخليج في مايو 2010 عندما تعاقد على تدريب النصر السعودي وأقيل في نفس العام بعد سلسلة من النتائج السيئة.

العرب
الأحد 2020/05/31
السنة 42 العدد 11717

ثعالب الماء تُغير على شوارع سنغافورة الفارغة

انتشار كبير لثعالب الماء في شوارع سنغافورة الفارغة يثير جدلا واسعا حول ما يجب فعله لوقف أنشطتها في المدينة، حيث تحولت مراكز التسوق والأماكن العامة إلى ساحات لفوضى كبيرة تسببت فيها هذه الحيوانات.

من البرك المائية إلى الزحف على الشوارع

سنغافورة – أصبحت ثعالب الماء، التي طالما أحبها عشاق الطبيعة في سنغافورة، تظهر في أماكن غير متوقعة أثناء إجراءات الإغلاق التي أثارتها الأزمة الصحية، لكن تصرفاتها أغضبت البعض، ففي الشوارع الفارغة رُصدت هذه الحيوانات قرب مراكز التسوق والمستشفيات كما أنها أقدمت على سرقة الأسماك من البرك الاصطناعية.

ويعتقد الكثيرون أن سنغافورة الصغيرة هي مدينة خرسانية مكتظة بالسكان، لكنها خضراء بالنسبة إلى مدينة آسيوية مزدحمة، ولديها غابات وممرات مائية نظيفة وتجمع الحيوانات البرية.

وظهور ثعالب الماء في المواقع السياحية المعروفة في المدينة جعل منها موضوع الساعة، حيث ظهرت في فيلم وثائقي رواه المذيع البريطاني ومؤرخ التاريخ الطبيعي ديفيد أتينبورو، بالإضافة إلى أنها تحوّلت إلى موضوع تتابعه وسائل الإعلام المحلية بشغف.

وتكرر رصد هذه الحيوانات منذ أن بدأت سنغافورة تعتمد إجراءات الغلق لمكافحة انتشار الفايروس.

وقال إن. سيفاسوثي (المعروف أيضا باسم أوتيرمان)، وهو محاضر كبير في جامعة سنغافورة الوطنية، إن الحيوانات لاحظت قلة الحركة مع غياب البشر والسيارات. وشجع الفراغ ثعالب الماء على الاستكشاف، وهي تواجه الآن رد فعل عنيفا.

وتعد إغارة ثعالب الماء على بركة اصطناعية في منتجع مغلق بسبب الوباء، والتهمها للعديد من الأسماك بما في ذلك الأروانا الثمينة التي يمكن أن يصل ثمنها إلى عشرات الآلاف من الدولارات، أبرز حادث وقع بعد ظهور هذه الحيوانات في كل مكان.

ونشرت الممثلة جازريل لو، وهي صاحبة المنتجع الصحي، صورا على فيسبوك لبقايا الأسماك المتناثرة حول البركة، واصفة العملية بالمذبحة. وقالت إن ثعالب الماء أصبحت أكثر جرأة إثر غياب البشر.

وأثارت القضية جدلا حول ما يجب فعله لوقف أنشطة ثعالب الماء في المدينة، وقد وصل الأمر إلى حد اقتراح فكرة اعتماد الرصاص المطاطي.

وفي حوادث أخرى، أظهر مقطع فيديو مجموعة من ثعالب الماء تتجه إلى بهو مستشفى الأطفال قبل إبعادها، بالإضافة إلى أنه تم تصويرها في الشوارع الفارغة خارج مركز تسوق معروف.

وتعتبر غزوات ثعالب الماء المتكررة في شوارع سنغافورة جزءا من اتجاه عالمي ناجم عن عمليات الإغلاق، حيث تقترب الحيوانات من بعض أكبر مدن العالم لاستكشاف شوارعها.

وانتقد إن. سيفاسوثي الدعوات إلى قتل الحيوانات، قائلا إن مثل هذه الخطوة ستكون غير فعالة.

وأشار إلى أن العديد من ثعالب الماء كانت تبحث عن مكان جديد تعيش فيه.

ويعتقد البعض أنه يجب على المواطنين الاحتفال بعودة حيوان تم طرده من سنغافورة بسبب التنمية الساحلية وتلوث المياه في سبعينات القرن الماضي، ولم يظهر إلا في التسعينات عندما تم تنظيف المجاري المائية.

وقال بام ونغ، وهو سنغافوري يبلغ من العمر 35 عاما، "أنا لا أفهم أي شخص لا يستطيع أن يحب هذه الحيوانات. إنها تبدو لطيفة حقا".

ألماني يعزف لمدة 20 ساعة للتعبير عن معاناة الفنانين

برلين – يعتزم عازف البيانو الألماني إيجور ليفيت عزف مقطوعة موسيقية واحدة تستمر لمدة 20 ساعة بهدف لفت الأنظار إلى مشاكل الفنانين في ظل جائحة كورونا.

وحدد ليفيت يوم السبت لعزف مقطوعة "فيكسيسيون" للمؤلف الموسيقي الفرنسي إيريك ساتيه، وهي واحدة من أطول المقطوعات في تاريخ الموسيقى.

وقال ليفيت (33 عاما) "هذه الأوقات قاسية على الفنانين، جسديا وذهنيا وعاطفيا. ولهذا السبب أعتقد أن هذه المقطوعة مناسبة لزيادة الوعي بما نمر به". وتتكون المقطوعة التي ألفها ساتيه (1866 – 1925) من مخطوطة واحدة وتتطلب التكرار 840 مرة بتنوعات مختلفة. وقال ليفيت إن الأمر أشبه بـ"صرخة صامتة" في رتابة.

وأضاف "الفنانون بحاجة إلى المسرح. الوضع الحالي صعب للغاية، حتى على نفسي ... التطلعات قاتمة، بالنظر إلى القيود المفروضة على الفعاليات الثقافية".

وأشار إلى أنه لا يعرف ما إذا كان سيأخذ أي استراحات خلال عزف المقطوعة، متابعا "ليس لدي خطة. لم أقم أبداً بالعزف على البيانو لأكثر من ساعتين ونصف الساعة، وأنا الآن أتطلع إلى العزف لمدة 20 إلى 21 ساعة".

الحياة تعود إلى الدار البيضاء رغم استمرار الحجر

الدار البيضاء (المغرب) – بدأت مدينة الدار البيضاء، كبرى المدن المغربية، تستعيد تدريجيا صخبها المعتاد بعد عشرة أسابيع من الحجر الصحي، إذ فُتحت المكتبات من جديد وسُمح للمطاعم باستئناف العمل، بينما يستمر الحجر رسميا حتى العاشر من يونيو المقبل.

وعاد هدير المحركات في الدار البيضاء ليملأ أجواء الأزقة والشوارع صخبا. ورغم أن بعض أحياء المدينة لم تفقد حركتها تماما أثناء الحجر الصحي، إلا أن سكان المدينة صاروا يستشعرون نسيم الحرية من جديد.

ويتجول بعضهم في أطراف حي المعاريف التجاري وسط المدينة، غير بعيد عن البرجين التوأم اللذين تشتهر بهما المدينة. وقال إبراهيم بولحسن، صاحب مكتبة في هذا الحي، "الزبائن يعودون تدريجيا وهم سعداء بلقائنا من جديد"، بينما يقوم أحد مساعديه بتعليق لافتة تتضمن تذكيرا بتعليمات الوقاية من العدوى.

ويتجمع شبان يقدمون خدمة التوصيل المنزلي قبالة مطعم متخصص في الطبخ الإيطالي أعاد فتح أبوابه وسط المدينة، متجاذبين أطراف الحديث في أجواء من المرح بانتظار الانتشار في أزقة المدينة لنقل طلبات الزبائن على دراجاتهم النارية.

وأكد أحد هؤلاء الشبان أن طلبات الزبائن ازدادت "منذ بدأت المطاعم فتح أبوابها الأربعاء".

وقال صاحب المطعم محمد الغلضي "بدأنا خدمات التوصيل عن بعد في انتظار أن يوضحوا لنا ما يجب القيام به"، مشيرا إلى أنه حرص على "تنظيف المطعم وتعقيم جنباته" قبل إعادة فتحه.

وعادت الصحف لتوزع في الأكشاك والمكتبات مطلع الأسبوع. كما خففت القيود على التنقلات بين المدن، فيما تعود حركة القطارات تدريجيا ابتداء من الاثنين المقبل.

لكن المراقبة الأمنية تظل قائمة، كما تظل الحدود مغلقة بالنسبة إلى المسافرين، وكذلك المساجد والمدارس والشواطئ.

وقال زهير بوتكروايت، بائع عطور، "افتتحنا المتجر لكن الزبائن لا يقبلون على المحل".

ولا تزال الكثير من المتاجر مغلقة الأبواب. كما أغلقت سوق السمك بالجملة في المدينة بعد تسجيل حالة إصابة بالعدوى داخلها، بحسب وسائل إعلام محلية.

رحيل حسن حسني أيقونة الكوميديا المصرية

القاهرة – توفي الممثل المصري حسن حسني، فجر السبت، عن عمر ناهز 89 عاما، إثر أزمة قلبية مفاجئة، بعد مشوار طويل أثرى خلاله المسرح والسينما والتلفزيون بمئات الأعمال كما كان تميمة الحظ للأجيال الجديدة التي صعدت بعده.

ونعت نقابة المهن التمثيلية في بيان الفنان الراحل كما نعاه فنانون من مختلف الدول العربية عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

وقالت بوابة الأهرام "شغل الفنان الكبير حسن حسني مقاما رفيعا في قلوب جماهير السينما والتلفزيون في مصر والوطن العربي طوال عدة عقود، شارك في مئات الأعمال السينمائية والدرامية، واشتهر بتنوع أدواره ما بين الأدوار الكوميدية والجادة".

وشارك حسن حسني، الذي يعتبر من أيقونات الكوميديا المصرية خلال مسيرته التي استمرت 60 عاما تقريبا، في مئات المسرحيات والأفلام والمسلسلات عرض آخرها خلال رمضان 2020.

وحسن حسني من مواليد عام 1931 بالقاهرة، وكان من أكثر الممثلين المصريين نشاطا وحضورًا، حيث قدم نحو 400 عمل فني بين مسرح وسينما ودراما تلفزيونية. ولقب حسن حسني في الوسط الفني، بـ"جوكر" الأدوار الثانية في الدراما، إذ أجاد لعب أدوار في مساحات فنية متباينة، بين الكوميديا والتراجيديا. كما أطلق عليه النقاد عدة ألقاب، بينها "القشاش" نسبة إلى قطار متواضع التكلفة، يقف في جميع المحطات، نظرا لاتساع مشاركته في مئات الأعمال، ومع أجيال فنية مختلفة.

وفاز حسني بالعديد من الجوائز على مدى مشواره، بينها جائزة أحسن ممثل في مهرجان السينما الروائي عام 1993، وفي العام نفسه نال جائزة مماثلة في مهرجان الإسكندرية السينمائي، كما تم تكريمه في مهرجان القاهرة السينمائي.

كايلي جينر تتهم فوربس بعدم المصداقية

لوس أنجلس – سحبت مجلة "فوربس" من لائحتها اسم كايلي جينر، إذ تبين أنها ليست من أصحاب المليارات، متهمة نجمة تلفزيون الواقع الأميركية "بتضخيم قيمة أرباحها من مستحضرات التجميل الخاصة بها لسنوات".

وردت كايلي بعد انتشار الخبر عبر حسابها الرسمي على تويتر قائلة "ما هذا الذي استيقظت عليه. اعتقدت أن هذا الموقع مرموق كل ما أراه هو عدد من البيانات غير الدقيقة والافتراضات غير المثبتة"، مشيرة إلى أنها لم تطلب أبدا الحصول على أي لقب ولم تحاول شق طريقها بالأكاذيب على الإطلاق.

وأوضحت فوربس أن المعلومات الجديدة وتأثير وباء كورونا على مبيعات مستحضرات التجميل جعل الاعتقاد يترسّخ من أنها ليست من أصحاب المليارات. كما اتهمت العائلة الشهيرة التي تعد كايلي أصغر فرد فيها بوضع إقرارات ضريبية "مزورة" على الأرجح.

وقالت كايلي "يمكنني أن أسرد قائمة من 100 موضوع أكثر أهمية الآن من مقدار المال الذي أمتلكه".

وأدخلت المجلة اسم كايلي جينر البالغة من العمر 22 عاما في لائحتها لأغنى أغنياء العالم في 2019 بسبب شعبية علامتها التجارية "كايلي كوزميتكس" لكنها أزالتها منها مستندة إلى معلومات جديدة.

وقد استطاعت جينر، أن ترفع تصنيفها على القائمة من المركز الرابع في عام 2017، وتستولي على المركز الأول، الذي كانت قد حصلت عليه في عام 2017 المغنية سيلينا غوميز.

زيارة المسنين من السيارة في بريطانيا

لندن – تحاول دار للمسنين في أدير بيري في وسط إنجلترا السماح بزيارات عائلية "من السيارة" لحماية قاطنيها الضعفاء من أخطار وباء كورونا.

ويجلس الزوار في سياراتهم مبتسمين بهدف رفع معنويات أحبائهم، فيما يسترخي المسنون على كراس مريحة في الممر الصغير للدار ويستمتعون بأشعة شمس الربيع الدافئة.

وقالت هيلين هيوز، ابنة إحدى المسنات اللاتي يعشن في دار "غريسويل أوف أديربيري"، إن "الأمر عاطفي جدا. أردت فقط أن أعانقها، إلا أنه أمر صعب".

وقالت مديرة الدار أرلين أكوافيرا "نحن محظوظون جدا لأنه لم يصب أي مسن أو موظف بكوفيد – 19". وأوضحت عن الزيارة من خلال السيارات، "نحن نحافظ على ذلك من خلال إدارة مكافحة العدوى. لقد حالفنا الحظ ونرجو أن يستمر ذلك حتى النهاية".

صباح العرب

عدلي صادق

في ضفيرة واحدة

في حال الجَدْب الراهنة، التي تشهدها الحياة الفلسطينية، يخمد حتى الموات، الإبداع الأدبي، الذي انتعش في مراحل لم تكن تشهد فواجع يومية، وتألق فيها محمود درويش. فقد ظل المبدعون الفلسطينيون بعد استلاب 1948 موصولين في الشعر والأدب، بكنعان القديمة وبفتح القدس، وبحُراسها ومقاوميها. يجددون علاقتهم بالماضي في كل سياقاته التاريخية والاجتماعية والثقافية. لكن الخمود الأدبي اللافت، اليوم، يسجل قبل انقضاء العشرية الثانية من القرن الحادي والعشرين انكفاءً غير مسبوق في الإبداع، يضاهي انكفاء السياسة وجفاف مناقبية الحكم وضآلة الاجتماع السياسي.

مشاهد الواقع اليومي المفجع، في الضفة وغزة الفلسطينيتين، لا تلقى استجابات أدبية تعرض صور الواقع، ويُفترض أن تكون معطوفة على كل الذي جرى، ومحمّلة بدلالات معاصرة. فالنصوص الأدبية، في حياة الأمم، تشكل مرجعيات حضارية وثقافية، وتؤسس لعملية التناص والاستمرار في الإبداع الذي يتكفل به الناشئة، من مبدعي الأجيال الجديدة، بالتأثر واستخدام الألفاظ واستحضار المشاهد، وإعادة صياغة الأفكار، وفق تطورات الحدث، لدوام الإلحاح على الوعي الشعبي وتأكيداً على بطلان وهمجية الاستلاب، فيما هو يتدحرج ويلتهم الأرض، وينكر الحد الأدنى من الحقوق الفلسطينية!

يذوي الإبداع الأدبي، بتأثير عفونة الحُكم وفرديته. فهذا الأخير، ظل حتى الآن، رهن أوهامه، ينتظر أن يتعقل المحتلون، ولا يفتح أفقاً، للموهوبين والموهوبات، ولا يوفر بيئة مساعدة على التفاؤل، ذلك وهو يرى، بأم عينه، كيف يزداد المحتلون ظلامية وجنوناً، وتوافقاً على ممارسة العنف، وإصراراً على ممارسة الإكراه، ويغرقون في أساطيرهم حتى الثمالة.

أرض يَباب مُفتعل، على الجانب الفلسطيني، وأساطير غزاة، مدججون بالسلاح، على الجانب الآخر، يجتمعون في ضفيرة يتداخل بعضها في بعض. الأولى شطبت الطبقة السياسية، وجعلتها قطعة ديكور، فأحبطت الناس وأزكت إحساسها بالملا جدوى، فخمد الإبداع. والمحتلون، يمارسون على مدار الساعة، استعراضات القوة والجاهزية للقتل وللمزيد من التوسع. ولا يتبدى في آفاق المرحلة، سوى فرضيات الأسوأ، ما لم يخلع الفلسطينيون عن ظهورهم العباءة المهترئة. فبعد القدس والأقصى، جاءت الخليل والحرم الإبراهيمي. لم تتقدم القصيدة الفلسطينية، كوسيلة إيصال إعلامي وتعبوي، في الاتجاه المعاكس لما يجري. لم تنشأ قصيدة صاخبة، عن المستجد في خليل الرحمن، منذ تحفة عزالدين المناصرة "يا عنب الخليل" في العام 1970 وفيها توظيف رمزي، لـ"بعل" أحد الآلهة الأسطورية الكنعانية، ولعلاقة الإنسان الفلسطيني الأزلية بالأرض، وبمحصول العنب المرتوي بـ"نهور من ذهب"، تفضله الخليل "في الصباح زبيباً ودبساً، إذا كان مَلبَنُهُ صافياً كبنات الشام. سُكراً كبياض خليلية مثل شمسٍ تغار من الشمس"!